

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقدِّمةُ البَحْثِ:

الحمد لله ربَّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على أشرف الأنبياء والمرسلين محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعالمينَ وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

وبعد... إتفقتِ الأُمَّةُ الإسلاميَّةُ (شيعةً وسنةً) على الإيمان بالله تعالى إلهاً واحداً لا شريك له، وعلى التسليم بنبوة محمدٍ ﷺ، وأنه خاتمُ الأنبياء والمرسلين، وآيةُ نبوته ﷺ هو القرآنُ الكريمُ كتابُ الله العزيز الحكيم، والإعتقادُ بالبعثِ والمعادِ يوم القيامة، وأنَّ القرآنَ والسُّنةَ النبويَّةَ الشريفةَ هما مصدران أساسيان للتشريع، كما يتوجهون الى قبلةٍ واحدةٍ في أداء الصلوات (الكعبة المشرفة)، ويحجُّون إليها كلَّ عام (لمن يملك الإِستِطاعة)، ويؤدُّون الزكاةَ، ويصومون شهرَ رمضان. كما صحَّ لديهم أنَّ لرسولِ الله ﷺ صحابة، وهم الجيلُ الذي عاصرَ النبيَّ ﷺ دهرًا من الزمن طال أو قصر. وبعد جيلِ الصحابة ظهرَ جيلٌ آخرُ همُ التابعون، ومن بعدهم تابعوا التابعين.... وهكذا. لكنَّ الَّذِي اختلفَ فيه هو: من هم أهلُ البيت، آل البيت؟، فبعضُ حدَّدَهم بنساءِ النبيِّ ﷺ حصراً، وبعضُ قال: هم نساؤه ﷺ، ويلحقُ بهنَّ آلُ عليٍّ ﷺ وألُّ جعفرٍ وألُّ عقيلٍ ممن حرِّمَتْ عليهمُ الصَّدقةُ (بني هاشم)، وبعضُ قال: هم عامَّةُ أهلِ القبلة، وبعضُ قال: هم [فاطمةُ وبعْلُها عليٌّ وابناهما الحسنُ والحسينُ وتسعةٌ من ذريةِ الحسين ﷺ]. ولكلِّ حُجَّتُهُ ورواياته، وقد أُلِّفَتْ كتبٌ كثيرةٌ بهذا الشأن، وكلُّ

يَحْشُدُ كَامِلَ طاقاته لإثباتِ رأيه. والعاقلُ اللبيبُ يُصغي للجميع، وينظرُ بعينٍ ثاقبة، ويُمحصُّ الأحاديثَ المطروحةً متناً وسنداً والأقوالَ والدعاوى بتفكيرٍ وعقل. ولا يغفلُ عن آياتِ اللّهِ المحكماتِ في كتابه العزيز، ويجرّصُ كلَّ الحرصِ على الوصول للحقيقة، ليحرزَ العقيدة الصائبة. لأنه مُساءلٌ عنها يومَ القيامة. ولا عذرَ لأحدٍ إذا تقاعسَ في بحثه عن الحقيقة وبالخصوصِ شريحة المتعلمين والمثقفين، حيث أن العِلْمَ اختصرَ الجهدَ والمالَ والوقتَ في الإِطْلَاعِ على كلِّ شيءٍ. فالقرصُ الليزرِيُّ المضغوطُ يُمكنُه استيعابُ آلافِ الكتبِ لِشَتَى العلوم، ومنها العلوم الشرعية والفقهية وأديان الطوائف المختلفة... وبسعرٍ زهيد!!

فمن لم يكن له جهازٌ حاسوبٍ فعند صديقٍ أو في مقهى من مقاهي الإنترنت المنتشرة في كل مدينة. ولا ننسى توافر المكتبات العامة... ولا تكادُ مدينةٌ تخلو منها.

ونعود الى الخيارات السابقة لمعنى [أهل البيت، آل البيت]، فإن مدرسة أهل البيت (الإثني عشرية) استدلّت بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المتواترة عند المدرستين [مدرسة أهل البيت عليه السلام ومدرسة الصحابة] أن الخيارَ الأخير هو الصوابُ فقط. أي أن أهل البيت هم [علي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين عليه السلام] حصراً. لا كما يجلو لبعضهم أن يجعلَ شخوصَ أهل البيت عليه السلام رعايا من الدرجة الثانية في أحسن الأحوال؛ أو أدنى، اعتماداً على أحاديثٍ مدسوسةٍ مزيفةٍ لرجالٍ أشربوا نفاقاً

وتحكّمهم ألعيبُ السياسة الماكرة... فكم من الأحاديث المتواترة والصحيحة قد أثبتتها القومُ بأقلامِ أئمة التحقيق (أئمة الجرح والتعديل) أفصحت عن تبيانٍ عظيمٍ شأنِ أهل البيت عليه السلام وعلوّ قدرهم وبيانِ فضلهم على أمة الإسلام.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الثَّابِتَ عَلَى مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَبْرَارِ الْمُسْتَطَفِينَ
الْأَخْيَارِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَالْإِلْتِزَامَ بِهَدْيِهِمُ وَالِاسْتِمْرَارَ فِي خِدْمَةِ نَهْجِهِمُ الرَّسَالِيِّ الْعَظِيمِ حَتَّى
أُحْشَرَ فِي زُمْرَتِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ. وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ وَالْمَسَدَّدُ لِلصَّوَابِ...
وَأَخْرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

عبدالله حسين الفهد

التمهيدُ للبحث:

وبعد... فقد استوقفتني فقرةٌ عند قراءتي لـ (عقائد الإمامية)^(١) للشيخ محمد رضا المظفر رحمته الله في الفصل الثالث (عقيدتنا في صفات الإمام وعلمه)؛ قوله:

(...وأما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي صلى الله عليه وآله، أو من الإمام من قبله. وإذا استجدَّ شيءٌ لا بدَّ أن يعلمه من طريق الإلهام^(٢) بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه.... فإنهم لم يتربوا على أحدٍ، ولم يتعلموا على يد معلِّم من مبدإ طفولتهم إلى سنِّ الرشد حتى القراءة والكتابة، ولم يثبت عن أحدهم أنه دخل الكتابيب أو تتلمذ على يد أستاذٍ في شيءٍ من الأشياء... وما سُئلوا عن شيءٍ إلا أجابوا عليه في وقته، ولم تمرُّ على ألسنتهم كلمةٌ (لا أدري) ولا تأجيل الجواب إلى المراجعة والتأمل أو نحو ذلك).

أقولُ قد قرأتُ ذلك كله، وأمعنتُ النظرَ فيه طويلاً، ورأيتُ تعاضداً عظيماً بين قول الشيخ رحمته الله ونصوص آيات القرآن الكريم المتعلقة بالعلم المبثوثة في سُورهِ المباركة. وكذلك الحالُ في باقي الصفات الحميدة. ولا أعني الآيات الباهرات المبيِّنات من أمثال آية المودَّة في القربى^(٣)، وآية التطهير^(٤)، وآية المباهلة^(٥)، وآية الاعتصام

(١) عقائد الامامية (الشيخ المظفر): ص ٩٥-٩٧ فقرة ٢٥.

(٢) كما أوحى الله تعالى إلى الحواريين وهم ليسوا أنبياء، وكما أوحى إلى أم موسى عليها السلام أو إلى النحل أو إلى الأرض... الخ.

(٣) الشورى ٢٣: ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

(٤) الأحزاب ٣٣: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

(٥) آل عمران ٦١: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

بحبلِ اللَّهِ^(١)، وآية الولاية^(٢)، وآية أهلِ الذكر^(٣)، وآية الإنذار^(٤)، وآية التبليغ^(٥)، وآية إكمالِ الدين^(٦)، وآية الحسد^(٧)، وآية طاعةِ أولي الأمر^(٨)، وآية الصادقين^(٩)، وغيرها الكثير... والتي طالما تلاها رسولُ اللَّهِ ﷺ على الملأ، مبيناً عظيمَ شأنها عند اللَّهِ تعالى، وخصوصياتها لأهل البيت ﷺ، بل أعني آياتٍ أخرى في بحثي هذا. والذي أرجو أن يكون بمشيئةِ اللَّهِ مقدمةً متواضعةً لدراسةٍ أوسع في ذات الموضوع، بأفلامٍ مشايخنا الأجلاء و مثقفينا من الأساتذة والمتخصصين في بحوث علوم القرآن الكريم في الدراسات الأكاديمية وفي الحوزات العلمية المباركة، لأنني لست من أهلِ هذا الإختصاص، سوى أني أطرحُ فكرةَ البحث^(١٠)، وأرجو ممن ذكرتُ أن يستوفي البحثَ حقَّه، خدمةً للمذهب. واللَّهُ المستعانُ والمسددُ للصواب.

(١) آل عمران ١٠٣: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾.

(٢) المائدة ٥٥: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

(٣) النحل ٤٣: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلِّتُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، الأنبياء ٧: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلِّتُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(٤) الشعراء ٢١٤: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

(٥) المائدة ٦٧: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

(٦) المائدة ٣: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾.

(٧) النساء ٥٤: ﴿أَمْ يُحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾.

(٨) النساء ٥٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

(٩) التوبة ١١٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

(١٠) لأنسى جميل سماحة السيد الفاضل الأستاذ مرتضى جمال الدين حفظه الله ورعاه على تنويري بمبادئ البحث العلمي وقواعده الأساسية بمحاضرة قيمة، فله مني وافر الشكر والإمتنان.

مدخلُ البحث:

ورَدَ الكثيرُ من الكلماتِ ذاتِ المعنى المُشترَكِ في القرآنِ الكريمِ، والأمثلةُ كثيرةٌ على ذلك. سأخذُ مثلاً واحداً، هو هذه الكلمات:

[أهلٌ - آلٌ - عصبَةٌ - فريقٌ - معشرٌ - أمةٌ - قومٌ - فوجٌ - طائفةٌ - زمرةٌ].

وقد وردت كلها في المصحفِ الشريفِ، والتي كلُّ منها تعني تجمعاً من الناس تربطهم رابطةٌ معينةٌ... والتي تعددتُ واختلفت معانيها واعتباراتها حسب ورودها في مناسبتها. ولكني اخترتُ في بحثي هذا كلمةً واحدةً محدَّدةً منها، ورأيتُ أن أجمعَ كل ما يتعلَّقُ بها، وأدرسها من بعض نواحيها، ومعرفةٍ مضامين متعلقاتها، لأستخلص منها شيئاً جديداً. تِلْكُمْ هي كلمةٌ (قومٌ).

وقد استعنتُ واستفدتُ كثيراً من كتاب (المعجمُ المفهرسُ لألْفاظِ القرآنِ الكريمِ)^(١) في تتبع الألفاظِ القرآنية. ويمكن لمن يشاء أن يعتمد على الأقراص الليزرية المتضمنة إمكانية البحث السريع لألْفاظِ القرآنِ الكريمِ.

فوجدتُ كلمةً (قومٌ) ذُكرت في المصحفِ الشريفِ بصيغٍ متعددة، فمرةً مجردةً بشكل (قومٌ)، ومرةً مُعرِّفةً بشكل (القَوْمُ)، أو بصيغٍ أخرى مثل: قوماً، قومك، لقومكم، قومنا، قومهُ، قومها، قومهم، قومي... وبأشكالٍ متعدِّدةٍ ما بين رفعٍ ونصبٍ وجرٍ.

وما أعنيه في هذا البحث هو تناول كلمة (لقومٌ) بعدها فعلٌ مضارعٌ حصراً، والمقصود هو التعبير بالشكل: ﴿لِقَوْمٍ ي...﴾.

(١) المعجمُ المفهرسُ لألْفاظِ القرآنِ الكريمِ: دارُ إحياءِ التراثِ العربي بيروت لبنان ١٩٤٥
لمؤلفه الاستاذ الازهري المصري محمد فؤاد عبد الباقي.

حيث تكررت ٤٨ مرة فقط. وقد استنتجتُ بحثي وبيقين تاماً أنّ المقصودَ بهم هم مجموعةٌ قليلةٌ من عبادِ الله تعالى أختصّوا بالكرامةِ المطلقةِ ومُنتهى الزُلْفَةِ عند بارئهم. هم نُسخةٌ واحدةٌ لم يشأ اللهُ أن يكرّرها في خلقه بعدهم أبداً.

و شاء اللهُ تعالى أن يذكرهم بصفاتِهم المثلى التي أنعمَ بها عليهم تمييزاً لهم عن بقيةِ خلقه. حيث صاروا بأمرِ الله تعالى وحِكمته هم القُدوةُ والمثلُ الأعلى وفي ذرى الكمال، وجميعُ الخلقِ من الثقلين من الجنِّ والإنس أُلزموا بالإقتداء بهم والتمسُّكِ بنهجهم الأمثل.

وصافي القول: أني استنتجتُ بالدليل و بيقين تاماً أنّ هؤلاء القومَ هم أهلُ البيت عليهم السلام وأنهم المعنيون بالثمانية والأربعين آيةً مباركة.

والتعبيرُ ﴿لِقَوْمٍ﴾... مدارُ بحثنا..... بمشيئةِ الله تعالى.

ولنبداً في البحث بشيءٍ من التفصيل:

فأقول: وجدتُ كلمةَ ﴿لِقَوْمٍ﴾ أتبعَت بفعلٍ مضارعٍ وبصيغٍ مختلفةٍ، كالتالي..

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،

﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾،

﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

وهذه الصيغُ العشرةُ المباركةُ موزَّعةٌ على ١٦ سورةً فقط، وهي كالتالي وبالترتيب:

البقرة - المائدة - الأنعام - الأعراف - التوبة - يونس عليه السلام - يوسف عليه السلام - الرعد -

النحل - النمل - القصص - العنكبوت - الروم - الزمر - فصلت - الجاثية.

وأنا لأقرُّ بوجود عشرةِ أقوامٍ مختلفةِ البتَّة. بل أجزمُ وبالدليل على وحدانيةِ القوم.

وقد اجتمعت فيهم كلُّ هذه الصفات المباركة، كما سنثبته لاحقاً.

وإلا فما تعليلٌ ظهورِ ثلاثةِ صفاتٍ في ثلاثِ آياتٍ متتابعةٍ في سورةٍ واحدةٍ!!

وهي سورة النحل وكما يلي:

﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل ١١.

﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ النحل ١٢.

﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ النحل ١٣.

فلا يمكن بحالٍ من الأحوال أن نتصوّر أن الله تعالى في حال مدحٍ لثلاثةِ أقوامٍ مختلفين!! فيعطي لكل قومٍ منهم صفةً خاصةً بهم مختلفة.

أرى أن ذلك يأباه المنطق السليم، ويأباه العقل الراجح..

وكذلك ورود عدّة صفاتٍ في سورة الروم وكما يلي:

﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم ٢١.

﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ الروم ٢٣.

﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الروم ٢٤.

﴿..... نَفْصًا لِّآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الروم ٢٨.

﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الروم ٣٧.

فتلاحظ هنا ورود خمسِ صفاتٍ مختلفة، فلا نتصور وجود خمسِ أقوامٍ مختلفين...

وما ذكرناه مجردُ مثال، وقد تكرر ذكرُ الأقوامِ وبصفاتٍ مختلفةٍ في سورٍ أخرى مثل

الأنعام والأعراف ويونس والجاثية وغيرها... كما سنرى لاحقاً.

فنعود ونقول: تلك عشرة صيغٍ مدحٍ رائعةً بالتمام، ويتمنى كلُّ مؤمنٍ أن يقترَبَ منها فضلاً أن يتلبَّسَ بها.

بربِّك... لو جُمعتْ هذه الصفاتُ المثاليةُ الرائعةُ في ذاتِ إنسانٍ واحدٍ!! فما تحصيل ذلك؟؟، أليس ذلك ذروة الكمال الإنساني ومنتهى الحكمة الإلهية من خلق البشر؟. بأن يكون الإنسان (مؤمناً عالماً عاقلاً متفكراً فقيهاً موقناً تقياً شاكراً سامعاً متذكراً)!!.

وأدرُكُ على وجه اليقين أنه لا يوجدُ أحدٌ من أمةِ محمدٍ ﷺ يحملُ هذه الصفاتِ بخلوصها التام إلا آل محمد ﷺ. وكل ما نُحصيه من صفاتٍ حسنةٍ أخرى فهي تبعٌ لهذه الصفات العشر، والتي شاء الله أن ينعتَ بها هؤلاء القومَ المباركين. فهم القُدواتُ، وكلُّ رعايا الأمة أُلزموا بالإقتداء بهم.

تنبيهٌ حول العنوان:

أعطينا عنواناً لهذه الرسالة على وجه غلافِ الكتاب هو (قومٌ في ذرى الكمال) وهو بيانٌ خصوصيةِ هؤلاء القوم الذين هم من حمل هذه الصفات بشكلها المثالي المُطلَق، فأصبحوا قدوةً ومناراً للثقلين من خلقِ الله جلَّ علاه.

وارتأينا عنواناً لبحثنا عند المباشرة في تفاصيله هو (قومٌ بصفاتِ الكمالِ المنشودة). وهذا العنوانُ يُمثِّلُ حُلْمَ الإنسانية كما أراه. أن يحمل الإنسان هذه الصفاتِ العشرة المذكورة آنفاً؛ تلك أمانةٌ رائعة؛ والتي أراد الله تعالى أن يرانا مُتَحلِّين بها، ليكرمنا برضاه باقتدائنا بخواصِّ الله ﷺ حاملي هذه الصفات المباركات.



قَوْمٌ

بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمَنْشُودَةِ





الفصل الأول

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾



﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

وقد ذكرت في ١٣ آية مباركة، وسنذكرها حسب تسلسلها في المصحف:

١. ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام ٩٩.
٢. ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف ٥٢.
٣. ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف ١٨٨.
٤. ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف ٢٠٣.
٥. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يوسف ١١١.
٦. ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ النحل ٦٤.

٧. ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ النحل ٧٩.

٨. ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ النمل ٨٦.

٩. ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ القصص ٣.

١٠. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ العنكبوت ٢٤.

١١. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ العنكبوت ٥١.

١٢. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الروم ٣٧.

١٣. ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الزمر ٥٢.

وقد ورد ﴿لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مرة واحدة في قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ المؤمنون ٤٤.

والغريب أن القرآن الكريم لم يرد فيه صيغة الترجي «لعلهم يؤمنون»!!!.

بينما صيغ الترجي للصفات الأخرى واردة مثل ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ ﴿لَعَلَّهُمْ

يَهْتَدُونَ﴾؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ الخ... وهي وقفة تستحق التأمل !.

لكن ورد الترجي بلقاء الله هكذا ﴿لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام ١٥٤ .

إشارات لغوية - وتعريف الإيمان:

[والإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ضد الكذب. يقال: آمن به قومٌ وكذب به قوم... أصل آمن آمن بهمزين لئنت الثانية...، وآمن بالشيء: صدق وأمن كذب من أخبره... الإيمان: إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي ﷺ، واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمنٌ مسلمٌ غير مرتابٍ ولا شكٍّ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجبٌ عليه لا يدخله في ذلك ريبٌ.

وفي التنزيل العزيز ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ يوسف ١٧. أي بمُصدقٍ، والإيمان التصديق. (التهذيب): وأما الإيمان فهو مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمنٌ. وانفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق، قال الله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ الحجرات ١٤، قال: وهذا موضع يحتاج الناس إلى تفهيمه، وأين ينفصل المؤمن من المسلم؟ وأين يستويان؟، والإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي ﷺ، وبه يُحَقَّنُ الدَّمُ، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقادٌ وتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذي يقال للموصوف به هو مؤمنٌ مسلمٌ، وهو المؤمن بالله ورسوله غير مرتابٍ ولا شكٍّ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجبٌ عليه، وأن الجهاد بنفسه وماله واجبٌ عليه لا يدخله في ذلك ريبٌ، فهو المؤمن وهو المسلم حقاً؛ كما قال الله عز وجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

أَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿الحجرات ١٥﴾ أي أولئك الذين قالوا إنا مؤمنون فهم الصادقون، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مُسلمٌ وباطنه غيرُ مصدِّقٍ، فذلك الذي يقولُ أسلمتُ، لأنَّ الإيمان لا بدَّ من أن يكون صاحبه صدِّيقاً، لأن قولك آمنتُ بالله أوقال قائلٌ آمنتُ بكذا وكذا فمعناه صدقتُ، فأخرج الله هؤلاء من الإيمان، فقال ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ﴿الحجرات ١٤﴾ أي لم تُصدِّقوا، إنما أسلمتمُ تعوذاً من القتل، فالمؤمنُ مُبطنٌ من التصديق مثل ما يُظهِرُ، والمسلمُ التامُّ الإسلامِ مُظهِرٌ للطاعة مؤمنٌ بها، والمسلمُ الذي أظهر الإسلامَ تعوذاً غيرُ مؤمنٍ في الحقيقة، إلا أنَّ حُكمه في الظاهر حكمُ المسلمين. وقال الله تعالى حكايةً عن إخوة يوسف لأبيهم ﴿مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ﴿يوسف ١٧﴾ لم يختلف أهل التفسير أنَّ معناه ما أنت بمُصدِّقٍ لنا. والأصلُ في الإيمان الدخولُ في صدقِ الأمانة التي أئتمنه الله عليها، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدَّى الأمانة وهو مؤمنٌ، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤدِّ للأمانة التي أئتمنه الله عليها وهو مُنافقٌ... (١).

وقال صاحبُ (مفردات ألفاظ القرآن): [والإيمانُ يُستعمل تارةً إسماءً للشريعة التي جاء بها محمدٌ ﷺ، وعلى ذلك ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى﴾ المائدة ٦٩، ويوصفُ به كلُّ من دخل في شريعته مقرراً بالله وبنبوته. قيل: وعلى هذا قال تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿يوسف ١٠٦﴾.

وتارةً يُستعمل على سبيل المدح، ويُراد به إذعانُ النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيقُ بالقلب وإقرارُ باللسان وعملٌ بحسب

(١) لسان العرب: ج ١٣ ص ٢١-٢٤ باب (آمن).

ذلك بالجوارح، وعلى هذا قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحديد ١٩. ويُقال لكل واحدٍ من الاعتقادِ والقولِ الصدقِ والعملِ الصالحِ إيمانٌ.

قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ البقرة ١٤٣: أي صلاتكم.

وجعل الحياءَ وإماطةَ الأذى من الإيمان. قال تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ يوسف ١٧: قيل معناه بمُصدقٍ لنا، إلا أن الإيمانَ هو التصديق الذي معه أمن؛ وقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ النساء ٥١، فذلك مذكورٌ على سبيل الذمِّ لهم، وأنه قد حصل لهم الأمنُ بما لا يقع به الأمنُ، إذ ليس من شأنِ القلبِ ما لم يكن مطبوعاً عليه أن يطمئن إلى الباطل، وإنما ذلك كقوله ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النحل ١٠٦، وهذا كما يقال إيمانه الكفرُ وتحيته الضرب ونحو ذلك. [١].

وقال السيد الطباطبائي [والإيمانُ هو الإذعانُ والتصديقُ بشيءٍ بالالتزام بلوازمه. فالإيمانُ باللهِ في عُرف القرآنِ التصديقُ بوحْدانيَّتهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ وبما جاءت به رُسُلُهُ مع الإِتباعِ في الجملة، ولذا نجدُ القرآنَ كلما ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ بوصفٍ جميلٍ أو أجرٍ جزيلٍ شَفَعَ الإيمانَ بالعملِ الصالحِ، كقوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (٢) فَلَنَحْنِيبُنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل ٩٧، وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا بَدَّ الرَّعْدُ ٢٩﴾ الرعد ٢٩ إلى غير ذلك من الآيات وهي كثيرةٌ جداً. وليس مجردُ

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٩١.

(٢) وبالمثل قوله تعالى ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

يُرزقون فيها بغيرِ حسابٍ﴾ غافر ٤٠.

الإعتقادِ بشيءٍ إيماناً به، حتى مع عدمِ الإلتزامِ بلوازمه، لكن العلمَ ربما ينفكُّ من السكونِ والإلتزامِ، ككثيرٍ من المعتادين بالأعمالِ الشنيعةِ أو المضرّةِ، فإنهم يعترفون بشناعةِ عملهم أو ضرره، لكنهم لا يتركونها معتذرين بالإعتياد. وقد قال تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ النمل ١٤ .

والإيمانُ وإن جاز أن يجتمع مع العصيان عن بعض لوازمه في الجملة لصارِفٍ من الصوارِفِ النفسانية يصرف عنه، لكنه لا يتخلّف عن لوازمه بالجملة. (١).

وذكر السيدُ في مكانٍ آخر [الإيمانُ بالشيءِ ليس مجردُ العلمِ الحاصلِ به كما يُستفاد من أمثالِ قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ...﴾ محمد ﷺ ٢٥، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ...﴾ محمد ﷺ ٣٢، وقوله ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ...﴾ النمل ١٤، وقوله ﴿..وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ..﴾ الجاثية ٢٣، فالآيات كما ترى تُثبتُ الإرتدادَ والكفرَ والجحودَ والضلالَ مع العلمِ!. فمجردُ العلمِ بالشيءِ والجزمُ بكونه حقاً لا يكفي في حصولِ الإيمانِ واتصافِ من حصلَ له به بل لابد من الإلتزامِ بمقتضاهِ وعقدِ القلبِ على مُؤدّاهِ، بحيث يترتبُ عليه آثاره العملية ولو في الجملة، فالذي حصلَ له العلمُ بأنَّ اللهَ تعالى إلهٌ لا إلهَ غيره فالتزمَ بمقتضاهِ وهو عبوديتهُ وعبادتهُ وحدهِ كان مؤمناً. ولو علمَ به ولم يلتزم فلم يأتي بشيءٍ من الأعمالِ المُظهرةِ للعبوديةِ كان عالماً وليس بمؤمنٍ!. ومن هنا يظهرُ بطلانُ ما قيل: أن الإيمانَ هو العملُ وذلك لأن العملَ يُجامعُ النفاقَ!، فالمنافقُ له عملٌ، وربما كان ممن ظهر له الحقُّ ظهوراً علمياً ولا إيماناً له على أيِّ حالٍ!. وإذ

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٥-١٦ ص ٥ تفسير سورة المؤمنون (١).

كان الإيمان هو العلمُ بالشيءِ مع الإلتزام به بحيث يترتب عليه آثاره العملية، وكلُّ من العلمِ والإلتزام مما يُزادُ وينقصُ ويشتدُّ ويضعفُ كان الإيمانُ المؤلَّفُ منهما قابلاً للزيادةِ والنقيصةِ والشدةِ والضعفِ. فاختلافُ المراتبِ وتفاوتُ الدرجاتِ من الضرورياتِ التي لا يُشكُّ فيها قط. هذا ما ذهب إليه الأكثرُ وهو الحق، ويدلُّ عليه من النقلِ قوله تعالى ﴿.. لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ..﴾ الفتح ٤ وغيره من الآيات. وما ورد من أحاديث أهل البيت عليهم السلام الدالة على أن الإيمان مراتبٌ. (١).

القرآن الكريمُ يصفُ المؤمنين:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال ٢ - ٤.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور ٦٢.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحجرات ١٠.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحجرات ١٥.

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٧-١٨ ص ٤٨٨ تفسير سورة الفتح، بحث (كلامٌ في الإيمان وازدياده).

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ المؤمنون ١-١١.

وبشأنها ورد الحديث [عنه عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْكُوفِيِّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى وَمَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ بَزْرَجَ عَنْ بَشِيرِ الدَّهَّانِ عَنْ كَامِلِ التَّمَّارِ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام]:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أَتَدْرِي مَنْ هُمْ؟ قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ. قَالَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمُ النُّجَبَاءُ؛ وَالْمُؤْمِنُ غَرِيبٌ؛ وَالْمُؤْمِنُ غَرِيبٌ. ثُمَّ قَالَ: طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ. [١].

كما ورد: [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ الْأَحْوَلِ عَنْ كَامِلِ التَّمَّارِ؛ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَوَحْدِي؛ فَنَكَسَ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَقَالَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ الْمُسْلِمُونَ؛ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمُ النُّجَبَاءُ. يَا كَامِلُ؛ النَّاسُ كُلُّهُمْ بَهَائِمٌ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَالْمُؤْمِنُ غَرِيبٌ. [٢].

وهنا بعضٌ وصفهم ﴿هُدَىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ. الَّذِينَ يَتَّقُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ النمل ٢-٣.

(١) المحاسن: ج ١ ص ٢٧٢ باب ٣٧ تصديقُ رسولِ اللهِ ﷺ والتسليم له. ح ٣٦٦،

وقريبٌ منه الكافي: ج ١ ص ٣٩١ بابُ التَّسْلِيمِ وَفَضْلِ الْمُسْلِمِينَ ح ٥.

(٢) بصائر الدرجات: ج ١ ص ٥٢٢ باب ٢٠ في التسليم لآلِ محمدٍ ﷺ فيما جاء عندهم عليه السلام ح ١٣.

القرآن الكريم يصف المنافقين ومن هم في شك:

إن الذين ادّعوا الإيمان زوراً فهم المنافقون، كما أشار لنا القرآن الكريم بقوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة ٨ - ٢٠. فقد ورد: [حدَّثني أبو جعفر أحمد بن محمد بن الحسن بن سعيد عن النضر بن سويد عن يحيى بن الحلبي عن معلى بن أبي عثمان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام؛ قال قال لي: إن الحكم بن عتيبة ممن قال الله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾؛ فليشرك الحكم وليعرب؛ أما والله؛ لا يصيب العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام].^(١)

كما ورد: [عن أبي بصير قال أبو جعفر عليه السلام يقول: إن الحكم بن عتيبة وسلمة وكثير النواء وأبا المقدام والتمار - يعني سالمًا - أضلوا كثيراً ممن ضل من هؤلاء الناس؛ وإيهم ممن قال الله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾؛ وإيهم ممن قال الله ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ يخلفون بالله ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ المائة ٥٣].^(٢)

(١) بصائر الدرجات: ج ١ ص ٩ باب ٦ ما أمر الناس بأن يطلبوا العلم من معدنه ومعدنه آل محمد عليه السلام ح ٢، الكافي: ج ١ ص ٣٩٩ باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة عليهم السلام؛ وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل ح ٤.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٢٦ ح ١٣٤.

وقوله تعالى ﴿... مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ المائدة ٤١ .
والمعنى إيمانٌ باللسان فقط !! . فقد ورد:

[وأما قوله ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ لقمان ٢٠؛ قَالَ فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبِي
عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْمِنْقَرِيِّ عَنْ شَرِيكَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَرَأَ رَجُلٌ
عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾؛ قَالَ: أَمَّا النِّعْمَةُ الظَّاهِرَةُ فَهُوَ
النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَوْحِيدِهِ؛ وَأَمَّا النِّعْمَةُ الْبَاطِنَةُ فَوَلَايَتُنَا
أَهْلَ الْبَيْتِ وَعَقْدُ مَوَدَّتِنَا؛ فَاعْتَقَدَ وَاللَّهِ قَوْمٌ هَذِهِ النِّعْمَةُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَاعْتَقَدَهَا
قَوْمٌ ظَاهِرَةٌ وَلَمْ يَعْتَقِدُوا بَاطِنَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ
فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ فَفَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ عِنْدَ
نُزُولِهَا؛ إِذْ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ تَعَالَى إِيْمَانَهُمْ إِلَّا بَعْدَ وَلَايَتِنَا وَمَحَبَّتِنَا. ^(١).

وبشأن الآية ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ العنكبوت ١١ .
[الصَّادِقُ عليه السلام]: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَعْنِي بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام وَوَلْيَعْلَمَنَّ
الْمُنَافِقِينَ ﴿يَعْنِي الَّذِينَ أَنْكَرُوا وَلَايَتَهُ﴾ ^(٢).

والمنقول عن كتب المخالفين [ابن بطّة من سِتَّةِ طُرُقٍ وَابْنُ مَاجَهَ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَمُسْلِمٌ وَالبُخَارِيُّ وَأَحْمَدُ وَابْنُ البَيْعِ وَأَبُو الْقَاسِمِ الْأَصْفَهَانِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ
عَنْ وَكَيْعٍ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ بِأَسَانِيدِهِمْ عَنْ زُرَّابِنِ حَيْشٍ قَالَ عَلِيُّ عليه السلام: وَالَّذِي
فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ أَنَّهُ لَا يُحِبُّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُنِي إِلَّا
مُنَافِقٌ. ^(٣).

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ١٦٦ .

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٢٦٣ باب ٨٧ حبُّ عليٍّ عليه السلام إيمان وبغضه كُفْر . فقرة ٣٥ .

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٢٦٢ باب ٨٧ حبُّ عليٍّ عليه السلام إيمان وبغضه كُفْر . فقرة ٣٥ .

وقوله تعالى في الشاكن في أمر الآخرة ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وما كان له عليهم من سلطانٍ إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ﴿سبأ ٢٠-٢١﴾. فقد ورد:

[قَالَ فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ ابْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَنْصِبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِلنَّاسِ فِي قَوْلِهِ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ المائدة ٦٧ فِي عَلِيٍّ بِغَدِيرِ حُجْمٍ فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ؛ فَجَاءَتِ الْأَبَالِسَةُ إِلَى إِبْلِيسَ الْأَكْبَرِ؛ وَحَثُوا التُّرَابَ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ عَقَدَ الْيَوْمَ عَقْدَةً لَا يُجْلُّهَا شَيْءٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: كَلَّا؛ إِنَّ الَّذِينَ حَوْلَهُ قَدْ وَعَدُونِي فِيهِ عِدَّةً لَنْ يُجْلِفُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ الآية [١]. وورد:

[عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَذْكُرُ فِي حَدِيثِ غَدِيرِ حُجْمٍ؛ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله لِعَلِيِّ عليه السلام مَا قَالَ وَأَقَامَهُ لِلنَّاسِ؛ صَرَخَ إِبْلِيسُ صَرْخَةً فَاجْتَمَعَتْ لَهُ الْعَفَّارِيْتُ؛ فَقَالُوا: يَا سَيِّدَنَا مَا هَذِهِ الصَّرْخَةُ؟ فَقَالَ: وَيَلِكُمْ؛ يَوْمُكُمْ كَيَوْمِ عَيْسَى؛ وَاللَّهِ لَأَضِلَّنَّ فِيهِ الْخَلْقَ. قَالَ: فَتَزَلَّ الْقُرْآنُ ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فَقَالَ: صَرَخَ إِبْلِيسُ صَرْخَةً؛ فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ الْعَفَّارِيْتُ؛ فَقَالُوا: يَا سَيِّدَنَا مَا هَذِهِ الصَّرْخَةُ الْأُخْرَى؟ فَقَالَ: وَيَحْكُمُ؛ حَكَى اللَّهُ وَاللَّهِ كَلَامِي قُرْآنًا؛ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا لُحِقَنَّ الْفَرِيقَ بِالْجَمِيعِ. قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

سُلطان ﴿الحجر ٤٢، الإسراء ٦٥﴾.

قَالَ: صَرَخَ إِبْلِيسُ صَرَخَةً؛ فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ الْعَفَارِيْتُ؛ فَقَالُوا: يَا سَيِّدَنَا مَا هَذِهِ الصَّرْخَةُ الثَّلَاثَةُ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ؛ وَلَكِنَّ بَعَزَتِكَ وَجَلَالِكَ يَا رَبِّ لِأُزَيْنَنَّ لَهُمُ الْمَعَاصِيَ حَتَّى أَبْغَضَهُمْ إِلَيْكَ. قَالَ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: وَالَّذِي بَعَثَ بِالْحَقِّ مُحَمَّدًا؛ لِلْعَفَارِيْتُ وَالْأَبَالِسَةُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرَ مِنَ الزَّنَابِيرِ عَلَى اللَّحْمِ؛ وَالْمُؤْمِنُ أَشَدُّ مِنَ الْجَبَلِ؛ وَالْجَبَلُ يُسْتَقَلُّ مِنْهُ بِالْفَأْسِ؛ فَيُنْحَتُ مِنْهُ؛ وَالْمُؤْمِنُ لَا يُسْتَقَلُّ عَلَى دِينِهِ. ^(١).

وقوله تعالى ﴿ها أنتم أولاءُ تحبُّونهم ولا يحبُّونكم وتؤمنون بالكتابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بَذَاتِ الصُّدُورِ﴾ آل عمران ١١٩. مؤشِّرٌ آخرٌ للنفاق.

ولا ننسى أن الله تعالى يفتن المسلم ليميز المؤمن عن المنافق بقوله تعالى:
﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ العنكبوت ٢-٣. فقد ورد:

[وقام إليه رجلٌ فقال: يا أمير المؤمنين؛ أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنها؟ فقال عليه السلام: إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ ﴿أَلَمْ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ؛ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتَشْهِدَ مَنْ اسْتَشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ

(١) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٣٠١ ح ١١١.

فَقُلْتُ لِي: أَبَشِّرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ؟ فَقَالَ لِي: إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ؛ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ؛ وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ، وَقَالَ: يَا عَلِيُّ؛ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ؛ وَيَمْنُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ؛ وَ يَتَمَنُونَ رَحْمَتَهُ؛ وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ؛ وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ؛ فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيدِ وَالسُّحْتِ بِالْهَدْيَةِ وَالرَّبَا بِالْبَيْعِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أَنْزَلَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؛ أِبْمَنْزِلَةٍ رَدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةٍ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: بِمَنْزِلَةٍ فِتْنَةٍ. ^(١).

وفي رواية أخرى [وهذا الخبر مروى عن رسول الله ﷺ قد رواه كثير من المحدثين عن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال له: إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليَّ جهاد المشركين. قال فقلت: يا رسول الله؛ ما هذه الفتنة التي كتبت عليَّ فيها الجهاد؟ قال: قومٌ يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؛ وهم مخالفون للسنة. فقلت: يا رسول الله؛ فعلامٌ أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟ قال: على الإحداث في الدين ومخالفة الأمر. فقلت: يا رسول الله؛ إنك كنت وعدتني الشهادة؛ فأسأل الله أن يجعلها لي بين يديك، قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين؛ أما إني وعدتكَ الشهادة وستشهد؛ تُضربُ على هذه فتُخضبُ هذه؛ فكيف صبرُك إذا...] ^(٢).

سبحان الله! فلولا أن الله رحِمَ هذه الأمة بسيدِ خلقه محمدٍ صلى الله عليه وآله وأهل بيته

(١) شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ج ٩ ص ٢٠٥ [١٥٧] في ما أخبر به عليه السلام عن الفتنة وسؤاله رسول الله ﷺ عنها.

(٢) شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ج ٩ ص ٢٠٦ [١٥٧] في ما أخبر به عليه السلام عن الفتنة وسؤاله رسول الله ﷺ عنها.

الطاهرين لَنَفَذَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ المؤمنون ٤٤ .
 وقوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا
 أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . أَوَلَا يَعْلَمُونَ
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ البقرة ٧٦-٧٧ . مؤشِّرٌ آخِرٌ للنفاق !!

المزيد من التفسير:

بشأن الآية الكريمة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ
 الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ الحجرات ٧ . فقد ورد:

[ح ٧١ . الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَوْرَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ
 حَسَّانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ
 مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ الحج ٢٤ . قَالَ: ذَلِكَ حَمَزَةٌ وَجَعْفَرٌ وَعَبِيدَةُ
 وَسَلْمَانَ وَأَبُو ذَرٍّ وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَعَمَّارٌ هُدُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام .

وَقَوْلُهُ ﴿حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛

﴿وَكُرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثُ .^(١)

وهي إشارة واضحة الى أن أمير المؤمنين هو محض الإيمان .

كما ورد [قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا
 يَحْيَى بْنُ يَعْلَى عَنْ يُونُسَ بْنِ خَبَّابٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: حُبُّ عَلِيِّ إِيْمَانٌ وَبُغْضُهُ
 نِفَاقٌ . ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ .^(٢)

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٢٦ باب فيه نكت و نطف من التنزيل في الولاية ح ٧١ .

(٢) تفسير فوات الكوفي: ص ٤٢٨ ح ٥٦٥ .

وبشأن الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ الطور ٢١. فقد ورد:

[مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ عَنِ الْخَشَّابِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ قَالَ:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتُهُ الْأَيْمَّةُ وَالْأَوْصِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؛ ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾ وَلَمْ نَنْقُصْ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الْحُجَّةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَحُجَّتُهُمْ وَاحِدَةٌ وَطَاعَتُهُمْ وَاحِدَةٌ. [١].

وبشأن الآية الكريمة الواصفة لمن هم يؤمنون بآيات ربهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ المؤمنون ٥٧ - ٦١. فقد ورد بشأنها:

[قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ سَعِيدٍ مُعْنَعًا عَنْ أَبِي الْجَارُودِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ﴿الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾؛ [قَالَ]: نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. [٢].

وفي الحديث الذي قبله ح ٣٧٦ عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

[عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَسْبِقْهُ (أَحَدٌ)].

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٧٥ باب في أن الأئمة صلوات الله عليهم في العلم والشجاعة والطاعة سواء ح ١.

(٢) تفسير فورات الكوفي: ص ٢٧٨ ح ٣٧٧.

وبشأن الآية الكريمة ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ التغابن ٢؛

فمعلوم يقيناً أنّ كل مؤمنٍ وكل كافرٍ مُعرَّفٌ منذ آدم ﷺ اعتماداً على الرواية:

[مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ مَجْبُوبٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ نَعِيمِ الصَّحَّافِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾؟، فَقَالَ: عَرَفَ اللَّهُ إِيْمَانَهُمْ بِوَلَايَتِنَا وَكُفْرَهُمْ بِهَا؛ يَوْمَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ فِي صُلْبِ آدَمَ ﷺ وَهُمْ ذُرِّيَّةٌ. (١)]

إشارة وتعليق:

١. في ١٣ آية مباركة في أول البحث ذكر الله سبحانه هؤلاء القوم فنعتهم بالإيمان؛ وجعل هذه الصفة ملازمة لهم، وهي الصفة الفطرية النقية على خلاف الآخرين، حيث جعل مشيئتهم الشخصية هي التي تُحدّد الإلتزام بهذه الصفة أو عدمها، بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ الكهف ٢٩

٢. من المعلوم أنّ قوله تعالى ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فيه ذكرٌ للفعل المضارع ولم يقل تعالى «لِقَوْمٍ آمَنُوا» فذلك للدلالة على الإستمرارية في نهج الإيمان بلا توقف أو فتور، وهذا أعلى بلاغة لأغراض التوكيد كما يعلمه أهل اللغة. أي أنهم على الإيمان التام المطلق في اللحظة بعد اللحظة. والإيمان لا ينفك عنهم لظرف طارئٍ مهمما يكن نوعه، أي لم تحصل حالة ضعفٍ بالإيمان مطلقاً ولو طرفة عينٍ أبداً. والمُرادُ بالإيمان هنا الإيمان المحض الذي لا يفارق بطبعه الطاعة والإتباع. وبذلك نعلم أنّ من وصفهم الله تعالى بأنهم قومٌ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ هم صفوة الخلق معدودون ومصطفون.

٣. وجدت النصّ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قد ورد ١٧ مرة ؛ وبالتركيز على الآية

(١) الكافي: ج ١ ص ٤١٣ بابٌ فِيهِ نُكْتُ وَنُتِفٌ مِنَ التَّنْزِيلِ فِي الْوَلَايَةِ ح ٤.

الكريمة ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام ١٢٥، مع المقارنة مع النصِّ القرآني ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقتضي منطقياً أنَّ المُشارِ اليهم بـ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لا رجس عليهم أبداً، أي أنهم متلبسون بالإيمان التام المطلق؛ فهم مُطَهَّرُونَ من الرجس تماماً، بل نُجزمُ أنهم هم أنفسهم المُخاطَبُونَ في آيةِ التَطهيرِ المباركة ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الأحزاب ٣٣.

أي أن المُشارِ اليهم بـ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هم أهل البيت ﷺ حصراً، وهم ذووا الإيمانِ المُطلقِ لا الإيمانِ النسبي. ولا تظنَّ أنَّ جزءَ الآيةِ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في الآيةِ المذكورةِ أعلاه يُقصدُ بهم أهل الكتاب أو الكفار!، بل هم عامةُ المسلمين؛ وهم الذين لا يؤمنون إيماناً تاماً خالصاً، فهم ذووا إيمانٍ متفاوتٍ كُلُّ بقدرةٍ و حسبِ ثقاه، لأنَّ الإيمانَ منازلٌ ومراتب؛ ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ الأنعام ١٣٢، وبالتالي فإنَّ جميعَ المسلمين قد مسَّهمُ الرجسُ بقدَرٍ يتناسبُ عكسياً مع قدرِ إيمانهم، وهذا معلومٌ لكلِّ ذي عقل، ومن يُنكرُ ذلك فهو مكابرٌ وعنيد.

وهنا لنا وقفة: فنحن لانكرُ وجودَ فئةٍ قليلةٍ (جداً جداً) من الصحابةِ لا يحملون الإيمانَ التامَ الخالصَ، لكنهم وصلوا بإيمانهم الى مراتبٍ عاليةٍ يُعَبِّطُونَ عليها!! بفضلِ عقولهم المميَّزةِ وعظيمِ طاعتهم لله جلَّ علاه وطاعتهم للرسول ﷺ وحرهم الصُّروسِ للهوى والشيطان. من أمثالِ سلمان المحمدي ؓ وحمزة بن عبد المطلب ؓ وجعفر بن أبي طالب ؓ والمقداد بن الأسود الكندي وعمار بن ياسرٍ وأبي ذرِّ الغفاري وحذيفة بن اليمان وخزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين)

وابن التَّيَّهَانِ^(١) وسعد بن معاذٍ وغسيلِ الملائكةِ^(٢) وهاشمِ المرقالِ^(٣) وأبو أيُّوب الأنصاري^(٤) وعبيدةُ بنُ الحارثِ^(٥) وزَيْدُ بنُ حارِثةَ^(٦) وأبو دجانةَ الأنصاري^(٧) وأضرابهم رضوانُ اللَّهِ عليهم.

«راجع كتاب سليم الكوفي ج ٢ ص ٦٣٨ الهامش»، وهم معدودون ممن نالوا رضوانَ اللَّهِ تعالى ورضى رسولُه الكريم ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻤُؤمِنِينَ، فتميّزوا عن سائر الصحابةِ بصدقهم وكانوا لعهدهم راعون، هم شيعةُ عليِّ بن أبي طالب ﺍﻟﻤُؤمِنِينَ وأهل بيته ﺍﻟﻤُؤمِنِينَ وخواصهم، وهم المعبرُّ عنهم بأولي الألباب في عِدَّةِ سُورٍ من القرآن الكريم كما سنذكره لاحقاً.

(١) أبو الهيثم مالك ابن التَّيَّهَانِ الأوسى الأنصاري؛ شهدَ المشاهدَ كُلَّها مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو من الاثني عشر الذين أنكروا على أبي بكرٍ عَصَبَ الخِلافةِ؛ ولِزَمَ أميرَ المؤمنين ﺍﻟﻤُؤمِنِينَ إلى أن استشهد بين يديه بصفين.

(٢) حَنْظَلَةُ بنُ الرَّاهِبِ: هو الذي استشهد يومَ أحدٍ؛ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: رأيت الملائكةَ يغسلون ابن أبي عامر. فلَمَّا رجع رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينة سأل زوجته عن حاله؟ قالت: لَمَّا كان حنظلة راغباً في الجهاد توجه إلى الحرب بدون أن يغتسل للجنازة، فلذا يقال له: «غسيلُ الملائكة».

(٣) هاشم بن عتبة المرقال الزهري: كان من أصحاب رسولِ اللَّهِ ﷺ وكان من الفضلاء الأختيار. كان من الأبطال، فُقعت عينه يومَ اليرموك؛ شهد مع عليٍّ ﺍﻟﻤُؤمِنِينَ والجمالِ وصفينَ وأبلى بلاءً حسناً وقُتل في صفين.

(٤) أبو أيُّوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأمير المؤمنين ﺍﻟﻤُؤمِنِينَ؛ شهد بدرًا وأحدًا والعقبةَ وسائر المشاهد؛ وكان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين ﺍﻟﻤُؤمِنِينَ وكان ممن أنكروا على أبي بكر. و شهد مع عليٍّ ﺍﻟﻤُؤمِنِينَ مشاهدَه كُلَّها وكان على مقدمته يومَ النهروان.

(٥) أبو الحارث عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، صحابيٌّ كان أسنَّ من رسولِ اللَّهِ ﷺ بعشر سنين؛ شهد بدرًا وتوفى عائدا منها عن ٦٣ سنة.

(٦) وزيد بن حارثة هو الذي تبناه رسولُ اللَّهِ ﷺ وجعله أميراً على سرية مؤتة من أرض الشام؛ فقتل هناك في سنة ثمانٍ من الهجرة.

(٧) هو مالك بن حرشة أخو بني سعدة من الأنصار، وهو ممن أبلى بلاءً حسناً يومَ أحد.

٤. أما في شأن الخطاب الإلهي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١) في كتابه الكريم فقد ورد:

[عَنْ جَيْمِلِ بْنِ دَرَّاجٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ إِبْلِيسَ أَكَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ أَوْ كَانَ يَلِي شَيْئًا مِنْ أَمْرِ السَّمَاءِ؟ فَقَالَ: لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؛ وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَرَى أَنَّهُ مِنْهَا؛ وَكَانَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهَا؛ وَلَمْ يَكُنْ يَلِي شَيْئًا مِنْ أَمْرِ السَّمَاءِ وَلَا كَرَامَةً. فَأَتَيْتُ الطَّيَّارَ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا سَمِعْتُ، فَأَنْكَرَ؛ وَقَالَ: كَيْفَ لَا يَكُونُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ وَاللَّهِ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾^(٢) البقرة ٣٤، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الطَّيَّارُ فَسَأَلَهُ وَأَنَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فِي غَيْرِ مَكَانٍ فِي مُحَاطَبَةِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْدُخُلُ فِي هَذِهِ الْمُنَافِقُونَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ؛ يَدْخُلُونَ فِي هَذِهِ الْمُنَافِقُونَ وَالضُّلَّالُ وَكُلُّ مَنْ أَقْرَبَ بِالدَّعْوَةِ الظَّاهِرَةِ.]^(٣)

وبشأن الآية الكريمة ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾^(٤) المدثر ٣١. فقد ورد:

[عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ ابْنِ مَجْبُوبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَاضِيِّ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ... قُلْتُ ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾؟ قَالَ: يَسْتَيْقِنُونَ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَوَصِيَّهُ حَقٌّ. قُلْتُ ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾؟ قَالَ: وَيَزِدَادُونَ بِوَلَايَةِ الْوَصِيِّ إِيمَانًا. قُلْتُ ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؟ قَالَ: بِوَلَايَةِ عَلِيِّ عليه السلام. قُلْتُ: مَا هَذَا الْإِزْتِيَابُ؟ قَالَ: يَعْنِي بِذَلِكَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ؛ فَقَالَ: وَلَا يَرْتَابُونَ فِي الْوَلَايَةِ...]^(٤)

(١) ذُكِرَتْ فِي ٨٩ آيَةٍ.

(٢) كَذَلِكَ فِي الْأَعْرَافِ ١١، الْإِسْرَاءِ ٦١، الْكَهْفِ ٥٠، طه ١١٦.

(٣) تَفْسِيرُ الْعِيَاشِيِّ: ج ١ ص ٣٣ ح ١٥.

(٤) الْكَافِي: ج ١ ص ٤٣٢ باب فِيهِ نَكَتٌ وَتَنْفٌ مِنَ النَّزِيلِ فِي الْوَلَايَةِ ح ٩١.

أوجهُ الإيمانِ الأربعةِ في كتابِ اللهِ:

وَالْإِيمَانُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَى أَرْبَعَةٍ أَوْجُهٍ، فَمِنْهُ إِقْرَارُ بِاللِّسَانِ؛ قَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ إِيْمَانًا، وَمِنْهُ تَصَدِيقُ بِالْقَلْبِ، وَمِنْهُ الْأَدَاءُ، وَمِنْهُ التَّأْيِيدُ.

(الأول) الْإِيمَانُ الَّذِي هُوَ إِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِيْمَانًا وَنَادَى أَهْلَهُ بِهِ لِقَوْلِهِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا. وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَغِيَ فَبِأَفْئُتٍ مِثْلُ خَيْبٍ أَنْ يَضُرَّكُمْ مِنْ شَيْءٍ وَقَدْ يُنَادِي بِالسَّلَامِ عَلَيْكُمْ فَبِأَفْئُتٍ مِثْلُ خَيْبٍ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَّقُونَ اللَّهُ لَآتَيْنَهُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَيَالُونَ مِمَّا قَسَتْ حَتَّىٰ ضَلَّ جُودُهَا وَالنَّاسُ حَرِيبُونَ﴾ النِّسَاءُ ٧١-٧٣، قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (لَوْ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ قَالَهَا أَهْلُ الشَّرْقِ وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ لَكَانُوا بِهَا خَارِجِينَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَكِنْ قَدْ سَمَّاهُمْ اللَّهُ مُؤْمِنِينَ بِإِقْرَارِهِمْ، وَقَوْلُهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ النِّسَاءُ ١٣٦ فَقَدْ سَمَّاهُمْ اللَّهُ مُؤْمِنِينَ بِإِقْرَارِهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ صَدِّقُوا).

(الثاني) الْإِيمَانُ الَّذِي هُوَ التَّصَدِيقُ فَقَوْلُهُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يُونُسُ ٦٣-٦٤ يَعْنِي صَدِّقُوا، وَقَوْلُهُ ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ الْبَقَرَةُ ٥٥ أَيَّ لَا نُصَدِّقُكَ، وَقَوْلُهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا﴾ أَيَّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَدِّقُوا، فَالْإِيمَانُ الْخَفِيُّ هُوَ التَّصَدِيقُ، وَالتَّصَدِيقُ شَرْطٌ لِأَيْتِمُّ التَّصَدِيقُ إِلَّا بِهَا. وَقَوْلُهُ ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الْبَقَرَةُ ١٧٧، فَمَنْ أَقَامَ بِهَذِهِ الشَّرُوطِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُّصَدِّقٌ.

(الثالث) الإِيْمَانُ الَّذِي هُوَ الْأَدَاءُ (فَهُوَ قَوْلُهُ لَمَّا حَوَّلَ اللَّهُ قِبْلَةَ رَسُولِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَصَلَّاتُنَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَطَلَتْ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ البقرة ١٤٣)، فَسَمِيَ الصَّلَاةَ إِيمَانًا.

(الرَّابِعُ) مِنَ الْإِيْمَانِ هُوَ التَّيْيِدُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رُوحِ الْإِيْمَانِ فَقَالَ ﴿لَا تَحْجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيْمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ المجادلة ٢٢، وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ (لَا يَزِينِي الرَّانِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، يُفَارِقُهُ رُوحُ الْإِيْمَانِ مَا دَامَ عَلَى بَطْنِهَا، فَإِذَا قَامَ عَادَ إِلَيْهِ)، قِيلَ: وَمَا الَّذِي يُفَارِقُهُ؟ قَالَ: (الَّذِي يَدْعُهُ فِي قَلْبِهِ). ثُمَّ قَالَ ﷺ: (مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَلَهُ أُذُنَانِ؛ عَلَى أَحَدِهِمَا مَلَكٌ مُرْشِدٌ؛ وَعَلَى الْآخِرِ شَيْطَانٌ مُغْتَرِبٌ؛ هَذَا يَأْمُرُهُ وَهَذَا يَنْهَاهُ). وَمِنَ الْإِيْمَانِ مَا قَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ خَبِيثٌ وَطَيِّبٌ فَقَالَ ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ آل عمران ١٧٩، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا وَلَكِنَّهُ يَلْبَسُ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأنعام ٨٢، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا ثُمَّ دَخَلَ فِي الْمَعَاصِي الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا فَقَدْ لَبَسَ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؛ فَلَا يَنْفَعُهُ الْإِيْمَانُ حَتَّى يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الظُّلْمِ الَّذِي لَبَسَ إِيمَانَهُ حَتَّى يُخْلِصَ لِلَّهِ إِيمَانَهُ، فَهَذِهِ وَجُوهُ الْإِيْمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ^(١).

كما ورد [عَنْ عَجَلَانَ أَبِي صَالِحٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا تَمْضِي الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ يَا أَهْلَ الْحَقِّ اعْتَرِلُوا؛ يَا أَهْلَ الْبَاطِلِ

اعْتَرِلُوا؛ فَيَعْرِلُ هَوْلًا مِنْ هَوْلَاءِ؛ وَيَعْرِلُ هَوْلًا مِنْ هَوْلَاءِ. قَالَ قُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ؛ يُجَالِطُ هَوْلًا وَهَوْلًا بَعْدَ ذَلِكَ النَّدَاءِ؟ قَالَ: كَلَّا؛ إِنَّهُ يَقُولُ فِي الْكِتَابِ ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾. آل عمران ١٧٩. (١).

أي هما مختلفان؛ ولا عبرة للكثرة؛ لقوله تعالى:

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ...﴾ المائدة ١٠٠.

وقفه مع النص الكريم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾:

جديرٌ بالأشارة أن النصَّ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٢) المعنيُّ بها في الغالب عامة المسلمين، كانت في آياتٍ متعددةٍ منها على سبيلِ الارشادِ والتوجيه؛ ومنها على سبيلِ التبشيرِ وإيناسِ النفوسِ أو التحذيرِ والتهديدِ والإنذارِ الخ.

لكننا في هذه الوقفة سنقتصرُ على موردٍ مُحدِّدٍ يخصُّ أهلَ البيتِ عليهم السلام.

فنقول إن هؤلاء الذواتِ المؤمنين والمُعَبَّرِ عنهم بأنهم قومٌ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لم يجترحوا سيئةً واحدةً في حياتهم. حيث كانوا في عنايةِ اللهِ تعالى ورعايته في هذه الدنيا، فَهُمْ بَعِينِ اللهِ وَتَرْبِيَّتِهِ. ألم نقرأ الآيةَ الكريمةَ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ الجاثية ٢١؟. فهذه الآيةُ الكريمةُ تحاطبُ عامة المسلمين، وهي في موردٍ بيانِ المفاضلةِ والتمييزِ بينِ فئتينِ من المسلمين، فئةٍ اقترفتِ السيئاتِ وفئةٍ أخرى عملت صالحاً ولم تقترف سيئةً قط!! أن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في هذا المورد لم يجترحوا سيئةً واحدةً في حياتهم؛ بإختصار تعني العصمة. وهنا نسأل أنفسنا:

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٧ ح ١٥٧.

(٢) ورد في المصحف الشريف ٢٢٠ مرة، كما ورد (الذين لا يؤمنون) ١١ مرة و(الذين كفروا) ١٥٢ مرة.

ما معنى العصمة؟

ولعل هناك من يأتي بمقالاتٍ طوالٍ؛ يطولُ سرُّدُها؛ وما أكثرها! يُفلسِفُ بها معناها!... ونحن في غنى عنها وعن أمثالها، فلدينا إشارةٌ عقليةٌ بمعادلةٍ مقبولةٍ هي باختصار: [مؤمنٌ لم يجترح سيئتهً واحدةً في حياته = مؤمنٌ معصوم].

ولامفرَّ من الإذعان لهذه المعادلة! التي لم ينفذها أحدٌ عملياً إلا آل محمدٍ ﷺ. ولم يُسجَلْ لنا التاريخُ على طولِ مداه أن أحداً من أهل البيت ﷺ اقترب سيئتهً واحدة. ولنضرب مثلاً على ذلك.. فهذا عليُّ أمير المؤمنين ﷺ قال: (وَاللَّهِ لَأَنْ أبيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ ألقىَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغاصِباً لشيءٍ مِنَ الْحُطَامِ. وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحداً؟ وَالنَّفْسُ يُسرِعُ إِلَى الْبِليِّ قُفُولُها، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُها.

وَاللَّهِ لَقَدْ رَأيتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمَلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بَرُكْمِ صَاعاً، وَرَأيتُ صَبِيانَهُ شُعْتَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سَوَّدَتْ وَجُوهُهُمْ بِالْعِظْمِ، وَعَاوَدَنِي مُوَكِّداً وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَنِّي أبيعُهُ دِينِي وَأَتَّبِعُ قِيادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيحِ ذِي دَنْفٍ مِنْ أَلْمِها، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسِمِها، فَقُلْتُ لَهُ: تَكَلِّتْكَ الشَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ. أَتَيْتُ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسائُها لِلْعَبِيهِ؟، وَتَجَرُّنِي إِلَى نارِ سَجَرِها جَبَّارُها لِعَضْبِهِ؟، أَتَيْتُ مِنْ الْأَدَى وَلَا أَتُنُّ مِنْ لَطَى؟. وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَعائِها، وَمَعْجُوبَةٍ شَنِئْتِها، كَأَنَّمَا عَجَنْتُ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْهًا!. فَقُلْتُ: أَصِلَّةٌ؟ أَمْ زَكَاةٌ؟ أَمْ صَدَقَةٌ؟، فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ. فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاكَ وَلَكِنَّها هَدْيَةٌ. فَقُلْتُ: هَبَلْتِكَ الْهَبُولُ! أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَحْدَعَنِي؟، أَمْحَتَبِطُ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ!؟.

وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقْلِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا نَحْتَ أَفْلاكِها عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ

أَسْلَبَهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتَهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمٍ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا. مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى!، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وَقُبْحِ الزَّلْزَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ^(١). والأمثلة على شاكلتها كثيرةٌ في سيرة أهل البيت عليهم السلام.

مزيدٌ من الآياتِ الكريمةِ المتضمنةِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وتفسيرها:

أ. وصفُ اللهِ تعالى لهم بأنهم ﴿مُهْتَدُونَ﴾ بعد أن وهبهم الأمانَ بقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأنعام ٨٢.

فقد جاء في تفسيرها:

[.. عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَا أَبَانَ؛ أَنْتُمْ تَقُولُونَ هُوَ الشَّرْكُ بِاللَّهِ وَنَحْنُ نَقُولُ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَطُّ؛ وَلَمْ يَعْبُدِ اللَّاتَ وَالْعُزَّى؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؛ وَهُوَ مَنْ صَدَّقَهُ فَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيهِ. ^(٢)]

ب. وكما جاء في تخصيصِ الآيةِ الكريمةِ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ المائدة ٥٥-٥٦. فقد ورد:

[فُرَاتٌ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ سَعِيدٍ مَعْنَعًا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يُصَلِّي ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَسْجِدٍ فَمَرَّ بِهِ مَسْكِينٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: هَلْ تُصَدِّقُ عَلَيْكَ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ مَرَرْتُ بِرَجُلٍ رَاكِعٍ فَأَعْطَانِي خَاتَمَهُ؛ وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ؛ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

(١) شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ج ١١ ص ٢٤٥-٢٤٦ ب ٢١٩ من كلام له عليه السلام.

(٢) تفسير فورات الكوفي: ص ١٣٤ ح ١٥٨.

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١﴾. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُوَ وَلِيكُمْ بَعْدِي. [١].

كما ورد [... عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ البقرة ٥٧، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَمْنَعُ مِنْ أَنْ يُظْلَمَ، وَلَكِنَّهُ خَلَطَنَا بِنَفْسِهِ فَجَعَلَ ظَلَمَنَا ظُلْمَهُ وَوَلَايَتَنَا وَوَلَايَتَهُ، حَيْثُ يَقُولُ ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَعْنِي الْأُمَّةَ مِنَّا] [٢].

ت. وفي قوله تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل ١٠٢. فقد ورد:

[فِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ فِي قَوْلِهِ ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ قَالَ: هُوَ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْقُدُسُ: الطَّاهِرُ، لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴿هُمُ آلُ مُحَمَّدٍ﴾ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ] [٣].

ث. قوله تعالى ﴿آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ آل عمران ١٩٣، فقد ورد:

[عن [عمر بن] عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِبَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾؟، قال:

هو أمير المؤمنين نودي من السماء أن آمن بالرسول؛ فآمن به. [٤].

ج. قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ مريم ٩٦.

فقد ورد [... عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ...

قُلْتُ قَوْلُهُ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ مريم ٨٧؟، قَالَ:

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ١٢٤ ح ١٣٦.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٤٦ باب النوادر ح ١١.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٩.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١١ ح ١٧٦.

إِلَّا مَنْ دَانَ اللَّهُ بِوَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ فَهُوَ الْعَهْدُ عِنْدَ اللَّهِ.
قُلْتُ: قَوْلُهُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾؟
قَالَ: وَوَلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هِيَ الْوُدُّ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى.

قُلْتُ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ مريم ٩٧؟
قَالَ: إِنَّمَا يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ حِينَ أَقَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَشِّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ
وَأَنْذَرَ بِهِ الْكَافِرِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ﴿لُدًّا﴾ ﴿أَيُّ كُفَّارًا﴾ [١].

كما ورد الحديث الشريف التالي بخصوص آية الودِّ أعلاه:

[وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾
فَإِنَّهُ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَانَ سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَالِسًا
بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ لَهُ: قُلْ يَا عَلِيُّ؛ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وُدًّا،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [٢].

وكذلك ورد: [...] عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ... قُلْتُ قَوْلُهُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ
وُدًّا﴾، قَالَ: وَوَلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ الْوُدُّ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ... [٣].

وكذلك ورد: [فَرَأَتْ قَال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ مُعْتَمِنًا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ: يَا عَلِيُّ؛ قُلِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا وَفِي صُدُورِ

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٣١ باب فيه نكت و نطف من التنزيل في الولاية ح ٩٠.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٥٦.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٥٦.

الْمُؤْمِنِينَ وَدًّا، قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ [ذِكْرُهُ] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [١].

وكذلك ورد: [فَرَاتٌ قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرَارِيُّ مُعْنَعًا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفُرَيْشٌ فِي حَدِيثٍ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ سَكَتُوا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَتَلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ سَبْعِينَ رَجُلًا صَبْرًا مِمَّا تَأْمُرُنِي بِقَتْلِهِ؛ وَثَمَانِينَ رَجُلًا مُبَارَزَةً، فَمَا أَحَدٌ مِنْ فُرَيْشٍ وَلَا مِنْ وُجُوهِ الْعَرَبِ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ بُغْضٌ لِي، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾؛ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ فِيكَ آيَةً مِنْ كِتَابِهِ وَجَعَلَ لَكَ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ مَحَبَّةً. [٢].

ح. آية الاستخلاف قوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور ٥٥. فقد ورد:

[الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَاءِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؟؛ قَالَ: هُمْ الْأَيْمَةُ. [٣].

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٥٠ ح ٣٣٨.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٥٠ ح ٣٣٩.

(٣) الكافي: ج ١ ص ١٩٣-١٩٤ باب ان الأئمة خلفاء الله عز وجل في أرضه وأبوابه التي منه يؤتى ح ٣.

خ. وورد في تفسير الآية الكريمة ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ غافر ٥١. فقد ورد:

[أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ جَمِيلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ قُلْتُ: قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، قَالَ: ذَلِكَ وَاللَّهِ فِي الرَّجْعَةِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ أَنْبِيَاءَ كَثِيرَةً لَمْ يُنْصَرُوا فِي الدُّنْيَا وَقُتِلُوا؛ وَالْأَيْمَةَ بَعْدَهُمْ قُتِلُوا وَلَمْ يُنْصَرُوا، ذَلِكَ فِي الرَّجْعَةِ. وقال علي بن إبراهيم في قوله ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾: يعني الأئمة عليهم السلام. (١).

وبشأن الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ محمد صلوات الله عليه وآله ٢. فقد ورد:

[أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ (الْحَسَنُ) بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْعَلَاءِ (مُعَلَّى) بْنِ مُحَمَّدٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ فِي عِلِّيٍّ ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ هَكَذَا نَزَلَتْ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ نَزَلَتْ فِي أَبِي ذَرٍّ وَسَلْمَانَ وَمُقَدَّادٍ وَعَمَّارٍ؛ لَمْ يَنْقُضُوا الْعَهْدَ، ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ أَي تَبَتُّوا عَلَى الْوَلَايَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أَي حَالَهُمْ. ثُمَّ ذَكَرَ أَعْمَالَهُمْ فَقَالَ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَعْدَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [٢].

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٥٨.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٠١.

كما ورد [قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أَي أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَقَوْلِهِ ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أَي أَهْلَكَهُمْ وَعَذَّبَهُمْ، ثُمَّ قَالَ ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ يَعْنِي الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي عَلِيٍّ؛ ﴿أَمْثَلَهَا﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ١٠ أَي لَهُمْ مِثْلُ مَا كَانَ لِلْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَى إِمَامَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ١١، ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يَعْنِي بَوَلَايَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَعْدَاؤُهُ ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ يَعْنِي أَكَلًا كَثِيرًا؛ ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ١٢. (١).

د. وفي تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ التحريم ٨. فقد ورد:

[... عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾، قَالَ: أُمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ حَتَّى يَنْزِلُوا مَنَازِلَهُمْ]. (٢).

ذ. قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ البينة ٧. فقد ورد: [وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ... قَوْلُهُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قَالَ: نَزَلَتْ فِي آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ]. (٣).

ر. قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٠٢.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٧٨.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٤٣٢.

وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ آل عمران ٦٨. فقد ورد:

[أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ الْعَلَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ رَفَعَهُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَرَوْ؛ فَاجْتَمَعْنَا فِي الْجَامِعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي بَدْءِ مَقْدَمِنَا؛ فَأَدَارُوا أَمْرَ الْإِمَامَةِ؛ وَذَكَرُوا كَثْرَةَ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا؛ فَدَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَأَعْلَمْتُهُ خَوْصَ النَّاسِ فِيهِ؛ فَتَبَسَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ:..... إِنَّ الْإِمَامَةَ خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ النَّبُوَّةِ وَالْخَلَّةِ مَرْتَبَةً ثَالِثَةً؛ وَفَضِيلَةً شَرَفَهُ بِهَا؛ وَأَشَادَ بِهَا ذِكْرَهُ فَقَالَ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ البقرة ١٢٤؛ فَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُورًا بِهَا: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾؟ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾؛ فَأَبْطَلْتَ هَذِهِ الْآيَةَ إِمَامَةً كُلِّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْفِيَاةِ، وَصَارَتْ فِي الصَّفْوَةِ؛ ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَهَا فِي ذُرِّيَّتِهِ أَهْلَ الصَّفْوَةِ وَ الطَّهَارَةِ؛ فَقَالَ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ الأنبياء ٧٢-٧٣؛ فَلَمْ تَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِ يَرِثُهَا بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ قَرْنَا فَقَرْنَا؛ حَتَّى وَرَّثَهَا اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَالَ جَلَّ وَتَعَالَى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران ٦٨؛ فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةً؛ فَقَلَّدَهَا ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رَسْمِ مَا فَرَضَ اللَّهُ؛ فَصَارَتْ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ الروم ٥٦^(١)؛ فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَاصَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ؟ إِنَّ

(١) جاء في تفسير القمي: ج ٢ ص ١٦٠: فإن هذه الآية مقدمة ومؤخرة؛ وإنما هي «وقال الذين أوتوا العلم والإيمان في [من] كتاب الله لقد لبثتم إلى يوم البعث».

الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء. (١). كما ورد:

[عن علي بن النعمان عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟
قال: هم الأئمة عليهم السلام وأتباعهم. (٢). وكذلك ورد:

[عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَلْ عَمْرَان ٦٨؛ ثُمَّ قَالَ: عَلِيُّ - وَاللَّهِ - عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْهَاجِهِ؛ وَأَنْتُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ. (٣).
ز. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الطور ٢١. فقد ورد:

[...عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾؛
قَالَ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ النَّبِيُّ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَالذَّرِّيَّةُ الْأَيْمَةُ الْأَوْصِيَاءُ الْأَلْحَقْنَا بِهِمْ؛
وَلَمْ تَنْقُصْ ذُرِّيَّتَهُمْ مِنَ الْجِهَةِ (٤) الَّتِي جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله فِي عَلِيٍّ؛ وَحُجَّتُهُمْ وَاحِدَةٌ
وَطَاعَتُهُمْ وَاحِدَةٌ (٥).

(١) الكافي: ج ١ ص ١٩٨ باب نادر جامع في فضل الإمام و صفاته ح ١.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٧ ح ٦٢،

الكافي: ج ١ ص ٤١٦ باب فيه نكت و نطف من التنزيل في الولاية ح ٢٠.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٨ ح ٦٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٣٥٦ ب ١٢ ح ٥ عند هامش ٤: في نسخة (الحجة) وهو الظاهر.

وبالمثل تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٣٢.

(٥) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم: ج ١ ص ٤٨٠ ب ٨ في الأئمة؛ في أن الحجّة و الطاعة و العلم و الأمر و النهي و الشجاعة و احدة؛ لرسول الله صلى الله عليه وآله و علي عليه السلام ح ١.

س . وبشأن الآية الكريمة ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِهَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ التغابن ٨ . فقد ورد بشأن النور هنا:

[الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَرْدَاسٍ قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ يَحْيَى وَالحَسَنُ بْنُ مَجْبُوبٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ أَبِي خَالِدِ الْكَاكِلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ فَقَالَ: يَا أَبَا خَالِدٍ؛ النُّورُ - وَاللَّهُ - الْأَيْمَةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ - وَاللَّهُ - نُورُ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ؛ وَهُمْ - وَاللَّهُ - نُورُ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ. وَاللَّهُ - يَا أَبَا خَالِدٍ - لِنُورِ الْإِمَامِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ، وَهُمْ - وَاللَّهُ - يُنَوِّرُونَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَجْجِبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نُورَهُمْ عَمَّنْ يَشَاءُ فَتُظْلَمُ قُلُوبُهُمْ. وَاللَّهُ يَا أَبَا خَالِدٍ - لَا يُجْبِنَا عَبْدٌ وَيَتَوَلَّانَا حَتَّى يُطَهِّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَلَا يُطَهِّرُ اللَّهُ قَلْبَ عَبْدٍ حَتَّى يُسَلِّمَ لَنَا؛ وَيَكُونُ سَلْمًا لَنَا؛ فَإِذَا كَانَ سَلْمًا لَنَا سَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ شَدِيدِ الْحِسَابِ؛ وَ أَمَنَهُ مِنْ فِرَاقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْأَكْبَرِ] (٦).

كما ورد بشأن النور: [أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ وَمُوسَى بْنِ عَمْرٍو عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَجْبُوبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ الصَّف ٨؛ قَالَ: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا وَلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِأَفْوَاهِهِمْ. قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾؟ قَالَ: يَقُولُ وَاللَّهُ مُتِمُّ الْإِمَامَةِ؛ وَالْإِمَامَةُ هِيَ النُّورُ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾؛ قَالَ: النُّورُ هُوَ الْإِمَامُ. (٧).

(٦) الكافي: ج ١ ص ١٩٤ بَابُ أَنَّ الْأَيْمَةَ عليه السلام نُورُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ح ١.

(٧) الكافي: ج ١ ص ١٩٥ - ١٩٦ بَابُ أَنَّ الْأَيْمَةَ عليه السلام نُورُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ح ٦.

ومن الفقرتين ٣، ٤ أعلاه وملحقاتهما جميعاً يمكننا أن نقول بكل طمأنينة: أن المعنيين بـ ﴿لِقَوْمٍ يَوْمُون﴾ هم آل محمد ﷺ لا غير.

صريح القرآن الكريم أن المؤمنين من بين المسلمين هم القلة: فلا يّ الأمور تكرر قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ثمان مراتٍ في سورة واحدة؟! وهي سورة الشعراء^(١).

مع الإنتباه لكلمة ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾، أي أكثر المسلمين؛ فافهم. وأعتقد جازماً أن كل ذلك إشعاراً منه تعالى لنبيه ﷺ بوجود عقدة النفاق ومرض القلب وحقارة الذات عند السواد الأعظم من صحابته المسلمين؛ بشهادة القرآن الكريم في سورة المباركة، علماً أنهم جميعاً مسلمون لنطقهم الشهادتين ظاهراً!.

مع الإنتباه للآيتين ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يوسف ١٠٣، وقوله ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ يوسف ١٠٦ أي أن أكثرهم وقعوا في شرك الطاعة؛ وقد ورد [أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَيِّبِ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ مُوسَى بْنِ بَكْرِ عَنْ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ قَالَ: شَرِكُ طَاعَةٍ وَكَيْسَ شَرِكُ عِبَادَةٍ؛ وَالْمَعَاصِي الَّتِي يَزْتَكِبُونَ شَرِكُ طَاعَةٍ؛ أَطَاعُوا فِيهَا الشَّيْطَانَ فَأَشْرَكُوا بِاللَّهِ فِي الطَّاعَةِ لِعَيْبِهِ؛ وَكَيْسَ بِإِشْرَاكِ عِبَادَةٍ أَنْ يَعْبُدُوا غَيْرَ اللَّهِ.]^(٢).

والإنتباه مرة أخرى للآية الكريمة أعلاه ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يوسف ١٠٣. فإن الناس هنا هم كل من أعلن إسلامه بدليل الآية التالية لها مباشرة

(١) والآيات هي: (٨- ٦٧- ١٠٣- ١٢١- ١٣٩- ١٥٨- ١٧٤- ١٩٠).

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٥٨.

﴿وَمَا تَسْتَأْهِمُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يوسف ١٠٤ .

ومعلومٌ أنّ الكافرين هم الأكثرية؛ لقوله تعالى ﴿...كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ. يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ النحل ٨١ - ٨٣ .

من هم الذين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ :

وقد بيّن القرآن الكريم من هم الذين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في أربعة مواضع :

﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ

خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام ١٢ .

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام ٢٠ .

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنفال ٥٥ .

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يس ٧ .

المنافق والمنافقون :

لعل قائلًا يقول: إنّ المقطع ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ المقصود بهم أصحاب رسول الله ﷺ، ويرد ذلك صريح آيات القرآن الكريم بعشرات منها توضّح عظيم التوبيخ و التقريع والتهديد العنيف للكثير من الصحابة في عديد من سورته المباركة. ولاننسى كثرة الصحابة المنافقين منذ بدء الرسالة المباركة. وقد نزلت سورة باسمهم وهي سورة ﴿المنافقون﴾، ولعل قارئ سورة التوبة يتلمّس ذلك بكل وضوح، فلا ينتهي

أحدٌ من قرائتها حتى يستيقنَ عظيمَ غضبِ اللَّهِ تعالى على المنافقين، فإن كانت سورةُ المنافقين بـ ١١ آيةٍ فإنَّ سورةَ التوبة فيها ما يربو على ١٢٠ آيةً بيّنةً تخصُّ الصحابةَ المنافقين. ولا يزال هناك المزيدُ من الآياتِ الخاصةِ بنفاقِ الصحابةِ بين آياتِ القرآنِ الكريمِ في سُورِهِ المباركةِ، والقرآنُ صريحٌ بذكرِ الصفةِ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ في ١٠ آياتٍ بهذا النصِّ^(١)، ومن تدبَّرَ القرآنَ الكريمَ فسيرى العجبَ العُجابَ من تحمُّلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وعظيمِ صبرِهِ على صحابتهِ المنافقين! ولعلَّ في قراءةِ سورةِ التوبةِ علماً جماً في أحوالِ المنافقين وأخبارِهِم الشنيعةِ. وغيرُها الكثير...!!

وانتبه للآيتين الكريمتين ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ. وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ العنكبوت ١٠-١١؛ فهنَّ فضيحةٌ أخرى للصحابةِ المنافقين!!

والنفاق على شكلين.. نفاقٌ ابتداءً وآخرُ نفاقٌ بعد إيمان!!

وإليك مثالٌ واحدٌ على النوع الثاني... فقد ورد [وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ التوبة ٦؛ قَالَ: هُوَ لِأَنَّ قَوْمًا كَانُوا مُؤْمِنِينَ صَادِقِينَ؛ اذْتَابُوا وَشَكُّوا وَنَافَقُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ؛ وَكَانُوا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ. وَقَوْلُهُ ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ كَانَ أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ مُحْتَبَرُ بْنُ الْحُمَيْرِ فَاعْتَرَفَ وَتَابَ؛ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَكَنِي اسْمِي، فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ اجْعَلْنِي شَهِيداً حَيْثُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ أَيْنَ أَنَا، فَقَتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ؛ وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ أَيْنَ قَتِلَ؛ فَهُوَ الَّذِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ: وَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ تَبُوكَ كَانَ أَصْحَابُهُ الْمُؤْمِنُونَ

(١) البقرة ١٠، المائدة ٥٢، الأنفال ٤٩، التوبة ١٢٥، الحج ٥٣، الأحزاب ١٢، ٦٠،

يَتَعَرَّضُونَ لِلْمُنَافِقِينَ وَيُؤْذِنُونَهُمْ، فَكَانُوا يَحْلِفُونَ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَلَيْسُوا بِمُنَافِقِينَ لِكَيْ يُعْرِضُوا عَنْهُمْ وَيَرْضُوا عَنْهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة ٩٥] (١).

وفي قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ. وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ. وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ. أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور ٤٧ - ٥٠].

فقد روي: [فإنه حدثني أبي عن ابن عمير عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام والثالث (عثمان)؛ وذلك أنه كان بينهما منازعة في حديقه؛ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: نرضى برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عبد الرحمن بن عوف له: لا تحاكمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فإنه يحكم لك عليك؛ ولكن حاكمه إلى ابن شيبه اليهودي، فقال لأمير المؤمنين عليه السلام: لا أرضى إلا بابن شيبه اليهودي، فقال ابن شيبه له: تأتمنون محمداً على وحي السماء وتتهمونه في الأحكام! . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ إلى قوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾؛ ثُمَّ ذَكَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور ٥١ - ٥٢]. (٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٢١ باب ٢٩ غزوة تبوك وقصة العقبة فقرة ٤.

(٢) تمام الآيتين ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور ٥١ - ٥٢].

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٠٧، البحار ج ٩ ص ٢٢٧ ح ١١٤.

من هم المُتَحَسِّرُونَ يوم القيامة؟:

وبشأن المُتَحَسِّرِينَ يوم القيامة وتمنيهم الإيمان وردت الرواية:

[وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي جَعْفَرٍ عليهما السلام قَالَا: وَاللَّهِ لَنَشْفَعَنَّ فِي الْمُذْنِبِينَ مِنْ شِيعَتِنَا حَتَّى يَقُولُوا أَعْدَاؤُنَا إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ. وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ. فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء ١٠٠-١٠٢، قَالَ: مِنَ الْمُهْتَدِينَ؛ قَالَ: لِأَنَّ الْإِيمَانَ قَدْ لَزِمَهُمْ بِالْإِقْرَارِ. (١).

ولا ننسى السَّبَقَ الزماني لإيمان الإنسان ودوره في بناء الإنسان:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ الأنعام ١٥٨ ...

ولا عبرة للإيمان المتأخر عند حلول الأجل؛ لقوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ غافر ٨٤ - ٨٥.

الإيمان والتقية:

كما لا ننسى جواز كتم الإيمان بعنوان التقية (بتحقيق شروطها)؛ كما صرح القرآن الكريم بهذا الشأن في مسألة مؤمن آل فرعون؛ بقوله تعالى ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ...﴾ غافر ٢٨.

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٢٣.

فقد وردَ الحديث التالي: [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ فَضَّالٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَجُلٌ وَأَنَا عِنْدَهُ: إِنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ يَرْوِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: مَنْ كَتَمَ عِلْمًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ. قَالَ: كَذَبَ، وَيُحِبُّهُ؛ فَأَيْنَ قَوْلُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ؟ ثُمَّ مَدَّ بِهَا أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام صَوْتَهُ، فَقَالَ: لِيَذْهَبُوا حَيْثُ شَاءُوا؛ أَمَا وَاللَّهِ لَا يَجِدُونَ الْعِلْمَ إِلَّا هَاهُنَا، ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ. ^(١).

وقفاتٌ قريبةٌ من النصِّ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

بعد أن استوفينا ذكرَ الآياتِ المباركاتِ الثلاثِ عشرِ والتي هي الأصلُ في مبحثنا الأولِ سنطوفُ حولَ الآياتِ الكريمةِ الأخرى القريبةِ من مبحثنا هذا للإستزادةِ من الفائدةِ. وسأذكرُ بعضاً منها ضمنَ (وقفات).

الوقفةُ الأولى:

توجد صيغةٌ أخرى خاليةٌ من حرفِ الجرِ (ل)، وردت بشكليْنِ هما:

أ. صيغةُ ﴿قَوْمٌ مُؤْمِنِينَ﴾ في قوله تعالى ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ التوبة ١٤.

من الواضح أن هذه الآية الكريمة هي آيةُ جهادٍ، وابتدأت بـ ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾، و المُخاطَبون هم عامةُ الصحابة، لكنها انتهت بـ ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾،

ولم يكن النصُّ - وَيَشْفِ صُدُورَكُمْ - بل أشارت الآية الكريمة الى وجودِ طائفةٍ - غير المُخاطَبين - مؤمنةٍ مُميَّزةٍ بقلوبها مُتملئةٍ بالإيمان المطلق، فهُمُ المعنيون بشفاءِ

(١) بصائر الدرجات: ج ١ ص ١٠ باب ٦ أمر الناس بأن يطلبوا العلم من معدنيه، ومعدنه آل محمد عليهم السلام ح ٦.

الصدور، وهم آل محمد ﷺ، هذا هو الأصل، ولا يمنع من إنسحاب الشفاء (بالتبعية) لبقية المؤمنين الصادقين - الموالين لآل محمد ﷺ - كما يشير الحديث التالي:

[عنه عن ابن فضال عن علي بن عتبة بن خالد قال: دخلت أنا ومعلّى بن خنيس على أبي عبد الله عليه السلام، فأذن لنا وكيس هو في مجلسه، فخرج علينا من جانب البيت من عند نسائه وكيس عليه جلباب، فلما نظر إلينا رحب فقال: مرحباً بكمم وأهلاً، ثم جلس وقال: أنتم أولو الألباب في كتاب الله، قال الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الرعد ١٩ والزمر ٩، فأبشروا فأنتم على إحدى الحسينين من الله، أما إنكم إن بقيتم حتى تروا ما تمدون إليه رقابكم شفى الله صدوركم وأذهب غيظ قلوبكم وأدالككم على عدوكم، وهو قول الله تبارك وتعالى ﴿.. وَيَسْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ. وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ..﴾ التوبة ١٤-١٥، وإن مضيتم قبل أن تروا ذلك مضيتم على دين الله الذي رضىه لنبىه وبعثه عليه. (١)].

ب. صيغة ﴿قَوْمًا يُؤْمِنُونَ﴾ في قوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة ٢٢.

وجاء في التفسير [قوله ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾ الآية، أي من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤاخي من حاد الله ورسوله إلى قوله ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ وهم الأئمة عليهم السلام، وأيدهم بروح منه، قال: الروح ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل، وكان مع رسول الله ﷺ وهو

(١) المحاسن: ج ١ ص ١٦٩ باب ٣٦ ما نزل في الشيعة من القرآن ح ١٣٥.

مَعَ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَوْلُهُ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يَعْنِي الْأَئِمَّةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْوَانُ اللَّهِ، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [١].

ونقول: إن هؤلاء الـ ﴿قَوْمًا يُؤْمِنُونَ﴾ حاملِي هذه الصِّفَةِ المِثَالِيَةِ العَالِيَةِ والَّذِينَ كَتَبَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمُ اللَّهُ بِرُوحٍ مِنْهُ فَأَصْبَحُوا مَرْضِيَّيْنَ عِنْدَهُ قَدْ اسْتَحَقُّوا الوَسَامَ الأَعْلَى فصاروا (حزبَ اللَّهِ) بأمرِ اللَّهِ تعالى كما في الروايات المباركة الآتية:

جاء في التفسير [عن صفوان الجمال قال قال أبو عبد الله عليه السلام:.... ثم قال أبو عبد الله عليه السلام لَقَدْ حَضَرَ الغَدِيرَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ يَشْهَدُونَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَمَا قَدَرَ عَلَى أَخْذِ حَقِّهِ، وَإِنْ أَحَدَكُمْ يَكُونُ لَهُ المَالُ وَلَهُ شَاهِدَانِ فَيَأْخُذْ حَقَّهُ﴾ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾ فِي عَلِيِّ عليه السلام. [٢].

وورد أيضاً [قال حدثنا أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجِعَابِيُّ.... قَالَ حَدَّثَنِي الرِّضَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَلِيُّ بِكُمْ يُفْتَحُ هَذَا الأَمْرُ وَبِكُمْ يُخْتَمُ، عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَ﴿إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ هود ٤٩، أَنْتُمْ حِزْبُ اللَّهِ وَأَعْدَاؤُكُمْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، طُوبَى لِمَنْ أَطَاعَكُمْ وَوَيْلٌ لِمَنْ عَصَاكُمْ، أَنْتُمْ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَالْعُرْوَةُ الوَثْقَى مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا اهْتَدَى وَمَنْ تَرَكَهَا ضَلَّ. أَسْأَلُ اللَّهَ لَكُمْ الْجَنَّةَ، لَا يَسْبِقُكُمْ أَحَدٌ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَانْتُمْ أَوْلَى بِهَا. [٣].

وكذلك ورد [... عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ مِيثَمِ التَّمَارِيِّ، قَالَ:

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٥٨.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٢٩ ح ١٤٣.

(٣) الأمالي (للمفيد): النص ص ١٠٩ ح ٩.

وَجَدْتُ فِي كِتَابِ مِيثَمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: تَمَسَّيْنَا لَيْلَةً عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَقَالَ لَنَا: لَيْسَ مِنْ عَبْدِ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ إِلَّا أَصْبَحَ يَجِدُ مَوَدَّتَنَا عَلَى قَلْبِهِ، وَلَا أَصْبَحَ عَبْدٌ مِمَّنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَّا يَجِدُ بُغْضَنَا عَلَى قَلْبِهِ، فَأَصْبَحْنَا نَفْرَحُ بِحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا، وَنَعْرِفُ بُغْضَ الْمُبْغِضِ لَنَا، وَأَصْبَحَ مُحِبُّنَا مُغْتَبِطًا بِحُبِّنَا بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ يَنْتَظِرُهَا كُلُّ يَوْمٍ، وَأَصْبَحَ مُبْغِضُنَا يُؤَسَّسُ بنيانه عَلَى شَفَا جُرْفِ هَارٍ التوبة ١٠٩، فَكَانَ ذَلِكَ الشَّفَا قَدِ انْهَارَ به في نار جهنم، وَكَانَ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ قَدْ فُتِحَتْ لِأَصْحَابِ الرَّحْمَةِ، فَهَنِيئًا لِأَصْحَابِ الرَّحْمَةِ رَحْمَتُهُمْ، وَتَعْسًا لِأَهْلِ النَّارِ مَثْوَاهُمْ، إِنَّ عَبْدًا لَنْ يُقَصَّرَ فِي حُبِّنَا لِخَيْرٍ جَعَلَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ، وَلَنْ يُحِبَّنَا مَنْ يُحِبُّ مُبْغِضَنَا، إِنَّ ذَلِكَ لَا يَجْتَمِعُ فِي قَلْبٍ وَاحِدٍ وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه الأحزاب ٤، يُحِبُّ بِهَذَا قَوْمًا وَيُحِبُّ بِالْآخِرِ عَدُوَّهُمْ، وَالَّذِي يُحِبُّنَا فَهُوَ يُخْلِصُ حُبَّنَا كَمَا يُخْلِصُ الذَّهَبُ لَأَعْيَشَ فِيهِ. نَحْنُ النُّجَبَاءُ وَأَفْرَاطُنَا أَفْرَاطُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَا وَصِيُّ الْأَوْصِيَاءِ، وَأَنَا حِزْبُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عليه السلام، وَالْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ حَالَهُ فِي حُبِّنَا فَلْيَمْتَحِنْ قَلْبَهُ، فَإِنْ وَجَدَ فِيهِ حُبًّا مِنْ أَلْبٍ عَلَيْنَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَدُوُّهُ وَجَبْرَيْلُ وَمِيكَائِيلُ، وَاللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ البقرة ٩٨.^(١)

الوقفه الثانية:

وقد نرى غياب كلمة ﴿قوم﴾ مع بقاء ذكر الآية أو الآيات للمؤمنين، منها:

قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر ٧٧ بعد استئصال قوم لوط عليه السلام.

وقوله ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

العنكبوت ٤٤. وقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الجاثية ٣.

(١) الأمايلي (للطوسي): النص ص ١٤٨ ح ٢٤٣-٥٦.

وقد نرى بدلا من كلمة (لقوم) إسمًا موصولاً أو إسمَ إشارةٍ مع بقاء الفعل المضارع؛ مثل ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ و﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ﴾:

قوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة ٢-٥. وترى الآيات هنا متَّحدةً متَّسقةً ذاتَ نظمٍ واحد.

فقد جاء في الحديث [عنه عن أبيه عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام في رسالة:

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنَ الْقُرْآنِ فَذَلِكَ أَيْضاً مِنْ خَطَرَاتِكَ الْمُتَفَاوِتَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ عَلَى مَا ذَكَرْتِ، وَكُلُّ مَا سَمِعْتَ فَمَعْنَاهُ غَيْرُ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ أَمْثَالُ ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَلِقَوْمٍ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْرِفُونَهُ، فَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَمَا أَشَدَّ إِشْكَالَهُ عَلَيْهِمْ وَأَبْعَدَهُ مِنْ مَذَاهِبِ قُلُوبِهِمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَيْسَ شَيْءٌ بِأَبْعَدَ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَفِي ذَلِكَ تَحْيِيرَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعُونَ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ اللَّهُ بِتَعْمِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَنْتَهُوا إِلَى بَابِهِ وَصِرَاطِهِ، وَأَنْ يَعْبُدُوهُ وَيَنْتَهُوا فِي قَوْلِهِ إِلَى طَاعَةِ الْقَوَامِ بِكِتَابِهِ وَالنَّاطِقِينَ عَنْ أَمْرِهِ، وَأَنْ يَسْتَنْطِقُوا مَا احتَاجُوا إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ عَنْهُمْ لَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ قَالَ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النساء ٨٣، فَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَلَيْسَ يُعْلَمُ ذَلِكَ أَبَدًا وَلَا يُوجَدُ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَسْتَفِيمُ أَنْ يَكُونَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ وُلاةَ الْأَمْرِ، إِذْ لَا يَجِدُونَ مَنْ يَأْتِمِرُونَ عَلَيْهِ، وَلَا مَنْ يُبَلِّغُونَهُ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ الْوُلاةَ خَوَاصَّ لِيَقْتَدِيَ بِهِمْ مَنْ لَمْ يَخْصُصْهُمْ بِذَلِكَ، فَافْهَمِ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَإِيَّاكَ

وَإِيَّاكَ وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ بَرَأْيِكَ، فَإِنَّ النَّاسَ غَيْرُ مُشْتَرِكِينَ فِي عِلْمِهِ كَاشْتِرَاكِهِمْ فِيَمَا سِوَاهُ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَا قَادِرِينَ عَلَيْهِ وَلَا عَلَى تَأْوِيلِهِ إِلَّا مَنْ حَدَّهَ وَبَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ، فَافْهَمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَاطْلُبِ الْأَمْرَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ [١].

قوله تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الأنعام ١٩٢.

قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ التوبة ٤٤.

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَتَّهَمُ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ المؤمنون ٥٧-٦١. والآيات هنا كما ترى متحدة متسقة ذات نظم واحد.

وفي جميع هذه الآيات المباركات السابقة نرى أن الإمام علياً عليه السلام هو من أجل وأقوى مصاديقها بلا نزاع، ولا يرقى لرقبه أحد من الصحابة أبداً.. فتدبر.

فقد ورد في الحديث [قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ سَعِيدٍ مُعْنَعًا عَنْ أَبِي الْجَارُودِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ﴿الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَتَّهَمُ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾؛ [قَالَ]: نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ]. [٢].

(١) المحاسن: ج ١ ص ٢٦٨ ح ٣٥٦.

(٢) تفسير فوات الكوفي: ص ٢٧٨ ح ٣٧٧.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ البقرة ١٢١ .

فقد ورد الحديث [مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ ابْنِ مَجْبُوبٍ عَنْ أَبِي وَلَادٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؟ قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام]^(١) .

وقوله تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هود ١٧ .

فقد ورد فيه الحديث الشريف [فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عِمْرَانَ عَنْ يُونُسَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ وَالْفَضِيلِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ إِمَامًا وَرَحْمَةً، وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابٌ مُوسَىٰ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ). فَقَدِّمُوا وَأَخْرُوا فِي التَّأْلِيفِ]^(٢) .

كذلك ورد بخصوصها:

[حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لَوْ كَسِرَتْ لِي وَسَادَةٌ فَقَعَدْتُ عَلَيْهَا لَقَضَيْتُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَةِ بِتَوْرَاتِهِمْ وَأَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ وَأَهْلِ الزُّبُورِ بِزُبُورِهِمْ وَأَهْلِ الْفُرْقَانِ

(١) الكافي: ج ١ ص ٢١٥ باب في أن من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة عليهم السلام ح ٤ .

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٢٤ .

بِفُرْقَانِهِمْ بِقِصَاةٍ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ يَزْهَرُ، وَاللَّهُ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيْمَنْ أَنْزَلْتُ؛ وَلَا يَمُنُّ مَرَّ عَلَى رَأْسِهِ الْمَوَاسِي مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَدْ نَزَلَتْ فِيهِ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَسْوِقُهُ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ مَا الْآيَةُ الَّتِي نَزَلَتْ فِيكَ؟ قَالَ لَهُ: أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ؛ وَأَنَا شَاهِدٌ لَهُ فِيهِ؛ وَاتْلُوهُ مَعَهُ. [١].

الوقفه الرابعة:

كلماتٌ مثل ﴿الْمُؤْمِنِينَ، الْمُؤْمِنُونَ، مُؤْمِنًا﴾ في القرآن الكريم كثيرةٌ.

اخترت منها ما يخصُّ البحث:

قوله تعالى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ التحريم ٤.

فقد جاء في الأثر [فَرَاتٌ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَكَمِ] قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَلْمَانَ عَنِ سَدِيرِ الصَّيْرِيِّ [عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام] قَالَ: لَقَدْ عَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً حَيْثُ قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، [اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَأَنْصُرْ مَنْ أَنْصَرَهُ وَارْحَمِ مَنْ رَحِمَهُ]، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾، أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ. [٢].

(١) بصائر الدرجات: ج ١ ص ١٣٢ - ١٣٣ باب ٩ قول أمير المؤمنين بأحكامه بما في التوراة

والإنجيل والزيور والفرقان ح ٢.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٤٩٠ ح ٦٣٦.

قوله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب ٢٣.

فقد جاء في الحديث [وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُمَا ذَكَرَا وَصِيَّةَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَا: أَوْصَىٰ إِلَىٰ ابْنِهِ الْحَسَنِ وَأَشْهَدَ عَلِيٌّ وَصِيَّتَهُ الْحُسَيْنَ وَمُحَمَّدًا وَجَمِيعَ وُلْدِهِ وَرُؤَسَاءَ شِيعَتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ: ... اللَّهُمَّ إِنَّكَ شَهِيدٌ وَكَفَىٰ بِكَ شَهِيدًا، إِنِّي بَايَعْتُ رَسُولَكَ وَحَجَّجْتَك فِي أَرْضِكَ مُحَمَّدًا أَنَا وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، عَلِيٌّ أَن لَّا نَدَعَ لِلَّهِ أَمْرًا إِلَّا عَمَلْنَاهُ، وَلَا نَدَعَ لَهُ نَهْيًا إِلَّا رَفَضْنَاهُ، وَلَا وَلِيًّا إِلَّا أَحْبَبْنَاهُ، وَلَا عَدُوًّا إِلَّا عَادَيْنَاهُ، وَلَا نُوَلِّيُّ ظُهُورَنَا عَدُوًّا، وَلَا نَمَلُّ عَنْ فَرِيضَةٍ، وَلَا نَزْدَادُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِلَّا نَصِيحَةً، فَقُتِلَ أَصْحَابِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِمْ، وَكُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ رَحِمَهُ اللَّهُ قُتِلَ بِبَدْرِ شَهِيدًا، وَعَمِّي حَمْزَةُ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ، وَأَخِي جَعْفَرٌ قُتِلَ يَوْمَ مَوْتِهِ شَهِيدًا رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ وَفِي أَصْحَابِي ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾، أَنَا - وَاللَّهِ - الْمُتَنْتَظِرُ مَا بَدَّلْتُ تَبْدِيلًا، ثُمَّ وَعَدْنَا بِفَضْلِهِ الْجَزَاءَ؛ فَقَالَ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس ٥٨] (١).

كذلك ورد [وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي قَوْلِهِ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ أَي لَّا يَفْرُوا أَبَدًا؛ ﴿فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أَي أَجَلَهُ وَهُوَ حَمْزَةُ وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؛ ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ﴾ أَجَلَهُ يَعْنِي عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢).

(١) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٤٨ - ٣٥٤ ح ١٢٩٧.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٨٨.

قوله تعالى ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.. التوبة ١٠٥ .

فقد جاء في التفسير [... عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: الْمُؤْمِنُونَ هَاهُنَا الْأَيْمَةُ الطَّاهِرُونَ ^(١)]. كما ورد:

[ح ١. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ وَيَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ بُرَيْدِ الْعَجِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام؛ فَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؟ قَالَ: إِيَّانَا عَنَى.

ح ٢. حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُؤَيْدٍ عَنْ يَحْيَى الْحَلْبِيِّ عَنْ أُدَيْمِ بْنِ الْحُرِّ عَنْ مُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللّٰهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؟ قَالَ: هُوَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله وَالْأَيْمَةُ؛ تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُ الْعِبَادِ كُلِّ حَمِيسٍ ^(٢).

قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ التوبة ١٦ .

فقد جاء في الحديث:

[عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنِ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّخَعِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي سُفْيَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الضُّبَعِيُّ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ (الحسن العسكري عليه السلام) أَسْأَلُهُ عَنِ الْوَلِيَّةِ؟ وَهُوَ قَوْلُ اللّٰهِ تَعَالَى ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٠٤ .

(٢) بصائر الدرجات: ج ١ ص ٤٢٧ باب ٥ عرض الأعمال على الأئمة الأحياء والأموات ح ٢ .

الْمُؤْمِنِينَ وَوَلِيَّةً ﴿١﴾، قُلْتُ فِي نَفْسِي: لَا فِي الْكِتَابِ! مَنْ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ هَاهُنَا؟، فَرَجَعَ الْجَوَابُ: الْوَلِيَّةَ الَّذِي يُقَامُ دُونِ وَلِيِّ الْأَمْرِ، وَحَدَّثْتُكَ نَفْسُكَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ هُمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؟ فَهُمْ الْأَيِّمَةُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ عَلَى اللَّهِ فَيَجِيزُ أَمَانَهُمْ. [١].

وكذلك ورد [وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَوَلِيَّةً﴾، يَعْنِي بِالْمُؤْمِنِينَ آلَ مُحَمَّدٍ وَالْوَلِيَّةَ الْبَطَانَةَ. [٢].

كما ورد [فرات بن إبراهيم جعفر بن محمد بن سعيد مُعَنَّأ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ لِأَنْسٍ: يَا أَنْسُ، انْطَلِقْ فَادْعُ لِي سَيِّدَ الْعَرَبِ.

يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَلَسْتَ سَيِّدَ الْعَرَبِ؟ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدُ الْعَرَبِ.

فَلَمَّا جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله إِلَى الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا صَارُوا إِلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَعَاشِرَ الْأَنْصَارِ، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي؟ هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَأَحِبُّوه لِحُبِّي، وَ أَكْرِمُوهُ لِكِرَامَتِي، فَمَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَبَاحَهُ جَنَّتَهُ، وَأَذَاقَهُ بَرْدَ عَفْوِهِ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ أَكْبَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ، وَأَذَاقَهُ أَلِيمَ عَذَابِهِ، فَتَمَسَّكُوا بِوَلَايَتِهِ، وَلَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّهُ مِنْ دُونِهِ وَوَلِيَّةً، فَيَغْضَبَ عَلَيْكُمْ الْجَبَّارُ. [٣].

(١) الكافي: ج ١ ص ٥٠٨ ب مولد أبي محمد الحسن بن علي ح ٩.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٨٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٥٩ ب ٩١ جوامع مناقبه صلواتُ الله عليه ح ٩٢.

وكذلك ورد الحديث الشريف: [الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشاء عن مثنى عن عبد الله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: يعنى بالمؤمنين الأئمة عليهم السلام؛ لم يتخذوا الولائج من دونهم. (١).

لكن واقع الحال أن الصحابة اتخذوا من دون أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته الطاهرين ولوائح !!.

كذلك ورد [قوله ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ آل عمران ١٦٤؛ فهذه الآية لآل محمد عليهم السلام] (٢).

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ النور ٦٢. فقد جاء في التفسير:

[قال البيضاوي: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الكاملون في الإيمان ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ من صميم قلوبهم؛ وإذا كانوا معه على أمر جامع كالجمعة والأعياد و الحروب والمشاورة في الأمور ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ يستأذِنُوا رسول الله صلى الله عليه وآله فيأذن لهم؛ واعتباره في كمال الإيمان؛ لأنه كالمصداق لصحته والتميز للمخلص فيه؛ والمنافق فإن ديدنه التسلل (٣) والفراز؛ ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلسه بغير إذنه؛ ولذلك أعاده مؤكدا على أسلوب أبلغ فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فإنه يفيد أن المستأذِن مؤمن لا محالة؛ وأن الذهاب

(١) الكافي: ج ١ ص ٤١٥ فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية ح ١٥.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ١٢٢.

(٣) التسلل: الخروج خفية واحدا بعد واحد.

بغير إذنٍ ليس كذلك، ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ ما يعرض لهم من المهام؛ وفيه أيضاً مبالغةٌ وتضييقٌ للأمر؛ ﴿فَأَذْنُ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ تفويضٌ للأمر إلى رأي الرسول ﷺ؛ واستدلَّ به على أنَّ بعضَ الأحكامِ مفوضةٌ إلى رأيه؛ ومن منع ذلك قيّد المشيئةَ بأن تكون تابعةً لعلمه بصدقه؛ وكأنَّ المعنى فأذن لمن علمت أن له عذراً؛ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ﴾ بعد الإذن؛ فإنَّ الاستئذانَ ولو لِعُذْرٍ قصورٌ؛ لأنه تقديمٌ للأمرِ الدنيا على أمرِ الدين؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لفرطِ العبادِ؛ ﴿رَحِيمٌ﴾ بالتيسيرِ عليهم. [١].

لكنَّ علياً عليه السلام وهو المؤمنُ الذي يُمثِّلُ أقصى مصاديق الإيمان؛ فهو عليه السلام لا يُعَادِرُ مجلسَ رسولِ الله ﷺ ولو للحظةٍ واحدةٍ حتى يأمره ﷺ بنفسه؛ لعظيمِ تقديسه لرسولِ الله ﷺ، فهو عليه السلام في غايةِ الأدبِ مع رسولِ الله ﷺ في كلامه وحركاته وسكناته؛ لأنه ربيبُ رسولِ الله ﷺ منذ طفولته المبكرة.. وهو عليه السلام القائل:

أنا عبدٌ من عبيدِ محمدٍ ﷺ كما في الرواية التالية: [وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمُوصِلِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ مَتَى كَانَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ لَهُ: ثَكَلْتُكَ أُمَّكَ؛ وَمَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى يُقَالَ مَتَى كَانَ؟ كَانَ رَبِّي قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلِ؛ وَبَعْدَ الْبَعْدِ بِلَا بَعْدٍ؛ وَلَا غَايَةَ وَلَا مُنْتَهَى لِغَايَتِهِ؛ انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عِنْدَهُ؛ فَهُوَ مُنْتَهَى كُلِّ غَايَةٍ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَفَنَبِيٌّ أَنْتَ؟ فَقَالَ: وَيْلَكَ؛ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَرُوي أَنَّهُ سُئِلَ: عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ سَمَاءً وَأَرْضاً؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أَيْنَ) سُؤَالَ عَنِ مَكَانٍ! وَكَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ. (١).

فلا تظنَّ أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ إِستأذَنَ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِشأنٍ خاصٍّ به يوماً ما.

قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ السجدة ١٨ فقد ورد:

[وَفِي رِوَايَةٍ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾؛ قَالَ: فَذَلِكَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ تَشَاجَرَا، فَقَالَ الْفَاسِقُ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ: أَنَا وَاللَّهِ أَبْسَطُ مِنْكَ لِسَانًا وَأَحَدٌ مِنْكُمْ سِنَانًا وَأَمْثَلُ مِنْكَ جُثْوًا فِي الْكُتَيْبَةِ. قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اسْكُتْ!؛ فَإِنَّمَا أَنْتَ فَاسِقٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فَهُوَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. (٢).

[وَأما قوله ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ العنكبوت ٤٧؛ يعني أنهم آلُ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَمَنْ هُوَ لِأَنَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ يعني أهل الإيمان من أهل القبلة. (٣).

فإذاً تبين أن هذه الآيات المباركات أعلاه المعني بالإيمان فيها هو علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إبتداءً ثم تنسحب لذريته الطاهرين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالتبعية لزماً.

وجاء في التفسير: [قوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يقيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا

(١) الكافي: ج ١ ص ٩٠ باب الكون و المکان ح ٥.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٧٠.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٥٠.

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿الأنفال ٤٠-٤٢﴾؛ فإنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأبي ذرٍ وسلمان والمقداد^(١).

كما جاء في التفسير [قوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ الحجرات ١٥؛ أي لم يشكوا؛ ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾؛ قال نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام] ^(٢).

وجاء في التفسير: [وأما قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ...﴾ التوبة ١١١؛ قال: نزلت في الأئمة؛ فالدليل على أن ذلك فيهم خاصة حين مدحهم وحلاهم ووصفهم بصفة لا يجوز في غيرهم؛ فقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ...﴾ التوبة ١١٢؛ فالآمرون بالمعروف هم الذين يعرفون المعروف كله صغيره وكبيره ودقيقه وجليله؛ والناهون عن المنكر هم الذين يعرفون المنكر كله صغيره وكبيره؛ والحافظون لحدود الله هم الذين يعرفون حدود الله صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها، ولا يجوز أن يكون بهذه الصفة غير الأئمة عليهم السلام]. ^(٣)

كما ورد [قال: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ قَالَ: لَقِيَ الزُّهْرِيُّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ فِي طَرِيقِ الْحَجِّ؛ فَقَالَ لَهُ: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ تَرَكْتَ الْجِهَادَ وَصُعُوبَتَهُ؛ وَأَقْبَلْتَ عَلَى الْحَجِّ وَلَيْتَنِي؛ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٥٥.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٢٢.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٠٦.

وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم؛ قال له علي بن الحسين: إنهم الأئمة؛ فقال ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾؛ فقال علي بن الحسين عليه السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهد معهم أفضل من الحج. (١).

وجاء في التفسير: [ثم قال عز وجل ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾ الإسراء ٩؛ أي يبين ﴿لِلنبي هي أقوم ويبشر المؤمنين﴾ يعني آل محمد عليهم السلام ﴿الذين يعملون الصالحات أن هم أجراً كبيراً﴾؛ ثم عطف على بني أمية فقال ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أليماً﴾ الإسراء ١٠]. (٢).

ويؤيده قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ﴾ النمل ٤ - ٥.

قوله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الفتح ١٨.

فقد ورد: [قال: فإنه حدثني الحسين بن عبد الله السكيني عن أبي سعيد البجلي عن عبد الملك بن هارون عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال:

لَمَّا بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَمْرٌ مُعَاوِيَةَ وَأَنَّهُ فِي مِائَةِ أَلْفٍ قَالَ: مِنْ أَيِّ الْقَوْمِ؟ قَالُوا: مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، قَالَ عليه السلام: لَا تَقُولُوا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَلَكِنْ قُولُوا مِنْ أَهْلِ الشُّومِ، هُمْ مِنْ أَبْنَاءِ مُضَرَ لُعِنُوا عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ؛ فَجَعَلَ اللَّهُ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ، ثُمَّ كَتَبَ عليه السلام إِلَى مُعَاوِيَةَ؛ لَا تَقْتُلِ النَّاسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؛ وَهَلُمَّ إِلَى الْمُبَارَزَةِ؛ فَإِنَّا أَنَا قَتَلْتُكَ فَإِلَى النَّارِ أَنْتَ؛

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٠٦.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٤.

وَتَسْتَرِيحُ النَّاسُ مِنْكَ وَمِنْ ضَلَالَتِكَ، وَإِنْ قَتَلْتَنِي فَأَنَا إِلَى الْجَنَّةِ؛ وَيُعْمَدُ عَنْكَ السَّيْفُ
الَّذِي لَا يَسْعُنِي غَمُّهُ حَتَّى أُرَدَّ مَكَرَكَ وَبِدْعَتَكَ، وَأَنَا الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ اسْمَهُ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ بِمُؤَازَرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ بَاعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
فِي قَوْلِهِ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الفتح ١٨ .

قوله تعالى ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا
رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا طَائِفَةٌ مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ النور ٢. فمن هي هذه الطائفة؟... الرواية التالية تبين ذلك:

[عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَيِّ بْنِ أَبِي حُمْزَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ
عَمْرَانَ بْنِ مِيثَمٍ أَوْ صَالِحِ بْنِ مِيثَمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَتْ امْرَأَةً مُجْحَّ^(١) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهَّرْنِي؛ طَهَّرَكَ اللَّهُ؛ فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ
عَذَابِ الْآخِرَةِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ. فَقَالَ لَهَا: بِمَا أَطَهَّرَكَ؟ فَقَالَتْ: إِنِّي زَنَيْتُ، فَقَالَ لَهَا: أَوْ
ذَاتُ بَعْلٍ أَنْتِ أَمْ غَيْرُ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: بَلْ ذَاتُ بَعْلٍ، فَقَالَ لَهَا: أَفَحَاضِرًا كَانَ بَعْلُكَ إِذْ
فَعَلْتَ مَا فَعَلْتِ أَمْ غَائِبًا كَانَ عَنْكَ؟ فَقَالَتْ: بَلْ حَاضِرًا، فَقَالَ لَهَا: أَنْطَلِقِي فَضْعِي
مَا فِي بَطْنِكَ ثُمَّ أَتِنِي أَطَهَّرَكَ. فَلَمَّا وَلَّتْ عَنْهُ الْمَرْأَةُ فَصَارَتْ حَيْثُ لَا تَسْمَعُ كَلَامَهُ
قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّهَا شَهَادَةٌ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَتَتْهُ؛ فَقَالَتْ: قَدْ وَضَعْتُ فَطَهَّرْنِي، قَالَ: فَتَجَاهَلَ
عَلَيْهَا؛ فَقَالَ: أَطَهَّرَكَ يَا أُمَّةَ اللَّهِ بِمَاذَا؟ فَقَالَتْ: إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهَّرْنِي؛ فَقَالَ: وَذَاتُ بَعْلٍ إِذْ
فَعَلْتَ مَا فَعَلْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: وَكَانَ زَوْجُكَ حَاضِرًا أَمْ غَائِبًا؟ قَالَتْ: بَلْ حَاضِرًا.
قَالَ: فَأَنْطَلِقِي وَأَرْضِعِيهِ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ. قَالَ: فَأَنْصَرَفَتِ الْمَرْأَةُ؛ فَلَمَّا
صَارَتْ مِنْ حَيْثُ لَا تَسْمَعُ كَلَامَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّهُمَا شَهَادَتَانِ. قَالَ: فَلَمَّا مَضَى حَوْلَانِ

(١) في النهاية: المُجْحَّ - بتقديم المعجزة على المهملتين: الحامل المقرب التي دنا ولادها.

آتت المرأة فقالت: قد أَرْضَعْتُهُ حَوْلَيْنِ فَطَهَّرْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَتَجَاهَلَ عَلَيْهَا؛ وَقَالَ: أَطَهَّرُكَ مِمَّاذَا؟ فَقَالَتْ: إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهَّرْنِي. قَالَ: وَذَاتُ بَعْلِ أَنْتِ إِذْ فَعَلْتِ مَا فَعَلْتِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: وَبَعْلُكَ غَائِبٌ عَنْكَ إِذْ فَعَلْتِ مَا فَعَلْتِ أَوْ حَاضِرٌ؟ قَالَتْ: بَلْ حَاضِرٌ. قَالَ: فَانْطَلِقِي فَاكْفُلِيهِ حَتَّى يَعْقِلَ أَنْ يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ وَلَا يَتَرَدَّى مِنْ سَطْحٍ وَلَا يَتَهَوَّرَ فِي بَيْتٍ. قَالَ: فَانْصَرَفَتْ وَهِيَ تَبْكِي؛ فَلَمَّا وَلَّتْ فَصَارَتْ حَيْثُ لَا تَسْمَعُ كَلَامَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا ثَلَاثُ شَهَادَاتٍ. قَالَ: فَاسْتَقْبَلَهَا عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ الْمَخْزُومِيُّ؛ فَقَالَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ يَا أُمَّةَ اللَّهِ؟ وَقَدْ رَأَيْتُكَ مُخْتَلِفِينَ إِلَى عَلِيٍّ تَسْأَلِينَهُ أَنْ يُطَهِّرَكَ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُطَهِّرَنِي، فَقَالَ: اكْفُلِي وَلَدَكَ حَتَّى يَعْقِلَ أَنْ يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ وَلَا يَتَرَدَّى مِنْ سَطْحٍ وَلَا يَتَهَوَّرَ فِي بَيْتٍ؛ وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَأْتِيَ عَلِيَّ الْمَوْتُ وَلَمْ يُطَهِّرَنِي. فَقَالَ لَهَا عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ: ارْجِعِي إِلَيْهِ فَأَنَا أَكْفُلُهُ، فَرَجَعَتْ فَأَخْبَرَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا بِقَوْلِ عَمْرُو، فَقَالَ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا وَهُوَ مُتَجَاهِلٌ عَلَيْهَا: وَلَمْ يَكْفُلْ عَمْرُو وَلَدَكَ؟ فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهَّرْنِي. فَقَالَ: وَذَاتُ بَعْلِ أَنْتِ إِذْ فَعَلْتِ مَا فَعَلْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: أَفَغَائِبًا كَانَ بَعْلُكَ إِذْ فَعَلْتِ مَا فَعَلْتِ أَمْ حَاضِرًا؟ فَقَالَتْ: بَلْ حَاضِرًا. قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ^(١) وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ لَكَ عَلَيْهَا أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ؛ وَإِنَّكَ قَدْ قُلْتَ لِنَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَخْبَرْتَهُ بِهِ مِنْ دِينِكَ:

يَا مُحَمَّدُ؛ مَنْ عَطَّلَ حَدًّا مِنْ حُدُودِي فَقَدْ عَانَ دَنِي وَطَلَبَ بِذَلِكَ مُضَادَّتِي؛ اللَّهُمَّ فَإِنِّي غَيْرُ مُعَطَّلٍ حُدُودِكَ؛ وَلَا طَالِبٍ مُضَادَّتِكَ؛ وَلَا مُضَيِّعٍ لِأَحْكَامِكَ؛ بَلْ مُطِيعٌ لَكَ؛ وَمُتَّبِعٌ سُنَّةَ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: فَظَنَرَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ؛ وَكَانَمَا الرُّمَّانُ يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ! فَلَمَّا

(١) و المشهور انه لا يقام الحد على الحامل سواء كان جلدا أو رجما فإذا وضعت فان كان جلدا ينتظر خروجها عن النفاس لأنها مريضة ثم إن كان للولد من يرضعه اقيم عليها الحد ولو رجما على المشهور من أنه لا يعيش غالبا بدونه و الا انتظر بها استغناء الولد عنها. (كذا ذكره الشهيد).

رَأَى ذَلِكَ عَمْرُو قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنِّي إِتَمَّا أَرَدْتُ أَكْفَلُهُ إِذْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُحِبُّ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا إِذَا كَرِهْتَهُ فَإِنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَبَعْدَ أَرْبَعِ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ؟ لَتَكْفُلَنَّهُ وَأَنْتَ صَاغِرٌ. فَصَعِدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام الْمَنْبِرَ؛ فَقَالَ: يَا قَبْرُ؛ نَادِ فِي النَّاسِ الصَّلَاةَ جَامِعَةً. فَنَادَى قَبْرٌ فِي النَّاسِ؛ فَاجْتَمَعُوا حَتَّى غَصَّ الْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ، وَقَامَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام؛ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ؛ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ إِمَامَكُمْ خَارِجٌ بِهَذِهِ الْمَرْأَةِ إِلَى هَذَا الظَّهْرِ؛ لِيُقِيمَ عَلَيْهَا الْحَدَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ فَعَزَمَ عَلَيْكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا خَرَجْتُمْ وَأَنْتُمْ مُتَنَكِّرُونَ؛ وَمَعَكُمْ أَحْجَارُكُمْ؛ لَا يَتَعَرَّفُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى أَحَدٍ حَتَّى تَنْصَرِفُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ بُكْرَةً خَرَجَ بِالْمَرْأَةِ وَخَرَجَ النَّاسُ مُتَنَكِّرِينَ مُتَلَثِّمِينَ^(١) بِعَمَائِهِمْ وَبِأَرْدِيَّتِهِمْ؛ وَالْحِجَارَةَ فِي أَرْدِيَّتِهِمْ وَفِي أَكْمَامِهِمْ؛ حَتَّى رَكِبَ بَعْلَتَهُ؛ وَأَثَبَتْ رِجْلَيْهِ فِي غُرْزِ الرِّكَابِ؛ ثُمَّ وَضَعَ إِصْبَعِيهِ السَّبَابَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ؛ ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَهْدَ إِلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله عَهْدًا؛ عَهْدَهُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله إِلَيَّ؛ بِأَنَّهُ لَا يُقِيمُ الْحَدَّ مَنْ لَلَّهِ عَلَيْهِ حَدٌّ؛ فَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ حَدٌّ مِثْلُ مَا عَلَيْهَا فَلَا يُقِيمُ عَلَيْهَا الْحَدَّ. قَالَ: فَانصَرَفَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ كُلُّهُمْ مَا خَلَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام؛ فَأَقَامَ هُوَ لِأَيِّهَا الثَّلَاثَةُ عَلَيْهَا الْحَدَّ يَوْمَئِذٍ؛ وَمَا مَعَهُمْ غَيْرُهُمْ.

قَالَ: وَانصَرَفَ فِيمَنْ انصَرَفَ يَوْمَئِذٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام. [٢].

وهنا لنا ملاحظة.. دقق النصَّ الكريم ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛
و انصراف عامة المسلمين !! ماذا يشير لك هذا الموقف؟؟. فانتهبه جيداً!

(١) اللثام: ما كان على الفم من النقاب.

(٢) الكافي: ج: ٧ ص ١٨٥-١٨٦ باب اخر من (صفة الرجم) ح: ١.

وجاء في تفسير الآية ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء ٨٢. فقد ورد:

[عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنما شفاء في علم القرآن لقوله ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأهله لا شك فيه ولا مريّة، وأهله أئمة الهدى الذين قال الله ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فاطر ٣٢].^(١)

صَرَّحَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بَعُلُوَّ دَرَجَةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى مَا سِوَاهَا مِنَ الطَّاعَاتِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْآتِي:

[وأما قوله ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ التوبة ١. فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ صَفْوَانَ عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَحَمْزَةَ وَالْعَبَّاسِ وَشَيْبَةَ. قَالَ الْعَبَّاسُ: أَنَا أَفْضَلُ لِأَنَّ سِقَايَةَ الْحَاجِّ بِيَدِي، وَقَالَ شَيْبَةُ: أَنَا أَفْضَلُ لِأَنَّ حِجَابَةَ النَّبِيِّ بِيَدِي، وَقَالَ حَمْزَةُ: أَنَا أَفْضَلُ لِأَنَّ عِمَارَةَ النَّبِيِّ بِيَدِي، وَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَفْضَلُ فَإِنِّي آمَنْتُ قَبْلَكُمْ ثُمَّ هَاجَرْتُ وَجَاهَدْتُ، فَرَضُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حَكَمًا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ. يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ التوبة ١٩-٢٢. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام].^(٢)

(١) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٣١٥ ح ١٥٤.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٨٣.

وفي روايةٍ أخرى أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ أَوَّلُ مَدْعُوٍّ لِلإِيمَانِ مِنَ السَّمَاءِ [عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ أَلْ عَمْرَانُ ١٩٣؛ قَالَ: هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ نُودِيَ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ آمِنَ بِالرَّسُولِ وَآمَنَ بِهِ. (١)].

لعله من المناسب تبيان الرابطة بين آياتٍ في سورة النمل وآياتٍ من سورة لقمان. ﴿طَس تَلَكَّ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ. هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ النمل ٢-٣.

وَالْآيَاتِ ﴿تَلَكَّ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ. هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لقمان ٣-٤.

أمعن النظر جيداً.. فستقتنع أن المؤمنين هم أنفسهم المحسنين وهم الذين يوقنون، وأن الهدى والبشرى والرحمة لهم لزاماً.

وَلَزِمَ أَنْ هُوَ لِأَوْلِيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُحْسِنِينَ بِصَدَقٍ تَامٍّ هُمْ أَلْ مُحَمَّدٍ ﷺ حَصْرًا لتمييزهم، وهم أولياء الله تعالى، لأنهم يحملون الإيمان والتقى التامين وفق الآيتين الكريمتين ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ يونس ٦٢-٦٣.

عودٌ على بدءٍ:

تبين من الآيات الـ(١٣) المباركات ومن بعد تعريف الإيمان لُعةً وشرعاً ومن الإشارات والتعليقات الستة ثم الوقفات الخمسة مع ما ذكر من أحاديث شريفة

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١١ ح ١٧٦.

أَنَّ الْمَعْنِيَّينَ بِ﴿لِقَوْمٍ يُّؤْمِنُونَ﴾ هُمَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ حَصْرًا. فَهَمَّ أَهْلُ الْإِيمَانِ الْمَطْلُوقِ، وَهَمَّ (فِي ذُرَى الْكَمَالِ)؛ وَإِيمَانٌ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الثَّقَلَيْنِ دُونَ إِيْمَانِهِمْ ﷺ يَقِينًا.

وَالْغَالِبِيَّةُ الْعَظْمَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مُشْرِكُونَ شِرْكَ طَاعَةٍ؛ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ... [عَنْ سَمَاعَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ يَوْسُفَ ١٠٦؛ قَالَ: يُطِيعُ الشَّيْطَانَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ فَيُشْرِكُ. (١).

كَمَا وَرَدَ الْحَدِيثُ [عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ بُكَيْرٍ عَنْ ضُرَيْسٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾، قَالَ: شِرْكَ طَاعَةٍ وَلَيْسَ شِرْكَ عِبَادَةٍ] (٢).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٧ بَابُ الشَّرْكِ ح ٣.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٧ بَابُ الشَّرْكِ ح ٤.



الفصل الثاني

﴿لِقَوْمٍ يَعْمُونَ﴾



﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

وقد ذكر هذا النص في ٨ آيات مباركة؛ نذكرها حسب تسلسلها في المصحف:

١. قوله تعالى ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة ٢٣٠.

٢. قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأنعام ٩٧.

٣. قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأنعام ١٠٥.

٤. قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف ٣٢.

٥. قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ التوبة ١١.

٦. قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(١) يونس ٥.

٧. قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢) النمل ٥٢.

٨. قوله تعالى ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) فصلت ٣.

إشاراتٌ لغوية:

جاء في (لسان العرب): [من صفاتِ الله عزَّ وجلَّ العليمُ والعالمُ والعلَّامُ؛ قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^(١) يس ٨١، وقال ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٢)، وقال ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٣)، فهو الله العالمُ بما كان وما يكونُ قَبْلَ كَوْنِهِ، وبِمَا يَكُونُ وَلَمَّا يَكُنْ بَعْدُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، لَمْ يَزَلْ عَالِمًا وَلَا يَزَالُ عَالِمًا بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ؛ سبحانه وتعالى، أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ بَاطِنِهَا وَظَاهِرِهَا دَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا عَلَى أتمِّ الإمكان. وَعَلِيمٌ فَعِيلٌ: مِنْ أُنْبِيَةِ الْمَبَالِغَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلإِنْسَانِ الَّذِي عَلَّمَهُ اللَّهُ عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ عَلِيمٌ، كَمَا قَالَ يَوْسُفُ لِلْمَلِكِ ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾^(٤) يوسف ٥٥؛ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٥) فاطر ٢٨؛ فَأَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يَخْشَاهُ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الْعُلَمَاءُ... وَرَوَى: لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الْحَدِيثِ؛ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ بِالْخَشْيَةِ... ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾... وَكَذَلِكَ صِفَةُ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ عَلِيمًا بِأَمْرِ رَبِّهِ، وَأَنَّهُ وَاحِدٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٦) الشورى ١١؛ إِلَى مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴿مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(٧)

(١) وردت في ١٠ آيات منها الأنعام ٧٣، التوبة ٩٤، السجدة ٦، الحشر ٢٢، التغابن ١٨.

(٢) المائدة ١٠٩، المائدة ١١٦، التوبة ٧٨، سبأ ٤٨.

يوسف ١٠١؛ الذي كان يَقْضِي به على الغيب، فكان عليمًا بما عَلَّمَهُ اللهُ،... والعِلْمُ نقيضُ الجهل. عِلْمٌ عِلْمًا وَعِلْمٌ هُوَ نَفْسُهُ، ورجلٌ عالمٌ وَعَلِيمٌ من قومٍ عُلَمَاءَ فِيهِمَا جَمِيعًا.... وجمعُ عالمٍ عُلَمَاءُ، ويقالُ عُلَامٌ أيضًا... وَعَلِمْتُ الشَّيْءَ أَعْلَمُهُ عِلْمًا: عَرَفْتُهُ... وتقولُ عِلِمٌ وَفَقَهُ أَي تَعَلَّمَ وَتَفَقَّهَ... وَعَلَّمَهُ الْعِلْمَ وَأَعْلَمَهُ إِيَّاهُ فَتَعَلَّمَهُ،... عَلِمْتُ كَأَذَنْتُ؛ أَعْلَمْتُ كَأَذَنْتُ، وَعَلَّمْتَهُ الشَّيْءَ فَتَعَلَّمُ،...

﴿إِنَّكَ غُلِيْمٌ مُعَلِّمٌ﴾ أَي مُلْهَمٌ لِلصَّوَابِ وَالخَيْرِ؛ كقوله تعالى ﴿مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ الدخان ١٤؛ أَي لَهُ مَنْ يُعَلِّمُهُ. وَيُقَالُ تَعَلَّمَ فِي مَوْضِعٍ إِعْلَمَ...^(١).

وفي كتاب (العين): [عِلْمٌ يَعْلَمُ عِلْمًا، نَقِيضُ جَهْلٍ. وَرَجُلٌ عِلَامَةٌ وَعِلَامٌ وَعَلِيمٌ. فَإِنْ أَنْكَرُوا الْعَلِيمَ فَإِنَّ اللَّهَ يَحْكِي عَنْ يَوْسُفَ ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ يوسف ٥٥؛ وَأَدْخَلْتَ الْهَاءَ فِي عِلَامِهِ لِلتَّوَكِيدِ. وَمَا عَلِمْتُ بِخَبْرِكَ أَي مَا شَعَرْتُ بِهِ. وَأَعْلَمْتُهُ بِكَذَا أَي أَشَعَّرْتُهُ؛ وَعَلَّمْتَهُ تَعْلِيمًا.]^(٢)..

إشارات قرآنية:

١. إِنَّ اللَّهَ جَلَّ عُلَاهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ فِي أَكْثَرِ مِنْ ١٥٠ آيَةٍ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة ٢٩. ﴿... يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ هود ٥.

٢. إِنَّ الْإِنْسَانَ يُولَدُ وَهُوَ صَفْحَةٌ بَيْضَاءُ خَالٍ مِنَ الْعِلْمِ تَمَامًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل ٧٨.

(١) لسان العرب: ج ١٢ ص ٤١٦ باب (عَلِمَ).

(٢) كتاب العين: ج ٢ ص ١٥٢ باب (عَلِمَ).

٣. إنَّ اللَّهَ جَلَّ شَأْنُهُ وَاهْبُ الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ لِعِبَادِهِ بِمَنْنِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق ٥، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن ٣-٤ .

٤. العبدُ يتعلَّم؛ ومأمورٌ أن يطلُب الزيادةَ من خالقه لِقَوْلِهِ جَلَّ علاه ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه ١١٤ .

٥. الإنسانُ باقٍ قليلُ العِلْمِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء ٨٥ .

٦. يبقى العبادُ متفاوتون في درجاتِ العِلْمِ دوماً لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿... نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف ٧٦ .

٧. اللَّهُ تَعَالَى يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِمَرَاتِبٍ مُمَيِّزَةٍ مِنَ الْعِلْمِ، فَيَنْعَتُهُم بِالرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ تَارَةً، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿.. وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾ آل عمران ٧، ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾ النساء ١٦٢ .

وفي آياتٍ أُخْرَى يَنْعَتُهُم بِأَنْهُمْ ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ تَارَةً أُخْرَى؛ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ القصص ٨٠، ﴿... قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ...﴾ النحل ٢٧، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنْفَا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ محمد ﷺ ١٦، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيْمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الروم ٥٦. والمقصود بالآية الكريمة ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ الكهف ٦٥. فقد ورد :

[﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ فهو أيضا كالرحمة التي من عنده؛ علمٌ لا صنَع فيه للأسباب العادية كالحسِّ والفكرِ حتى يحصل من طريق الاكتساب؛ والدليل على ذلك قوله ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ فهو علمٌ وهبِيٌّ غيرُ اكتسابي؛ يختص به أوليائه؛ وآخرُ الآيات يدلُّ على أنه كان علماً بتأويلِ الحوادث. [١]. كما ورد [قوله ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ معناه من نفسنا، وفي مرحلة الذات دون مرحلة الخلق الذي هو فعلنا الخارجُ من ذاتنا. [٢].

٨. وقد نهى الله تعالى تلبسَ الحقِّ بالباطلِ وكتمانَ الحقِّ من بعد العلم به بقوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آل عمران ٧١؛ وأبقوله تعالى ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ٤٢.

٩. تهديدُ الله تعالى لأصنافٍ من الناسِ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) عاقبة ذلك حين يُعاقبون، أو بشكلِ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٤) عاقبة ذلك حين تُعاقبون، أو بشكلِ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ (٥).

١٠. كما أمر الله تعالى كلَّ مسلمٍ ممن لا يعلمُ بأن يسأل؛ قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل ٤٣. أو بقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأنبياء ٧.

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٣ ص ٢٤٤، عند تفسير آية الكهف ٦٥.

(٢) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٤ ص ٤٧٥، عند تفسير آية الأنبياء ١٧.

(٣) ذُكرت ٦ مرات.

(٤) ذُكرت ٦ مرات.

(٥) ذُكرت ٣ مرات.

١١. المؤمنون يعلمون بحقانية قرب الساعة؛ لقوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ. يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ...﴾ الشورى ١٧-١٨.

١٢. المنافقون يعلمون أنهم منافقون؛ لقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلَفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ المجادلة ١٤.

فقد ورد [وقال في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ المراد بهم قومٌ من المنافقين؛ كانوا يوالون اليهود؛ ويفشون إليهم أسرار المؤمنين؛ ويجمعون معهم على ذكر مساءة النبي ﷺ والمؤمنين؛ ﴿ما هم منكم ولا منهم﴾ يعني: أنهم ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود؛ ﴿ويخلفون على الكذب﴾ أي على أنهم لم ينافقوا ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم منافقون. (١).

١٣. قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة ١٤٦. جاء بصدها [حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبُدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيِّ عَنْ دُرُسْتِ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنِ الرُّوحِ؟ قَالَ: يَا جَابِرُ... وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ أَصْحَابَ الْمَشْئِمَةِ فَمِنْهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ عَرَفُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْوَصِيَّ مِنْ بَعْدِهِ وَكَتَمُوا مَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ بَغِيًّا وَحَسَدًا فَيَسْلُبُهُمْ رُوحَ الْإِيمَانِ... (٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٥٨. عن مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٣.

(٢) بصائر الدرجات: ج ١ ص ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ باب ١٤ ما جعل الله في الأنبياء والأوصياء والمؤمنين وسائر الناس من الأرواح وأنه فضل الأنبياء والأئمة من آل محمد ﷺ بروح القدس وذكر الأرواح الخمس ح ٥.

١٤ . وَرَدَ النَّصُّ الْكَرِيمُ ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فِي ١٥ آيَةٍ كَرِيمَةٍ - بِفَتْحِ الرَّاءِ أَوْ ضَمِّهَا .
 كما ورد النصُّ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فِي ٤ آيَاتٍ . وَ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
 لَا تَعْلَمُونَ﴾ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي النَّحْلِ ٧٤ .

وورد النصُّ الكريمُ ﴿أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا
 إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا
 أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ الْأَنْعَامُ ١١١ .

وورد النصُّ الكريمُ ﴿لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١١ مَرَّةً .

وَمِنْ صِفَاتِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ
 فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التَّوْبَةُ ٦ .

وَجَاءَ فِي وَصْفِ الْمُنَافِقِينَ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا
 بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التَّوْبَةُ ٩٣ .

وورد تظاهرُ فريقٍ من أهلِ الكتابِ عَدَمَ الْعِلْمِ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
 مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ﴾ الْبَقَرَةُ ١٠١ .

كما وردت الآية ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ إِبْرَاهِيمَ ﷺ ٢٤ .

وَبشأنِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا
 تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾
 لقمان ١٥ .

فقد ورد: [الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن بسطام بن مروة عن إسحاق بن حسان عن الهيثم بن واقد عن علي بن الحسين العبدي عن سعد الإسكاف عن الأصبع بن نباتة أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ لقمان ١٤؟ فقال: الوالدان اللذان أوجب الله لهما الشكر؛ هما اللذان ولدا العلم وورثا الحكم؛ وأمر الناس بطاعتيهما. ثم قال الله ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾؛ فمصير العباد إلى الله؛ والدليل على ذلك الوالدان، ثم عطف القول على ابن حنمة^(١) وصاحبه؛ فقال في الخاص: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ يقول في الوصية؛ وتعديل عمّن أمرت بطاعته فلا تطعهما ولا تسمع قولهما، ثم عطف القول على الوالدين فقال: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ يقول: عرف الناس فضلهما؛ وادع إلى سبيلهما؛ وذلك قوله ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ فقال: إلى الله ثم إلينا؛ فاتقوا الله ولا تعصوا الوالدين؛ فإن رضاها رضا الله؛ وسخطهما سخط الله. [٢].

إشارة روائية لبيان من القوم الذين يعلمون؟.

جاء في الحديث [عنه عن أبيه عمّن ذكره عن أبي علي حسان العجلي قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام - وأنا جالس - عن قول الله عز وجل ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الزمر ٩؟.

(١) في المصدر: ابن فلانة، ولعله من فعل نخرج الكتاب.

حنمة بنت ذى الرحين أم عمر بن الخطاب وليست بأخت أبي جهل كما وهو ابل بنت عم أبي جهل.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٢٨ باب فيه نكتة ونكتة من التنزيل في الولاية ح ٧٩. والنص منقول

من البحار: ج ٣٠ ص ١٥٠.

قَالَ: نَحْنُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ؛ وَعَدُوُّنَا الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؛ وَشِيعَتُنَا أُولُوا الْأَلْبَابِ [١].
كما ورد في (الكافي) مثله عن الامام الباقر عليه السلام [٢].

وجاء في الحديث [عنه عن أبيه عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام في رسالة: وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنَ الْقُرْآنِ فَذَلِكَ أَيْضاً مِنْ خَطَرَاتِكَ الْمُتَفَاوِتِ الْمُخْتَلِفَةِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ عَلَى مَا ذَكَرْتَ؛ وَكُلُّ مَا سَمِعْتَ فَمَعْنَاهُ غَيْرُ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ؛ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ أَمْثَالُ ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ دُونَ غَيْرِهِمْ؛ وَلِقَوْمٍ يَتْلُونَهُ حَقّاً تِلَاوَتِهِ؛ وَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْرِفُونَهُ، فَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَمَا أَشَدَّ إِشْكَالَهُ عَلَيْهِمْ؛ وَأَبْعَدَهُ مِنْ مَذَاهِبِ قُلُوبِهِمْ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَيْسَ شَيْءٌ بِأَبْعَدَ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ».

وَفِي ذَلِكَ تَحْيِرَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعُونَ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ اللَّهُ بِتَعْمِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَّبِعُوا إِلَى بَابِهِ وَصِرَاطِهِ وَأَنْ يَعْبُدُوهُ؛ وَيَتَّبِعُوا فِي قَوْلِهِ إِلَى طَاعَةِ الْقَوَامِ بِكِتَابِهِ وَالنَّاطِقِينَ عَنْ أَمْرِهِ؛ وَأَنْ يَسْتَنْطِقُوا مَا احْتَجُّوا إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ عَنْهُمْ لَاعْنُ أَنْفُسِهِمْ. ثُمَّ قَالَ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النساء ٨٣؛ فَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَلَيْسَ يُعْلَمُ ذَلِكَ أَبَدًا وَلَا يُوجَدُ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ وِلَاةَ الْأَمْرِ؛ إِذْ لَا يَجِدُونَ مَنْ يَأْتِمِرُونَ عَلَيْهِ؛ وَلَا مَنْ يُبَلِّغُونَهُ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ الْوِلَاةَ حَوَاصِّ لِيَقْتَدِيَ بِهِمْ مَنْ لَمْ يَخْصُصْهُمْ بِذَلِكَ؛ فَافْهَمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَإِيَّاكَ وَإِيَّاكَ وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ بِرَأْيِكَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ غَيْرُ مُشْتَرِكِينَ فِي عِلْمِهِ؛ كَأَشْرَاكِهِمْ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْأُمُورِ؛ وَلَا قَادِرِينَ عَلَيْهِ وَلَا عَلَى تَأْوِيلِهِ إِلَّا مَنْ حَدَّهَ وَبَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ؛ فَافْهَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ وَاطْلُبِ الْأَمْرَ مِنْ مَكَانِهِ تَجِدْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ [٣].

(١) المحاسن: ج ١ ص ١٦٩ باب ٣٦ ح ١٣٤ باب ما نزل في الشيعة من القرآن.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢١٢ باب مَنْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بِالْعِلْمِ هُمْ الْأَيُّمَةُ عليهم السلام ح ٢.

(٣) المحاسن: ج ١ ص ٢٦٨ ح ٣٥٦.

ولسانُ حالِهِمْ ﷺ كِلْسَانِ حَالِ يَعْقُوبَ ﷺ ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
الأعراف ٦٢.

نعوتُ أخرى لِأهلِ البيتِ ﷺ بعنوانِ العِلْمِ

إنَّ أهلَ البيتِ ذكروا في كتابِ اللَّهِ تعالى بنعوتٍ مميزةٍ تخصُّ هذا البحثَ نذكر
منها:

أ. أَنهِمْ ﷺ ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾:

قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ
مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا
يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران ٧. فقد ورد في الأحاديث:

[ح ١ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ النَّضْرِ بْنِ
سُوَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحُرِّ وَعِمْرَانَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
نَحْنُ ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وَنَحْنُ نَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ (١).

ح ٢ - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ حَمَّادٍ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَحَدِهِمَا ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ
إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فَرَسُوهُ اللَّهُ ﷺ أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، قَدْ عَلَّمَهُ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْئًا
لَمْ يُعَلِّمَهُ تَأْوِيلَهُ، وَأَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ.

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد ﷺ: ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ب ١٠ ح ٥.

وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ^(١) تَأْوِيلَهُ إِذَا قَالَ الْعَالِمُ فِيهِمْ يَعْلَمُ فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ ﴿يَقُولُونَ
آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾. وَالْقُرْآنُ خَاصٌّ وَعَامٌّ وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ؛
فَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَهُ.

ح ٣ - الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَوْرَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ
حَسَّانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَيْمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ عليهم السلام. [٢].

كما ورد الحديث [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ
سَمَاعَةَ عَنْ وَهَيْبِ بْنِ حَفْصٍ عَنْ أَبِي بصيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ
الْقُرْآنَ زَاجِرٌ وَأَمْرٌ؛ يَأْمُرُ بِالْجَنَّةِ وَيُزْجِرُ عَنِ النَّارِ، وَفِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ؛ فَأَمَّا الْمُحْكَمُ
فَيُؤْمَنُ بِهِ وَيُعْمَلُ بِهِ [وَيُدَبَّرُ بِهِ]؛ وَأَمَّا الْمُتَشَابِهُ فَيُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ؛ وَهُوَ قَوْلُ
اللَّهِ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، وَأَلَّ
مُحَمَّدٍ عليه السلام ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾. [٣].

كما ورد الحديث التالي [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ
مَنْصُورٍ عَنْ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ هَذِهِ الرَّوَايَةِ
«مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَمَا فِيهِ حَرْفٌ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ يَطْلَعُ»؛ مَا يَعْنِي بِقَوْلِهِ «لَهَا
ظَهْرٌ وَبَطْنٌ»؟، قَالَ: ظَهْرٌ وَبَطْنٌ هُوَ تَأْوِيلُهَا؛ مِنْهُ مَا قَدْ مَضَى؛ وَمِنْهُ مَا لَمْ يَجِيءْ؛ يَجْرِي
كَمَا تَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، كُلَّمَا جَاءَ فِيهِ تَأْوِيلٌ شَيْءٍ مِنْهُ يَكُونُ عَلَى الْأَمْوَاتِ كَمَا

(١) المراد بالذين لا يعلمون تأويله: الشيعة؛ إذا قال العالمُ فيهم: يعلمُ، يعني به الراسخُ في العلمِ الذي بين أظهرهم.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢١٣ بابُ أنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الْأَيْمَةُ عليهم السلام ح ١٢٠٢.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٤٥١.

يَكُونُ عَلَى الْأَحْيَاءِ. كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؛ وَنَحْنُ نَعْلَمُهُ. [١].

كما ورد في كتاب سليم بن قيس الهلالي... قول أمير المؤمنين عليه السلام [يا معاويةُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَدْعُ صِنْفًا مِنْ أَصْنَافِ الضَّلَالَةِ وَالِدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ إِلَّا وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِمْ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ؛ وَنَهَى [فِيهِ] عَنِ اتِّبَاعِهِمْ. وَأَنْزَلَ فِيهِمْ قُرْآنًا قَاطِعًا نَاطِقًا عَلَيْهِمْ، قَدْ عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ. وَإِنِّي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ؛ وَمَا مِنْهُ حَرْفٌ إِلَّا وَإِنَّ لَهُ تَأْوِيلًا، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؛ الرَّاسِخُونَ نَحْنُ أَلْ مُحَمَّدٍ؛ وَأَمَرَ اللَّهُ سَائِرَ الْأُمَّةِ أَنْ يَقُولُوا ﴿أَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾؛ وَأَنْ يُسَلِّمُوا لَنَا [وَيُرِدُّوا عِلْمَهُ إِلَيْنَا]؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النساء ٨٣؛ هُمُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ عَنْهُ وَيَطْلُبُونَهُ، وَلَعَمْرِي لَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَلَّمُوا لَنَا وَاتَّبَعُونَا وَقَلَّدُونَا أُمُورَهُمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ؛ وَلَمَّا طَمِعْتَ أَنْتَ يَا مُعَاوِيَةَ... [٢].

ب. أَنَّهُمْ عليهم السلام خَزَنَةُ عِلْمِ الْكِتَابِ:

قال تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الرعد ٤٣.

فقد ورد في التفسير [فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ] هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام: ج ١ ص ٢٠٣ ب ١٠ ح ٢.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ج ٢ ص ٧٧٢.

وَسُئِلَ عَنِ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴿النمل ٤٠﴾ أَعْلَمُ أَمْ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿؟﴾، فَقَالَ: مَا كَانَ عِلْمُ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴿عِنْدَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَأْخُذُ الْبَعُوضَةُ بِجَنَاحِهَا مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ، وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَلَا إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي هَبَطَ بِهِ آدَمُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَجَمِيعَ مَا فَضَّلَتْ بِهِ النَّبِيُّونَ إِلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ فِي عِثْرَةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صلى الله عليه وآله [١].

كذلك وردت الأحاديث [ح ١٨]: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَمَّنْ رَوَاهُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ عَنْ فَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾؛ قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ إِنَّهُ عَالِمٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله.

١٩: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾؛ قَالَ: الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ﴾.

٢٠: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ وَ يَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأبي جَعْفَرٍ عليه السلام ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾؟ قَالَ: إِيَّانَا عَنِي؛ وَعَلِيُّ أَوْلُنَا وَأَفْضَلُنَا وَخَيْرُنَا بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله [٢].

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٦٧.

(٢) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام: ج ١ ص ٢١١ ب ١ عند الأئمة عليهم السلام اسم الله الاعظم و علم

الكتاب ح ١٨، ح ١٩، ح ٢٠،

الكافي: ج ١ ص ٢٢٩ باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام، وأنهم يعلمون العلم كله ح ٦.

ت. أنهم عليه السلام ﴿أوتوا العلم﴾:

قوله تعالى ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ العنكبوت ٤٩..

فقد ورد في الأحاديث: [ح١: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ قُلْتُ لَهُ: قَوْلُ اللَّهِ ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾؟ قَالَ عليه السلام: [إِيَّانَا عَنَى .

ح٢: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾؛ قَالَ: أَنْتُمْ هُمْ؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونُوا؟.

ح٥: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ يَزِيدَ عَنْ هَارُونَ بْنِ حَمَّزَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾؛ قَالَ: هِيَ الْأَيْمَةُ خَاصَّةً. ^(١).

كما جاء في الأحاديث [ح١: أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَيْسَى عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾؛ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ.

ح٥: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾؟ قَالَ: هُمْ الْأَيْمَةُ عليه السلام خَاصَّةً. ^(٢).

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام: ج١ ص ٢٠٤-٢٠٥ ب ١١ في أن الأئمة أوتوا العلم

و أثبت ذلك في صدورهم ح ١، ح ٢، ح ٥.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢١٣-٢١٤ باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم ح ١، ح ٥.

والآيات الأخرى التي وردت بهذا الخصوص فهي:

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الحج ٥٤ .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الروم ٥٦ .

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ سبأ ٦ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة ١١ .

فمعلوم أن المراد بـ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم العلماء بالله وبآيات كتابه وبشرائعه. والعترة الطاهرة عليهم السلام هم من أصدق وأوثق مصاديقها؛ لأنهم عدل القرآن بنص الحديث الشريف المتواتر حيث ورد [حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَنْ يَحْيَى بْنِ أُدَيْمٍ عَنْ شَرِيكَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ أَصْحَابَهُ بِمَنَى؛ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ؛ أَمَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا؛ كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي؛ فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْصَ. ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ؛ كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي وَالْكَعْبَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ؛ ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: أَمَا كِتَابَ اللَّهِ فَحَرِّفُوا؛ وَأَمَا الْكَعْبَةَ فَهَدِّمُوا؛ وَأَمَا الْعِتْرَةَ فَفَقِّتُوا؛ وَكُلَّ وَدَائِعِ اللَّهِ فَقَدْ تَبَّرُوا. (١)].

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد: عليهم السلام ج ١ ص ٤١٣-٤١٤ ب ١٧ ح ٣.

ث. أنهم عليه السلام ﴿أولوا العلم﴾:

قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آل عمران ١٨ .

فقد ورد في التفسير [عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَشْهَدُ بِهَا لِنَفْسِهِ؛ وَهُوَ كَمَا قَالَ؛ فَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ فَإِنَّهُ أَكْرَمَ الْمَلَائِكَةِ بِالتَّسْلِيمِ لِرَبِّهِمْ؛ وَصَدَّقُوا وَشَهِدُوا كَمَا شَهِدَ لِنَفْسِهِ؛ وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ فَإِنَّ أَوْلِي الْعِلْمِ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْصِيَاءَ؛ وَهُمْ قِيَامٌ بِالْقِسْطِ؛ وَالْقِسْطُ هُوَ الْعَدْلُ فِي الظَّاهِرِ؛ وَالْعَدْلُ فِي الْبَاطِنِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ..] (١).

ج. أنهم عليه السلام هم ﴿العالمين﴾، ﴿العالمون﴾...

قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتِمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ الروم ٢٢ .

فقد ورد في الحديث [الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ عُبَيْسِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الْإِمَامِ أَفَوْضَ اللَّهُ إِلَيْهِ كَمَا فَوَّضَ إِلَى سُلَيْمَانَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ.

وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَهُ؛ وَسَأَلَهُ آخَرَ عَنْ تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ فَأَجَابَهُ بِغَيْرِ جَوَابِ الْأَوَّلِ؛ ثُمَّ سَأَلَهُ آخَرَ عَنْهَا فَأَجَابَهُ بِغَيْرِ جَوَابِ الْأَوَّلَيْنِ، ثُمَّ قَالَ:

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٦ ح ١٨، تفسير فرات الكوفي: ص ٧٧ - ٧٨ ح ٥١.

«هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْسِكْ أَوْ أَعْطِ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(١)؛ وَهَكَذَا هِيَ فِي قِرَاءَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ؛ فَحِينَ أَجَابَهُمْ بِهَذَا الْجَوَابِ يَعْرِفُهُمُ الْإِمَامُ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَمَا تَسْمَعُ اللَّهُ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ الحجر ٧٥؟ وَهُمْ الْأَيْمَّةُ؛ ﴿وَإِنَّمَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ الحجر ٧٦؛ لَا يُخْرَجُ مِنْهُمْ أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ لِي: نَعَمْ؛ إِنَّ الْإِمَامَ إِذَا نَظَرَ إِلَى الرَّجُلِ عَرَفَهُ؛ وَعَرَفَ مَا هُوَ عَلَيْهِ؛ وَعَرَفَ لَوْنَهُ، وَإِنْ سَمِعَ كَلَامَهُ مِنْ وَرَاءِ حَائِطٍ عَرَفَهُ وَعَرَفَ مَا هُوَ. إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾؛ فَهُمْ الْعُلَمَاءُ، وَلَيْسَ يَسْمَعُ شَيْئًا مِنَ الْأَلْسِنِ تَنْطِقُ إِلَّا عَرَفَهُ نَاجٍ أَوْ هَالِكٌ؛ فَلِذَلِكَ يُجِيبُهُمُ بِالَّذِي يُجِيبُهُمْ بِهِ. [٢].

وقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت ٤٣. فقد جاء في الحديث [حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ هَارُونَ بْنِ حَمْزَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ العنكبوت ٤٩؛ قَالَ: هُمْ الْأَيْمَّةُ خَاصَّةً. ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.... فَزَعَمَ أَنَّ مَنْ عَرَفَ الْإِمَامَ وَالْآيَاتِ بِمَنْ يَعْقِلُ ذَلِكَ. [٣].

ح. أَنَّهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿الْعُلَمَاءُ﴾:

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر ٢٨. فقد جاء في الحديث [عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى عَنْ يُونُسَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَثْمَانَ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ

(١) وفي سورة ص الآية ٣٩ هكذا (هذا عطاؤنا فامتنن أو أمسك بغير حساب).

(٢) الإختصاص ﴿الشيخ المفيد﴾: ص ٣٠٦.

(٣) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ: ج ١ ص ٢٠٧ ح ١٧.

الْمُغِيرَةَ النَّصْرِيَّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّمَا يُحِشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾؛ قَالَ: يَعْنِي بِالْعُلَمَاءِ مَنْ صَدَّقَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ؛ وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ فِعْلُهُ قَوْلَهُ فَلَيْسَ بِعَالِمٍ. [١].

وقال السيد الطباطبائي في ميزانه [والمراد بالعلماء العلماء بالله؛ وهم الذين يعرفون الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله معرفة تامة؛ تطمئن بها قلوبهم؛ وتزيل وصمة الشك والقلق عن نفوسهم؛ وتظهر آثارها في أعمالهم، فيصدق فعلهم قولهم. والمراد بالخشية حينئذ حق الخشية، ويتبعها خشوع في باطنهم وخضوع في ظاهرهم. هذا ما يستدعيه السياق في معنى الآية. [٢].

وبذلك فإن أهل البيت عليهم السلام هم أوكد مصاديق الآية؛ لأن أقوالهم وأفعالهم متطابقة تماماً....

خ. أنهم عليهم السلام هم ﴿مَنْ يَعْلَمُ﴾:

قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الرعد ١٩.

فقد جاء في الأحاديث الشريفة: [ح١- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ سَيْفِ التَّمَارِ قَالَ: كُنَّا مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَمَاعَةً مِنَ الشَّيْعَةِ فِي الْحِجْرِ؛ فَقَالَ: عَلَيْنَا عَيْنٌ؟ فَالْتَمَتْنَا يَمَنَةً وَيَسْرَةً؛ فَلَمْ نَرِ أَحَدًا؛ فَقُلْنَا: لَيْسَ عَلَيْنَا عَيْنٌ. قَالَ: وَرَبُّ الْكَعْبَةِ وَرَبُّ الْبَيْتِ؛ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ مُوسَى وَالْخَضِرِ لَأَخْبَرْتُهُمَا أَيُّ أَعْلَمَ مِنْهُمَا؛ وَلَا نَبَأْتُهُمَا بِمَا لَيْسَ فِي أَيْدِيهِمَا؛ لِأَنَّ مُوسَى وَالْخَضِرَ أُعْطِيَا عِلْمَ مَا كَانَ؛ وَلَمْ يُعْطِيَا

(١) الكافي: ج١ ص ٣٦ باب صفة العلماء ح ٢.

(٢) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٧-١٨ ص ٣٢ عند تفسير سورة فاطر (٢٨).

عِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أُعْطِيَ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَوَرِثَاهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِثَةً.

٢- حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبُدٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي عَمِيرٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ؛ فَأَذِنَ لِي؛ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي كَلَامٍ لَهُ:

يَا مَنْ خَصَّنَا بِالْوَصِيَّةِ؛ وَأَعْطَانَا عِلْمَ مَا مَضَى وَعِلْمَ مَا بَقِيَ؛ وَجَعَلَ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْنَا وَجَعَلْنَا وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ.

٣- حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبُدٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ حَمَّادٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ يَا مَنْ أَعْطَانَا عِلْمَ مَا مَضَى وَمَا بَقِيَ، وَجَعَلْنَا وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، وَخَتَمَ بِنَا الْأُمَّمَ السَّالِفَةَ، وَخَصَّنَا بِالْوَصِيَّةِ. [١].

عودٌ على بدء:

هذا شأنُ عِلْمِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ؛ وَلَا يَنَازِعُهُمْ مَنَازِعٌ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. وَبَقِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ الْمُتَتَجِّبِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي شَأْنِ الْعِلْمِ فَهُمْ عِيَالٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلِ الْمَعْصُومِينَ ﷺ. وَكُلٌّ يَجْمَلُ عِلْمًا عَلَى قَدْرِ تَوْفِيقِهِ؛ وَهُمْ فِي شَأْنِ الْعِلْمِ فِي مَنَازِلَ مُتَفَاوِتَةٍ وَدَرَجَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ؛ ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ الْأَنْعَامَ ١٣٢. وَكَلَّمَا أَزْدَادَ الصَّحَابِيِّ وَالتَّابِعِيِّ قُرْبًا - بِصِدْقٍ - مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ ﷺ نَالَ مَرْتَبَةً فِي الْعِلْمِ أَعْلَى مِنْ غَيْرِهِ.

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد ﷺ: ج١ ص ١٢٩ ب٧ في الأئمة ﷺ أنهم أعطوا عِلْمَ مَا مَضَى وَ مَا بَقِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ح١، ح٢، ح٣.

وفي نهاية البحث الثاني تبين لنا أن المعنيين بـ ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ هم أنفسهم
المعنيون بـ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. أي أنّ المعنيَّ في النصِّين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ﴾ هم آلُ محمدٍ ﷺ حصراً.





الفصل الثالث

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾



﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

ذُكر هذا النصُّ الكريم (٨) مرات في القرآن الكريم؛ سنذكرها حسب التسلسل في المصحف الشريف؛ قوله تعالى:

١. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة ١٦٤.

٢. ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرعد ٤.

٣. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ النحل ١٢.

٤. ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ النحل ٦٧.

٥. ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ العنكبوت ٣٤ - ٣٥.

٦. ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الروم ٢٤.

٧. ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنَّفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الروم ٢٨.

٨. ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الجاثية ٥.

إشارات لغوية:

[العقل: وهو مصدرُ عَقَلَ يَعْقِلُ؛ إدراكُ الشيءِ وفهمه التام. ومنه العقلُ اسمٌ لما يُمَيِّزُ به الإنسانُ بينَ الصَّلاحِ والفسادِ؛ وبينَ الحقِّ والباطلِ؛ والصدقِ والكذبِ..]^(١).

وأيضاً [العقل: الحِجْرُ والنَّهْيُ ضِدُّ الحُمُقِ؛ والجمعُ عُقول... عَقَلَ يَعْقِلُ معقولاً؛ وهو مصدرٌ... وعَقَلَ فهو عاقلٌ وعَقُولٌ من قومٍ عَقلاء... رجلٌ عاقلٌ وهو الجامعُ لأمره ورأيه، مأخوذٌ من عَقَلَ البعيرِ؛ إذا جمعتَ قوائمه، وقيل: العاقلُ الذي يجبسُ نفسه ويرُدُّها عن هواها... والعقلُ التثبُّتُ في الأمور.

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١ - ٢ ص ٣٠٦ تفسير سورة البقرة ١٦٤.



والعقل القلب؛ والقلب العقل... وسُمِّيَ العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه.. وقيل العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان. ويُقال: فلان قلبه عقولٌ ولسانٌ سؤولٌ، وقلبٌ عقولٌ: فهمٌ.

وعقل الشيء يعقله عقلاً: فهمه. وعقلته أي صيرته عقلاً. وتعقل: تكلف العقل؛ كما يقال تحلّم وتكيس. وتعاقل: أظهر أنه عاقل فهمٌ وليس بذلك...
والعقولُ فعولٌ منه للمبالغة. (١).

كما جاء [العقل: نقيض الجهل. عقل يعقل عقلاً فهو عاقل. والمعقول: ما تعقله في فؤادك]. (٢).

وكذلك قيل [العقل: يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيدة الإنسان بتلك القوة عقل، ولهذا قال أمير المؤمنين (٣) رضي الله عنه:

رأيت العقل عقليين	فمطبوعٌ ومسموعٌ
ولا ينفع مسموعٌ	إذا لم يك مطبوعٌ
كما لا تنفع الشمسُ	وضوء العين ممنوعٌ

وإلى الأول أشار صلى الله عليه وآله بقوله: ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل.

وإلى الثاني: ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى. وهذا العقل هو المعني بقوله ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ العنكبوت ٤٣. وكلُّ

(١) لسان العرب: ج ١١ ص ٤٥٨ - ٤٥٩.

(٢) كتاب العين: ج ١ ص ١٥٩.

(٣) الإمام علي عليه السلام.

موضع ذمَّ اللّهِ فيه الكفّارَ بعدمِ العقلِ إشارةً إلى الثاني دون الأوّل؛ نحو ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ اللَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ البقرة ١٧١ ونحو ذلك من الآيات. وكلُّ موضعٍ رُفِعَ فيه التّكليفُ عن العبدِ لعدمِ العقلِ إشارةٌ إلى الأوّل. وأصلُ العَقْلِ: الإِمْسَاكُ والاستِمْسَاكُ، كعقلِ البعيرِ بِالْعِقَالِ. (١).

إشاراتٌ إحصائية:

مع أن القرآن الكريم أشارَ للصّفوة من الخلقِ فدَكَرهم بالصورة ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فإنه لم يُهملِ باقي الأمة أن يُخاطبها بمفردة العقل؛ فنرى أنه تعالى يخاطبهم:

بصيغةٍ إستفهامية: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾؛ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟﴾؛ ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ؟﴾ وجميعها في ١٥ موضع. وبصيغةٍ شرطية: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ في موضعين. وبصيغةٍ التّرجيِّ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ في ٨ مواضع. أو بصيغة الظنِّ والحُسبان: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الفرقان ٤٤.

ووردت صيغةٌ ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ في ١٢ موضع في المصحف الشريف؛ وهؤلاء هم الأكثرية في مجتمع أهل الكتاب والمشرّكين؛ مثل قوله تعالى ﴿... قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ العنكبوت ٦٣. أو قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحشر ١٤.

وحتى في المجتمع الإسلامي؛ مثل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحجرات ٤. كذلك قوله تعالى ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ المائدة ٥٨.

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٧٧ - ٥٧٨.



كذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الأنفال ٢٢.

إشاراتٌ حديثية وتفسيرية بشأنِ العَقْلِ:

أ. جاء في الحديث [أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ حَدَّثَنِي عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ ^(١) اسْتَنْطَقَهُ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ^(٢). ثُمَّ قَالَ: وَعَزَّرَنِي وَجَلَّالِي؛ مَا خَلَقْتُ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ؛ وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِي مَنِّ أَحِبُّ. أَمَا إِنِّي إِيَّاكَ أَمَرْتُ؛ وَإِيَّاكَ أَمَّهْتُ، وَإِيَّاكَ أَعَاقِبُ؛ وَإِيَّاكَ أُثِيبُ. ^(٣)].

(١) الكافي (ط-الاسلامية): ج ١ ص ١٠ هامش ح ١ :

إِنَّ الْعَقْلَ هُوَ تَعَقُّلُ الْأَشْيَاءِ وَفَهْمُهَا فِي أَصْلِ اللَّغَةِ، وَاصْطَلَحَ إِطْلَاقُهُ عَلَى أُمُورٍ:

الأول: قُوَّةُ ادْرَاكِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا؛ وَالتَّمَكُّنُ مِنْ مَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْأُمُورِ ذَوَاتِ الْأَسْبَابِ؛

وما يُؤدِّي إليها وما يمنع منها. والعقل بهذا المعنى مناطُ التَّكْلِيفِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

الثاني: مَلِكَةٌ وَحَالَةٌ فِي النَّفْسِ تَدْعُو إِلَى اخْتِيَارِ الْخَيْرَاتِ وَالتَّمَنُّعِ مِنَ الشَّرِّ وَالْمَضَارِ.

الثالث: الْقُوَّةُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا النَّاسُ فِي نِظَامِ أُمُورِ مَعَاشِهِمْ، فَانْوَاقَفَتْ قَانُونَ الشَّرْعِ وَاسْتَعْمَلَتْ

فِي مَا اسْتَحْسَنَهُ الشَّارِعُ تَسْمَى بِعَقْلِ الْمَعَاشِ؛ وَهُوَ مَدْرُوحٌ. وَإِذَا اسْتَعْمَلَتْ فِي الْأُمُورِ الْبَاطِلَةِ

وَالتَّحِيلِ الْفَاسِدَةِ تَسْمَى بِالنَّكْرَاءِ وَالتَّشَيْطَانِيَّةِ فِي لِسَانِ الشَّرْعِ.

الرابع: مَرَاتِبُ اسْتِعْدَادِ النَّفْسِ لِتَحْصِيلِ النُّظْرِيَّاتِ وَقَرْبِهَا وَبَعْدِهَا عَنْ ذَلِكَ، وَأَثْبَتُوا لَهَا مَرَاتِبَ

أَرْبَعٍ سَمَّوْهَا بِالْعَقْلِ الْهَيُولَانِيِّ: وَالعَقْلُ بِالْمَلِكَةِ، وَالعَقْلُ بِالْفِعْلِ: وَالعَقْلُ الْمُسْتَفَادُ.

الخامس: النَّفْسُ النَّاطِقَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ الَّتِي يَتَمَيَّزُ عَنْهَا سَائِرُ الْبِهَائِمِ.

السادس: مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْفَلَّاسِفَةُ مِنْ أَنَّهُ جَوْهَرٌ قَدِيمٌ لَا تَعْلُقُ لَهُ بِالْمَادَّةِ ذَاتًا وَلَا فِعْلًا. (آت).

(٢) الْأَمْرُ بِالْأَقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حَقِيقِيًّا لِظُهُورِ انْقِيَادِ الْأَشْيَاءِ لِمَا يَرِيدُهُ تَعَالَى مِنْهَا.

وَأَنْ يَكُونَ أَمْرًا تَكْوِينِيًّا لِتَكُونِ قَابِلَةً لِلْمَرِينِ، أَي: الصُّعُودِ إِلَى الْكَمَالِ وَالْقَرْبِ وَالْوَصَالِ،

وَالهَبُوطِ إِلَى النُّقْصِ وَمَا يُوْجِبُ الْوَبَالَ. (آت).

(٣) الكافي: ج ١ ص ١٠ كِتَابُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ ح ١.

ب. وهناك إرتباطٌ بين العقلِ والعلمِ؛ بيَّنه القرآنُ الكريمُ؛ وبيَّنه المعصومُ عليه السلام:
 [...عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام: ...
 يَا هِشَامُ؛ إِنَّ الْعَقْلَ مَعَ الْعِلْمِ؛ فَقَالَ ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
 الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت ٤٣] ^(١).

وجاء في التفسير [ثم قال ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
 الْعَالِمُونَ﴾؛ يعني آل محمد عليهم السلام]. ^(٢).

ت. معنى ﴿لَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة ١٦٤.

جاء في التفسير [م، تفسير الإمام (الحسن العسكري عليه السلام)؛ قَالَ الْإِمَامُ عليه السلام:
 ﴿لَايَاتٍ﴾: دَلَالِيلٌ وَاضِحَاتٌ؛ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتَفَكَّرُونَ بِعُقُولِهِمْ أَنَّ مَنْ هَذِهِ
 الْعَجَائِبُ مِنْ آثَارِ قُدْرَتِهِ قَادِرٌ عَلَى نُصْرَةِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ وَآلِهِمَا عليهم السلام عَلَى مَنْ يَشَاءُ. ^(٣).

ث. أَنَّ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿هُمْ أَهْلُ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ﴾:
 فقد ورد [أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ
 قَالَ قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام: يَا هِشَامُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَشَّرَ أَهْلَ
 الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزمر ١٧-١٨]. ^(٤).

ج. ذكرُ القلبِ يعني العقلُ؛ حيثُ ورد في التفسير [أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ

(١) الكافي: ج ١ ص ١٣-١٤ كِتَابُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ ح ١٢.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٥٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣ ص ٥٤ ح ٢٦.

(٤) الكافي: ج ١ ص ١٣-٢٠ باب ﴿كِتَابُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ﴾ ح ١٢.

بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام:... يَا هِشَامُ؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ...﴾ ق ٣٧؛ يَعْنِي عَقْلٌ...^(١).

وَأَنَّ الْقَلْبَ أَدَاءُ الْعَقْلِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج ٤٦.

ح. قال تعالى ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الجاثية ٥.

وفي تفسيرها [قوله ﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾]: أي يميّزون بين الحقّ والباطل والحسن والقبيح بالعقل الذي أودعه الله سبحانه فيهم.^(٢)

وقوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الروم ٢٤.

وفي تفسيرها [أي أن أهل التعقل يفقهون أن هناك عناية متعلقة بهذه المصالح وليس مجرد إتفاق وصدفة]^(٣).

خ. قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحجرات ٤. جاء في تفسيرها [سياق الآية يؤدي أنه واقع؛ وأنهم كانوا قوماً من الجفّاء؛ ينادونه عليه السلام من وراء حجرات بيته؛ من غير رعاية لمقتضى الأدب و واجب التعظيم

(١) الكافي: ج ١ ص ١٣-٢٠ باب ﴿كِتَابُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ﴾ ح ١٢.

(٢) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٧-١٨ ص ٤١١ تفسير سورة الجاثية ٥.

(٣) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٥-١٦ ص ٤١٤ تفسير سورة الروم ٢٤.

والتوقير؛ فذمَّهمُ اللهُ سبحانه؛ حيث وصفَ أكثرهم بأنهم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ كالبهائم من الحيوان.

وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الحجرات ٥؛ أي: ولو أنهم صبروا عن نداءك فلم ينادوك حتى تخرج إليهم لكان خيراً؛ لما فيه من حُسن الأدب ورعاية التعظيم والتوقير لمقام الرسالة، وكان ذلك مقرباً لهم الى مغفرة الله ورحمته؛ لأنه غفورٌ رحيم. فقوله ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ كالناظر الى ما ذُكر من الصبر؛ ويمكن أن يكون ناظراً الى كون ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ والمعنى أن ما صدر عنهم من الجهالة وسوء الأدب مغفوءٌ عنه؛ لأنه لم يكن عن تعقلٍ وفهمٍ منهم؛ بل قُصورٍ في ذلك؛ والله غفورٌ رحيم. [١]

وكان السيد يشيرٌ للآية ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الأنفال ٢٢؛ أو ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً ضُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ البقرة ١٧١؛ والضُّمُّ البُكْمُ هنا ليسوا (ذوي الإحتياجات الخاصة) وهو المصطلح الإجتماعي المعاصر. بل هم الذين عبَّر عنهم الباقر عليه السلام ﴿ضُمُّ وَبُكْمٌ﴾ الأنعام ٣٩؛ يقول: ضُمُّ عن الهدى؛ وبُكْمٌ لا يتكلمون بخير [٢].

كما جاء الحديث [بَعْضُ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: يَا مُفَضَّلُ لَا يَفْلِحُ مَنْ لَا يَعْقِلُ؛ وَلَا يَعْقِلُ مَنْ لَا يَعْلَمُ؛ وَسَوْفَ يَنْجُبُ مَنْ يَفْهَمُ] (٣)؛

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٧-١٨ ص ٥٢٥ تفسير سورة الحجرات (٤-٥).

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ١٩٨.

(٣) النجيب: الفاضل النفيس في نوعه؛ والمراد أنه من يكون ذا فهمٍ فهو قريبٌ من أن يصير عالماً بما يجب عليه وما ينبغي بعقله والتدبر فيه.

وَيُظْفَرُ مَنْ يَحْلُمُ، وَالْعِلْمُ جَنَّةٌ؛ وَالصَّدْقُ عِزٌّ؛ وَالْجَهْلُ ذُلٌّ؛ وَالْفَهْمُ مَجْدٌ؛ وَالْجُودُ نَجْحٌ^(١)؛ وَحُسْنُ الْخَلْقِ مَجْلَبَةٌ لِلْمَوَدَّةِ؛ وَالْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ؛ وَالْحَزْمُ مَسَاءَةٌ الظَّنِّ... وَالْعَاقِلُ غَفُورٌ وَالْجَاهِلُ خَتُورٌ^(٢) [...] (٣).

كذلك وَرَدَ [أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَاصِمِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَصْبَاطٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَاءِ عليه السلام] قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَهُ أَصْحَابُنَا؛ وَذُكِرَ الْعَقْلُ؛ قَالَ فَقَالَ عليه السلام: لَا يُعْبَأُ بِأَهْلِ الدِّينِ مِمَّنْ لَا عَقْلَ لَهُ [...] (٤).

وورد [عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام] قَالَ: لَيْسَ بَيْنَ الْإِيْمَانِ وَالْكَفْرِ إِلَّا قَلَّةٌ الْعَقْلِ (٥)؛ قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ يَرْفَعُ رَغْبَتَهُ إِلَى مَخْلُوقٍ؛ فَلَوْ أَخْلَصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ لَأَتَاهُ الَّذِي يُرِيدُ فِي أَسْرَعٍ مِنْ ذَلِكَ. [...] (٦).

د. وهاك حديثاً شاملاً حول العقل؛ يُبَيِّنُهُ مولانا الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

[أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام: يَا هِشَامُ؛ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَشَّرَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ

(١) النُّجْحُ بِالضَّمِّ: الظَّفَرُ بِالْحَوَائِجِ.

(٢) خَتُورٌ مِنَ الْخَتْرِ؛ بِمَعْنَى الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٢٦ - ٢٧ باب العقل والجهل ح ٢٩.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٢٧ باب العقل والجهل ح ٣٢.

(٥) يعني أن قليل العقل متوسط بين المؤمن والكافر؛ فليس مؤمناً حقيقياً كاملاً؛ لما فيه من قصور العقل الموجب لبُعدِهِ عنه تعالى في الجملة؛ ولا كافراً حقيقياً محضاً لما فيه شيء من نور العقل الموجب لقربه في الجملة.

(٦) الكافي: ج ١ ص ٢٨ كتاب العقل والجهل ح ٣٣.

الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٦٤﴾ يَا هِشَامُ؛ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ؛ وَنَصَرَ النَّبِيِّنَ بِالْبَيَانِ؛ وَدَلَّهُمْ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ بِالْأَدِلَّةِ؛ فَقَالَ ﴿وَالْهُكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاختِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ؛ وَنَصَرَ النَّبِيِّنَ بِالْبَيَانِ؛ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿البقرة ١٦٤﴾

يَا هِشَامُ؛ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّ لَهُمْ مُدَبِّرًا؛ فَقَالَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ النحل ١٢؛ وَقَالَ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَقَّى مِنَ قَبْلُ وَ لِيَبْلُغُوا أَجْلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ غافر ٦٧؛ وَقَالَ إِنَّ فِي ﴿اختِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الجاثية ٥، ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة ١٦٤؛ وَقَالَ ﴿يُخِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الحديد ١٧؛ وَقَالَ ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَ زُرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضِّلَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرعد ٤؛

وَقَالَ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْضِرُ بِهِ الْأَرْضَ

بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿الروم ٢٤﴾ وَقَالَ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿الانعام ١٥١﴾ وَقَالَ ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿الروم ٢٨﴾.

يَا هِشَامُ؛ ثُمَّ وَعَظَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَرَغَّبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ؛ فَقَالَ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿الانعام ٣٢﴾.

يَا هِشَامُ؛ ثُمَّ خَوَّفَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ عِقَابَهُ؛ فَقَالَ تَعَالَى ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ. وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿الصافات ١٣٦-١٣٨﴾؛

وقال ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيْنَهُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿العنكبوت ٣٤-٣٥﴾؛

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ الْعَقْلَ مَعَ الْعِلْمِ؛ فَقَالَ ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿العنكبوت ٤٣﴾.

يَا هِشَامُ؛ ثُمَّ ذَمَّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ فَقَالَ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿البقرة ١٧٠﴾؛ وَقَالَ ﴿وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿البقرة ١٧١﴾؛ وَقَالَ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴿الانعام ٢٥﴾؛ مُحَمَّدٌ ﷺ ١٦. ﴿أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿يونس ٤٢﴾؛ وَقَالَ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿الفرقان ٤٤﴾؛

وَقَالَ ﴿لَا يُفَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحشر ١٤؛ وَقَالَ ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة ٤٤.

يَا هِشَامُ؛ ثُمَّ ذَمَّ اللَّهُ الْكَثْرَةَ؛ فَقَالَ ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الأنعام ١١٦؛ وَقَالَ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لقمان ٢٥؛ وَقَالَ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ العنكبوت ٦٣.

يَا هِشَامُ؛ ثُمَّ مَدَحَ الْقِلَّةَ فَقَالَ ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ سبأ ١٣؛ وَقَالَ ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ ص ٢٤؛ وَقَالَ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ غافر ٢٨؛ وَقَالَ ﴿وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ هود ٤٠؛ وَقَالَ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)؛ وَقَالَ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ المائدة ١٠٣؛ ...

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ق ٣٧؛ يَعْنِي عَقْلٌ؛ وَقَالَ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ لقمان ١٢؛ قَالَ: الْفَهْمَ وَالْعَقْلَ.

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ لُقْمَانَ قَالَ لِابْنِهِ: تَوَاضَعْ لِلْحَقِّ تَكُنْ أَعْقَلَ النَّاسِ، وَإِنَّ الْكَيْسَ لَدَى الْحَقِّ يَسِيرٌ؛ يَا بُنَيَّ إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ قَدْ غَرِقَ فِيهَا «فِيهِ» عَالَمٌ كَثِيرٌ؛ فَلْتَكُنْ سَفِينَتَكَ فِيهَا تَقْوَى اللَّهَ وَحَشَوْهَا الْإِيمَانَ وَشِرَاعَهَا التَّوَكُّلَ وَفَيْمَهَا الْعَقْلَ وَدَلِيلُهَا الْعِلْمَ وَسُكَّانُهَا الصَّبْرَ.

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلًا؛ وَدَلِيلُ الْعَقْلِ التَّفَكُّرُ؛ وَدَلِيلُ التَّفَكُّرِ الصَّمْتُ. وَ لِكُلِّ

(١) توجد في ٩ آيات منها الانعام ٣٧.



شَيْءٍ مَطِيَّةً؛ وَمَطِيَّةُ الْعَقْلِ التَّوَاضُعُ. وَكَفَى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَرَكَبَ مَا مُيِّتَ عَنْهُ.

يَا هِشَامُ؛ مَا بَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ إِلَى عِبَادِهِ إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنِ اللَّهِ؛ فَأَحْسَنُهُمْ
اسْتِجَابَةً أَحْسَنُهُمْ مَعْرِفَةً؛ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ عَقْلًا؛ وَأَكْمَلُهُمْ عَقْلًا أَرْفَعُهُمْ
دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ؛ حُجَّةً ظَاهِرَةً وَحُجَّةً بَاطِنَةً؛ فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ
فَالرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ ﷺ وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ.

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ الْعَاقِلَ الَّذِي لَا يَشْغُلُ الْحَلَالَ شُكْرَهُ وَلَا يَغْلِبُ الْحَرَامُ صَبْرَهُ.

يَا هِشَامُ؛ مَنْ سَلَطَ ثَلَاثًا عَلَى ثَلَاثٍ فَكَأَنَّمَا أَعَانَ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ؛ مَنْ أَظْلَمَ نُورَ
تَفَكُّرِهِ بِطُولِ أَمَلِهِ؛ وَمَحَا طَرَائِفَ حِكْمَتِهِ بِفُضُولِ كَلَامِهِ؛ وَأَطْفَأَ نُورَ عِبْرَتِهِ بِشَهَوَاتِ
نَفْسِهِ؛ فَكَأَنَّمَا أَعَانَ هَوَاهُ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ؛ وَمَنْ هَدَمَ عَقْلَهُ أَفْسَدَ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ.

يَا هِشَامُ؛ كَيْفَ يَزُكُّو عِنْدَ اللَّهِ عَمَلَكَ وَأَنْتَ قَدْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ عَنْ أَمْرِ رَبِّكَ؟
وَأَطَعْتَ هَوَاكَ عَلَى غَلَبَةِ عَقْلِكَ؟.

يَا هِشَامُ؛ الصَّبْرُ عَلَى الْوَحْدَةِ عَلَامَةٌ قُوَّةِ الْعَقْلِ؛ فَمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ اعْتَزَلَ أَهْلَ
الدُّنْيَا وَالرَّاعِبِينَ فِيهَا؛ وَرَغِبَ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ؛ وَكَانَ اللَّهُ أُنْسَهُ فِي الْوَحْشَةِ؛ وَصَاحِبَهُ
فِي الْوَحْدَةِ؛ وَغِنَاهُ فِي الْعَيْلَةِ؛ وَمُعَزَّهُ مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ.

يَا هِشَامُ؛ نَضَبُ الْحَقِّ لِبَطَاعَةِ اللَّهِ؛ وَلَا نَجَاةَ إِلَّا بِالطَّاعَةِ؛ وَالطَّاعَةُ بِالْعِلْمِ؛ وَالْعِلْمُ
بِالتَّعَلُّمِ؛ وَالتَّعَلُّمُ بِالْعَقْلِ يُعْتَقَدُ؛ وَلَا عِلْمَ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ رَبَّانِيٍّ؛ وَمَعْرِفَةُ الْعِلْمِ بِالْعَقْلِ.

يَا هِشَامُ؛ قَلِيلُ الْعَمَلِ مِنَ الْعَالِمِ مَقْبُولٌ مُضَاعَفٌ؛ وَكَثِيرُ الْعَمَلِ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى
وَالْجَهْلِ مُرْدُودٌ.

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ الْعَاقِلَ رَضِيَ بِالذُّونِ مِنَ الدُّنْيَا مَعَ الْحِكْمَةِ؛ وَلَمْ يَرْضَ بِالذُّونِ مِنَ
الْحِكْمَةِ مَعَ الدُّنْيَا؛ فَلِذَلِكَ رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ.

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ الْعُقَلَاءَ تَرَكَوا فُضُولَ الدُّنْيَا؛ فَكَيْفَ الذُّنُوبَ وَتَرَكَ الدُّنْيَا مِنَ الْفَضْلِ
وَتَرَكَ الذُّنُوبَ مِنَ الْفَرْضِ؟.

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ الْعَاقِلَ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا وَإِلَى أَهْلِهَا؛ فَعَلِمَ أَنَّهَا لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ؛ وَنَظَرَ
إِلَى الْآخِرَةِ فَعَلِمَ أَنَّهَا لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ؛ فَطَلَبَ بِالْمَشَقَّةِ أَبْقَاهُمَا.

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ الْعُقَلَاءَ زَهَدُوا فِي الدُّنْيَا وَرَغِبُوا فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا
طَالِبَةٌ مَطْلُوبَةٌ وَالْآخِرَةُ طَالِبَةٌ وَمَطْلُوبَةٌ؛ فَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ
مِنْهَا رِزْقَهُ؛ وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَتْهُ الْآخِرَةُ؛ فَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

يَا هِشَامُ؛ مَنْ أَرَادَ الْغِنَى بِلَا مَالٍ وَرَاحَةَ الْقَلْبِ مِنَ الْحَسَدِ وَالسَّلَامَةَ فِي الدِّينِ
فَلْيَتَضَرَّعْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَسْأَلَتِهِ؛ بِأَنْ يُكَمِّلَ عَقْلَهُ فَمَنْ عَقَلَ قَنِعَ بِمَا يَكْفِيهِ؛ وَمَنْ
قَنِعَ بِمَا يَكْفِيهِ اسْتَعْنَى؛ وَمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِمَا يَكْفِيهِ لَمْ يُدْرِكِ الْغِنَى أَبَدًا.

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ اللَّهَ حَكَمَى عَنْ قَوْمٍ صَالِحِينَ أَنَّهُمْ قَالُوا رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ
هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ؛ حِينَ عَلِمُوا أَنَّ الْقُلُوبَ تَزِيغُ
وَتَعُودُ إِلَى عَمَّاهَا وَرَدَاهَا؛ إِنَّهُ لَمْ يَخْفِ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَعْقِلْ عَنِ اللَّهِ؛ وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ
عَنِ اللَّهِ لَمْ يَعْقِدْ قَلْبَهُ عَلَى مَعْرِفَةٍ ثَابِتَةٍ يُبْصِرُهَا وَيَجِدُ حَقِيقَتَهَا فِي قَلْبِهِ؛ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ
كَذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ قَوْلُهُ لِفِعْلِهِ مُصَدِّقًا؛ وَسِرُّهُ لِعَلَانِيَتِهِ مُوَافِقًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ
لَمْ يَدُلْ عَلَى الْبَاطِنِ الْخَفِيِّ مِنَ الْعَقْلِ إِلَّا بِظَاهِرٍ مِنْهُ وَنَاطِقٍ عَنْهُ.

يَا هِشَامُ؛ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ؛ وَمَا تَمَّ
عَقْلُ امْرِئٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ خِصَالُ سِتِي؛ الْكُفْرُ وَالسَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونَانِ؛ وَالرُّشْدُ وَالْخَيْرُ



مِنْهُ مَأْمُولَانِ؛ وَفَضْلٌ مَالِهِ مَبْدُولٌ؛ وَفَضْلٌ قَوْلِهِ مَكْفُوفٌ؛ وَنَصِيْبُهُ مِنَ الدُّنْيَا الْقُوْتُ؛ لَا يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ دَهْرُهُ؛ الذُّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مَعَ اللّٰهِ مِنَ الْعِزِّ مَعَ غَيْرِهِ؛ وَالتَّوَاضُّعُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرَفِ؛ يَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ وَيَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ؛ وَيَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ؛ وَأَنَّهُ شَرُّهُمْ فِي نَفْسِهِ؛ وَهُوَ تَمَامُ الْأَمْرِ.

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَكْذِبُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ هَوَاهُ.

يَا هِشَامُ؛ لَا دِينَ لِمَنْ لَا مَرْوَةَ لَهُ؛ وَلَا مَرْوَةَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ؛ وَإِنْ أَعْظَمَ النَّاسُ قَدْرًا الَّذِي لَا يَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ خَطْرًا. أَمَا إِنْ أَبَدَانَكُمْ لَيْسَ لَهَا ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ؛ فَلَا تَتَّبِعُوهَا بِغَيْرِهَا.

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام كَانَ يَقُولُ: إِنْ مِنْ عَلَامَةِ الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ؛ يُجِيبُ إِذَا سُئِلَ؛ وَيَنْطِقُ إِذَا عَجَزَ الْقَوْمُ عَنِ الْكَلَامِ؛ وَيُشِيرُ بِالرَّأْيِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ صَلَاحٌ أَهْلِهِ. فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ شَيْءٌ فَهُوَ أَهْمَقٌ. إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: لَا يَجْلِسُ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ إِلَّا رَجُلٌ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ الثَّلَاثُ أَوْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ؛ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُنَّ فَجَلَسَ فَهُوَ أَهْمَقٌ.

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: إِذَا طَلَبْتُمْ الْحَوَائِجَ فَاطْلُبُوهَا مِنْ أَهْلِهَا. قِيلَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؛ وَمَنْ أَهْلُهَا؟ قَالَ: الَّذِينَ قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَهُمْ فَقَالَ ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزمر ٩؛ قَالَ: هُمْ أُولُو الْعُقُولِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ دَاعِيَةٌ إِلَى الصَّلَاحِ؛ وَآدَابُ الْعُلَمَاءِ زِيَادَةٌ فِي الْعَقْلِ؛ وَطَاعَةٌ وَوَلَاةُ الْعَدْلِ تَمَامُ الْعِزِّ؛ وَاسْتِثْمَارُ الْمَالِ تَمَامُ الْمُرُوءَةِ؛ وَإِرْشَادُ الْمُسْتَشِيرِ قِضَاءٌ لِحَقِّ النِّعْمَةِ؛ وَكَفُّ الْأَدَى مِنْ كَمَالِ الْعَقْلِ؛ وَفِيهِ رَاحَةُ الْبَدَنِ عَاجِلًا وَآجِلًا.

يَا هِشَامُ؛ إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يُحَدِّثُ مَنْ يَخَافُ تَكْذِيبَهُ؛ وَلَا يَسْأَلُ مَنْ يَخَافُ مَنَعَهُ؛ وَلَا يَعِدُّ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ؛ وَلَا يَرْجُو مَا يَعْزَفُ بِرَجَائِهِ؛ وَلَا يَقْدِمُ عَلَى مَا يَخَافُ قُوَّتَهُ بِالْعَجْزِ عَنْهُ^(١).

كما جاء في الخبر [عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْبَرَّازِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَمَّادٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ: إِنَّ أَوَّلَ الْأُمُورِ وَ مَبْدَأَهَا وَ قُوَّتَهَا وَ عِمَارَتَهَا الَّتِي لَا يُنْتَفَعُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِهِ الْعَقْلُ؛ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ زِينَةً لِحَلْفِهِ وَ نُورًا لَهُمْ؛ فَ بِالْعَقْلِ عَرَفَ الْعِبَادُ خَالِقَهُمْ؛ وَأَتَتْهُمْ مَخْلُوقُونَ؛ وَأَنَّهُ الْمُدَبِّرُ لَهُمْ؛ وَأَتَتْهُمْ الْمُدَبَّرُونَ؛ وَأَنَّهُ الْبَاقِي وَ هُمْ الْفَانُونَ؛ وَاسْتَدَلُّوا بِعُقُولِهِمْ عَلَى مَا رَأَوْا مِنْ خَلْقِهِ مِنْ سَمَائِهِ وَ أَرْضِهِ وَ شَمْسِيهِ وَ قَمَرِهِ وَ لَيْلِهِ وَ نَهَارِهِ؛ وَبَانَ لَهُ وَ لَهُمْ خَالِقًا وَ مُدَبِّرًا لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ؛ وَ عَرَفُوا بِهِ الْحَسَنَ مِنَ الْقَبِيحِ؛ وَأَنَّ الظُّلْمَةَ فِي الْجَهْلِ؛ وَأَنَّ النُّورَ فِي الْعِلْمِ. فَهَذَا مَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ الْعَقْلُ. قِيلَ لَهُ: فَهَلْ يَكْتَفِي الْعِبَادُ بِالْعَقْلِ دُونَ غَيْرِهِ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَاقِلَ لِدَلَالَةِ عَقْلِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ قِوَامَهُ وَ زِينَتَهُ وَ هِدَايَتَهُ؛ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ؛ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّهُ؛ وَ عَلِمَ أَنَّ لِحَالِقِهِ مَحَبَّةً؛ وَأَنَّ لَهُ كَرَاهِيَةً؛ وَأَنَّ لَهُ طَاعَةً؛ وَأَنَّ لَهُ مَعْصِيَةً، فَلَمْ يَجِدْ عَقْلَهُ يَدُلُّهُ عَلَى ذَلِكَ؛ وَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَ طَلْبِهِ؛ وَأَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِعَقْلِهِ إِنْ لَمْ يُصَبِّ ذَلِكَ بِعِلْمِهِ؛ فَوَجَبَ عَلَى الْعَاقِلِ طَلْبُ الْعِلْمِ وَ الْأَدَبِ الَّذِي لَا قِوَامَ لَهُ إِلَّا بِهِ^(٢).

ألا ترى أمير المؤمنين صلواتُ ربي عليه يتعوذُ من سُبَاتِ الْعَقْلِ؟ بقوله: ﴿ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاحِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمَلَةٍ أَسْلُبَهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَفْضُمُهَا.

(١) الكافي: ج ١ ص ١٣-٢٠ باب (كِتَابُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ) ح ١٢.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢٨-٢٩ باب (كِتَابُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ) ح ٣٥.

مَا لِعِلِّيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَىٰ وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَىٰ!، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وَقُبْحِ الزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ ﴿١﴾.

نهاية المطاف لهذا الفصل:

جميع ما تقدم تمهيداً لما أبينه الآن حول النصِّ الكريم ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

فأقول: للقرآن حُجَّةٌ عظيمة؛ فقد وجدتُ تعلقَ الرجسِ بالذين ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ من الناس؛ لقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يونس ١٠٠؛ والآية هذه لها مقطعان؛ الأولُ يشيرُ لملازمةِ إيمانِ الناسِ لِإِذْنِ اللَّهِ تعالى؛ والثاني يشيرُ لملازمةِ حالةِ الرجسِ لمن لا يعقل.

إنَّ التعبيرَ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ كما يعلمُ أهلُ اللُّغةِ العربيةِ فيه صيغةُ الفعلِ المضارعِ يَعْقِلُونَ يشيرُ الى أَنَّ القومَ ﴿يَعْقِلُونَ﴾ بديمومة؛ وهم ذووا عقلٍ تامٍّ؛ وهم لا رجسَ عليهم قطعاً؛ وفقاً للآيةِ أعلاه ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وحيثُ أَنَّ مَنْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ هم أهلُ البيتِ ﷺ وفقاً للآيةِ الكريمةِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الأحزاب ٣٣؛

وهي شهادةٌ من اللَّهِ تعالى لأهلِ البيتِ ﷺ بالتطهير؛ حيثُ هنا ابتدأتِ الآيةُ بإرادةِ اللَّهِ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾؛ فهي نافذةٌ قطعاً؛ لقوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ البقرة ٢٥٣؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ هود ١٠٧؛ وليست هذه الإرادةُ لاحقةً متأخرةً؛ بل هي قد سبقت خلقَ آدمَ ﷺ؛ وفي عالمِ الذرِّ؛ لعظيمِ عنايةِ اللَّهِ بهم ﷺ قبل أن يوجدَهم في عالمِ الدنيا؛ فمنَّ أعلاهُ إستلزم أن يكونَ المعنيونَ بـ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ هم أهلُ البيتِ ﷺ حصراً.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١١ ص ٢٤٥.

وأما عامة المؤمنين^(١) ﴿أولوا الألباب﴾^(٢) وهم شيعة آل محمد ﷺ فإنَّ الرجسَ قد مسَّهم لا محالة! مساً كلاً بقدره؛ بنسبٍ عكسيةٍ مع تقواه وإيمانه. فالمؤمنُ الذي مسَّه الرجسُ كثيراً قلَّ عقله؛ والمؤمنُ الذي مسَّه الرجسُ قليلاً كان عقله أكبر، وكلُّ المؤمنين يحملون عقلاً نسبياً؛ مفاضلةً في ما بينهم؛ لابعنى النسبيةً مقياساً بهؤلاء القومِ (أهل البيت ﷺ)؛ فهذا أمرٌ محالٌ^(٣) لأنهم ﷺ خلاصةُ الخلقِ (شأنٌ خاصٌّ مستقل). ولانسى المؤمنين المخلصين الأجلَاءَ من صحابةِ رسولِ الله ﷺ وصحابةِ الأئمةِ المعصومين ﷺ؛ والذين ذكرناهم في المبحث السابق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ وهم قِلَّةٌ؛ فهم في مراتبِ عقولٍ عاليةٍ يُغبطون عليها. وقد كلَّفهم ذلك الإيمانُ والعقلُ الشقاءَ والعناءَ في الحياة. ومنهم من نال الشهادةَ في سبيلِ الحقِّ بفضلِ مرتبةِ الإيمانِ والعقلِ العالينِ. فرضوانُ اللهِ عليهم بما آمنوا وجاهدوا بصدق.

كما وجدتُ أنَّ مقامَ العلماءِ بعقولها؛ لقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت ٤٣.

وقد جاء في الحديث [... ثم قال ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾؛ يعني آل محمد ﷺ].^(٤)

واقضى الحال أن هؤلاء القوم الذين ﴿يَعْقِلُونَ﴾ هم ﴿الْعَالِمُونَ﴾؛ ومن كان في ذرورةِ العقلِ فهو في ذرورةِ العلمِ. وبالتالي فإنَّ ما أثبتناه في خصوص ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

(١) وأما المسلمون غير المؤمنين فقد غرقوا في بحور رجس الشيطان؛ لإنكارهم أصلاً من أصول الدين وهو (الولاية)؛ وبذا فهم لا يعقلون العقيدة الحقة.
 (٢) سيأتي بيانه لاحقاً إن شاء الله تعالى.
 (٣) فلا يُقال... أن فلاناً عقله (مثلاً) كذا بالمائة من عقل المعصوم!!! بل تكون المفاضلة بين المؤمنين فقط.
 (٤) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٥٠.

فهم أنفسهم ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. أي أن المعنيين بـ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ هم آل محمد ﷺ.

ومن أمعن بالمقطعين الكريمين:

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الذي ورد ٨ مرات، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الذي ورد ٨ مرات أيضاً.

نرى أن أمر هؤلاء القوم بشأن العقل مفروغ منه؛ لأنه نص قرآني صريح، بينما عدا هؤلاء القوم فهم يدخلون في باب الرجاء أن يعقلوا.....

فستان ما بين الثريا والثرى !!.

عودٌ على بدء:

إن القوم في الآيات الثمانية المباركة المذكورة في بداية البحث هم نفس القوم عقلاً وبداهة؛ أي لا تعدد للأقوام. وقد قلنا أن النص المبارك ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يعني أنهم بتمام العقل ديمومةً بحكم الفعل المضارع؛ وهو مدحٌ من لدن خالقهم جلّ علاه؛ فلا معنى لقول القائل أنهم يعقلون في جانب من جوانب المعرفة ولا يعقلون في جوانب أخرى؛ أو أنهم يعقلون حيناً ولا يعقلون حيناً آخر، فالنص الكريم مطلق لا تخصيص فيه؛ ومن يعترض فليقدم دليلاً ملموساً على مدّعاها.

وهذه الصفة (تمام العقل) خاصةٌ لهؤلاء القوم المعدودين؛ وما عداهم فإن المؤمنين يعقلون بنسب متفاوتة تبعاً لتباين طاقاتهم الذهنية واختلاف منازلهم الإيمانية؛ وباختصار... كلٌّ مقرونٌ بتوفيقه؛ ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ الأنعام ١٣٢

وأصحاب رسول الله ﷺ المنتجبون وأصحاب أهل بيته الطاهرين ﷺ المخلصين لهم القدح المعلى في مستوى عقولهم الناضجة.....

وختاماً ما تقدم من البحث أعلاه نقول: أن المعنيين بـ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ هم

أنفسهم ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ وهم أنفسهم ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ والقومُ نفسُ القومِ.
وبالنتيجة فأهل البيت عليهم السلام همُ المعنيُّون بهذه الصفات؛ صفاتِ الكمالِ الفائقة؛
فهم في ذرى الكمال.





الفصل الرابع

﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾



﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

ذكر هذا النص الكريم في ٧ آياتٍ مباركاتٍ؛ نذكرها بتسلسلها في المصحف الشريف قوله تعالى:

١. ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يونس ٢٤.

٢. ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الرعد ٣.

٣. ﴿يُنَبِّئُكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل ١١.

٤. ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل ٦٩.

٥. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم ٢١.

٦. ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الزمر ٤٢.

٧. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الجاثية ١٣.

إشارات لغوية:

المصباح المنير: [باب (فكر): الفِكرُ: بالكسرِ تردُّدُ القلبِ بالنظرِ والتدبُّرِ لطلبِ المعاني؛ ولي في الأمرِ فِكرٌ أي نظرٌ ورويةٌ، والفِكرُ - بالفتح - مصدرٌ فِكرتُ في الأمرِ من بابِ ضربٍ، وتَفَكَّرتُ فيه وأفكرتُ بالألفِ، والفِكرةُ اسمٌ من الافتِكارِ؛ مثلُ العبرةِ والرحلةِ من الاعتبارِ والارتحالِ؛ وجمعُها فِكرٌ؛ مثلُ سِدْرَةٍ و سِدْرٍ، ويُقالُ الفِكرُ ترتيبُ أمورٍ في الذهنِ يُتوصَّلُ بها إلى مطلوبٍ يكونُ علماً أو ظناً.]^(١).

وفي مجمع البحرين: [وتدبُّرُ الأمرِ: التفكُّرُ فيه... والفرقُ بين التدبُّرِ والتفكُّرِ على ما قيل هو أن التدبُّرَ تصرفُ القلبِ بالنظرِ في العواقبِ؛ والتفكُّرَ تصرفُ القلبِ في النظرِ بالدلائل.]^(٢). كذلك ورد:

[قال فخر الدين الرازي نقلا عنه في توجيه ذلك: هو أن الفِكرَ يوصلُك إلى الله؛ والعبادةُ توصلُك إلى ثوابِ الله، والذي يوصلُك إلى الله خيرٌ مما يوصلُك إلى غيرِ

(١) المصباحُ المنير: ج ٢ ص ٤٧٩.

(٢) مجمع البحرين: ج ٣ ص ٢٩٩.

اللَّهِ، أو أَنَّ الْفِكْرَ عَمَلُ الْقَلْبِ؛ والطاعةُ عملُ الجوارح؛ فالقلبُ أشرفُ من الجوارح، يؤكد ذلك قوله تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه ١٤؛ جعلت الصلاة وسيلةً إلى ذكر القلب، والمقصودُ أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ مِنْ غَيْرِهِ.. انتهى. والتَّفَكُّرُ: التأمل، والفِكْرُ بالكسر إسمٌ منه، وهو لمعنيين: أحدهما القوةُ المودعةُ في مُقدمةِ الدماغ. وثانيهما أثرها؛ أعني ترتبُ أمورٍ في الذهن؛ يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً. وأفكَّرَ وتَفَكَّرَ وفكَّرَ بمعنى، يُقال: فَكَّرْتُ في الأمر من باب ضَرَبَ؛ وتَفَكَّرْتُ فيه وأفكَّرْتُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: مَنْ تَفَكَّرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَزَنَّدَقَ..... وقولهم: ليس لي في هذا الأمر فِكْرٌ أي: ليس لي فيه حاجة. قال الجوهري والفتحُ أصحُّ من الكسر. والفِكْرَةُ الإسمُ من الافتِكار؛ مثل: العِبْرَةُ من الإعتبار، والجمعُ فِكْرٌ؛ كسِدْرَةٍ وسِدْرٍ. [١]. كما ورد:

[الفِكْرُ: والفِكْرُ إعمالُ الخاطرِ في الشيء؛ قال سيبويه: ولا يُجمعُ الفِكْرُ ولا الْعِلْمُ ولا النظرُ، قال: وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكاراً. والفِكْرَةُ: كالفِكْرِ.

وقد فَكَّرَ في الشيء وأفكَّرَ فيه وتَفَكَّرَ بمعنى. ورجل فِكَّيرٌ، مثال فِسِّيق، وفَيْكْرٌ: كثيرُ الفِكْرِ؛ الأَخيرةُ عن كراع. الليث: التَّفَكُّرُ إسمُ التَّفَكِيرِ. ومن العرب من يقول: الفِكْرُ الفِكْرَةُ، والفِكْرَى على فِعْلَى إسمٌ، وهي قليلة. الجوهري: التَّفَكُّرُ التأملُ، والاسمُ الفِكْرُ والفِكْرَةُ، والمصدرُ الفِكْرُ بالفتح. [٢].

كتاب العين: [الفِكْرُ: إسمُ التَّفَكُّرِ. فَكَّرَ في أمره وتَفَكَّرَ. ورجل فِكَّيرٌ: كثيرُ التَّفَكُّرِ.

والفِكْرَةُ والفِكْرُ واحد. [٣].

(١) مجمع البحرين: ج ٣ ص ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٢) لسان العرب: ج ٥ ص ٦٥.

(٣) كتاب العين: ج ٥ ص ٣٥٨.

كما ورد: [الفكرة: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل؛ وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يُقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، ولهذا روي: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله» إذ كان الله منزهاً أن يوصف بصورة. قال تعالى ﴿أَو لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ الروم ٨، ﴿أَو لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الاعراف ١٨٤، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجِينَ اثْنَيْنِ يُغِشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الرعد ٣، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿البقرة ٢١٩-٢٢٠؛ ورجل فكير: كثير الفكرة.﴾^(١).

ولأي الأمور يُطرح التساؤل بقوله تعالى ﴿أَو لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ الروم ٢٨. فقد جاء في تفسيرها:

[﴿أَو لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾؟ أي في حال الخلوة؛ لأن في تلك الحال يتمكن الإنسان من نفسه ويحضره ذهنه؛ أو في خلق الله أنفسهم؛ والمعنى ﴿أَو لَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾؟ فيعلموا ﴿ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي لإقامة الحق؛ ومعناه للدلالة على الصانع والتعريض للشواهد ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي لوقت معلوم تُوفى فيه كل نفس ما كسبت.﴾^(٢).

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٤٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧ ص ١٩.

وكذلك قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾
الأعراف ١٨٤ . وقد ورد في تفسيرها:

[في قوله ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ معناه ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ هؤلاء
الكُفَّار المَكذِّبُون بِمُحَمَّدٍ ﷺ فيعلموا أنه ليس بمجنون؛ إذ ليس في أقواله وأحواله
ما يدلُّ على الجنون.

ثم ابتداءً بالكلام فقال ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ أي ليس به جنون؛ وذلك أنَّ
رسولَ اللَّهِ ﷺ صَدَّ الصَّفا؛ وكان يدعو قريشاً فخذاً فخذاً^(١) إلى توحيدِ اللَّهِ؛
ويخوفهم عذابَ اللَّهِ، فقال المشركون إنَّ صاحبهم قد جنَّ؛ بات ليلاً يُصَوِّتُ إلى
الصباح فنزلت. [٢].

إشارات إحصائية:

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ مرَّتان، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ثلاث مرات؛ وكلاهما للترجي.
﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ إستفهام مرة واحدة.

تنزيهُ اللَّهِ عن التفكُّر، ومعنى الإرادة :

[مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى جَمِيعاً رَفَعَاهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ﷺ اسْتَنْهَضَ النَّاسَ فِي حَرْبٍ مُعَاوِيَةَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ؛ فَلَمَّا حَشَدَ النَّاسَ
قَامَ خَطِيْباً؛ فَقَالَ: ... فَسُبْحَانَ الَّذِي لَا يُتَوَدُّهُ خَلْقٌ مَا ابْتَدَأَ؛ وَلَا تَدِيرُ مَا بَرَأَ؛ وَلَا مِنْ

(١) فخذاً فخذاً أي حياً حياً، قال الجزري في النهاية: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء ٢١٤
بات يُفخذُ عشيرته، أي يُناديهم فخذاً فخذاً؛ وهم أقربُ العشيرة إليه، وقد تكرر ذكرُ الفخذِ في الحديث؛
وأولُ العشيرة الشعبُ، ثم القبيلةُ، ثم الفصيلةُ، ثم العمارةُ، ثم البطنُ، ثم الفخذُ.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩ ص ٩٥.

عَجَزٍ وَلَا مِنْ فِتْرَةٍ بِمَا خَلَقَ اكْتَفَى، عِلْمَ مَا خَلَقَ؛ وَخَلَقَ مَا عِلْمَ؛ لَا بِالتَّفْكِيرِ فِي عِلْمِ
حَادِثٍ أَصَابَ مَا خَلَقَ؛ وَلَا شُبْهَةً دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِيمَا لَمْ يَخْلُقْ؛ لَكِنْ قَضَاءٌ مُبْرَمٌ وَعِلْمٌ
مُحْكَمٌ وَأَمْرٌ مُتَقَنَّ... [١].

كما جاء في الحديث... [عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام أَخْبِرْنِي
عَنِ الْإِرَادَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنَ الْخَلْقِ «مِنَ الْمَخْلُوقِ»؟ فَقَالَ: الْإِرَادَةُ مِنَ الْمَخْلُوقِ
الضَّمِيرُ؛ وَمَا يَبْدُو ^(٢) لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِرَادَتُهُ إِحْدَاثُهُ؛ لَا غَيْرُ
ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يُرَوِّي ^(٣) وَلَا يَهْمُ ^(٤) وَلَا يَتَفَكَّرُ؛ وَهَذِهِ الصِّفَاتُ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُ؛ وَهِيَ مِنْ صِفَاتِ
الْخَلْقِ. فَإِرَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْفِعْلُ لَا غَيْرُ ذَلِكَ؛ ﴿يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ البقرة ١١٧؛
بِلَا لَفْظٍ وَلَا نَطْقٍ بِلِسَانٍ وَلَا هِمَّةٍ وَلَا تَفَكُّرٍ وَلَا كَيْفٍ؛ كَذَلِكَ كَمَا أَنَّهُ بِلَا كَيْفٍ. [٥].

إشاراتٌ تفسيرية:

ذَكَرْنَا فِي بَدَايَةِ بَحْثِ ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وَجُودَ سَبْعَةِ آيَاتٍ تُشِيرُ لِهَذَا النَّصِّ
الكَرِيمِ؛ الْآيَةُ الْأُولَى مِنْهَا يُونُسَ ٢٤؛ وَرَدَ بِخُصُوصِهَا:

[وَقَوْلُهُ ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ مَعْنَاهُ مِثْلُ ذَلِكَ؛ نُمِيزُ الْآيَاتِ
وَنُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ فِيهَا وَيَعْتَبِرُونَ بِهَا، لِأَنَّ مَنْ لَا يُفَكِّرُ فِيهَا وَلَا يَعْتَبِرُ بِهَا كَأَنَّهَا لَمْ
تُفْصَلْ لَهُ، فَلِذَلِكَ خَصَّصَهُمُ بِالذِّكْرِ. [٦].

(١) الكافي: ج ١ ص ١٣٥ - ١٣٦ بَابُ جَوَامِعِ التَّوْحِيدِ ح ١.

(٢) يبدو: يظهر.

(٣) أي لا يتفكر ولا يحتاج.

(٤). اللهم بالفتح: الحزن و بالكسر: الشيخ الفانى، و رجل هم: اي ذو هممة يطلب معالي الأمور، اللهم: ما هم به الرجل في نفسه.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١١٩ ح ١١.

(٦) التبيان في تفسير القرآن (الشيخ الطوسي): ج ٥ ص ٣٥٧.

وفي شأن الآية الثالثة النحل ١١ فقد ورد:

[ثم أخبر أنّ في ذلك لدلالةً وحجةً واضحةً لمن يفكر فيه، فيُعرفُ اللهَ به، وإنما أضاف الدلالة اليهم، لأنهم الذين انتفعوا بها، ولأن من لم يفكر فيها فكأنها لم تنصب له].^(١)

وفي شأن الآية الرابعة النحل ٦٩ فقد ورد:

[وأمرُ النحلِ في حياتها يتضمّنُ دقائقَ عجيبةً لا تنكشفُ للإنسانِ إلا بالإمعانِ في التفكّر؛ فهو آيةٌ للمتفكرين].^(٢)

و في تفسير الميزان: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ﴾ الرعد ٣؛ فإنّ التفكّر في النظام الجاري عليها الحاكم فيها القاضي باتصال بعضها ببعض وتلاؤم بعضها مع بعض المؤدي إلى توجّه المجموع وكلّ جزءٍ من أجزائها إلى غاياتٍ تخصها يكشف عن ارتباطها بتدبيرٍ واحدٍ عقليّ في غاية الإتقان والإحكام؛ فيدلُّ على أنّ لها ربّاً واحداً لا شريك له في ربوبيته؛ عليمّاً لا يعتره جهلٌ؛ قديراً لا يُغلب في قدرته؛ ذا عنايةٍ بكل شيءٍ وخاصةً بالإنسان؛ يسوقه إلى ما فيه سعاده الخالدة.^(٣)

وأيضاً قال: [ولما كان في هذا التدبير العامّ الواسع الذي يجمعُ شملَ الإنسان والحيوان في الإرتزاق به حُجّةٌ على وحدانيته تعالى في الربوبية ختم الآية بقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ﴾].^(٤)

(١) التبيان في تفسير القرآن (الشيخ الطوسي): ج ٦ ص ٣٥٩.

(٢) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١١-١٢ ص ٥٠٢ تفسير سورة النحل ٦٩.

(٣) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١١-١٢ ص ٢١٩، تفسير سورة الرعد ٣؛ بعد بيان تفسير الآيتين الثانية والثالثة منها؛ واللّتين تضمّنتا ذكرَ بعض آيات الله من رفع السماوات بغير عمدٍ ثم الاستواء على العرش وتسخير الشمس والقمر ومدّ الأرض وخلق الجبال والثمرات.

(٤) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١١-١٢ ص ٤٤٣ تفسير سورة النحل آية ١١.

وأيضاً قال [وقوله: ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾] لأنهم إذا تفكروا في الأصول التكوينية التي تبعث الإنسان إلى عقد المجتمع من الذكورة والأنوثة الداعيتين إلى الاجتماع المنزلي والمودة والرحمة الباعثتين على الاجتماع المدني ثم ما يترتب على هذا الاجتماع من بقاء النوع واستكمال الإنسان في حياته الدنيا والأخرى عشروا من عجائب الآيات الإلهية في تدبير أمر هذا النوع على ما تبهر به عقولهم وتدهش به أحلامهم. (١).

وفي تفسير التبيان [﴿لآيَاتٍ﴾] أي دلالات واضحات على توحيد الله؛ فإنه لا يقدر عليه سواه؛ ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي يستعملون عقولهم بالفكر في ذلك؛ فيعرفون الله تعالى بذلك. (٢).

إشاراتٌ حديثية حول التفكر:

بيان أن المعصوم عليه السلام صمته فكر؛ وعبادته التفكر في أمر الله جلّ وعلا:

ذكر الشيخ المفيد [حَدَّثَنَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ الْمُفِيدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ... قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مَجْبُوبٍ عَنْ أَبِي حَمَزَةَ الثُّمَالِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ: لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ قَائِمًا كَانَ أَوْ جَالِسًا أَوْ مُضْطَجِعًا؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل عمران ١٩١] (٣).

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٥-١٦ ص ٤١٣ تفسير سورة الروم ٢١.

(٢) تفسير التبيان ج ٩ ص ٣١.

(٣) الأمالي (الشيخ المفيد): ص ٣١٠ ح ١.

كما ورد [أروى عن العالم عليه السلام أنه قال: طُوبَى لِمَنْ كَانَ صَمْتُهُ فِكْرًا وَنَظْرُهُ عِبْرًا (عبراً)؛ وَوَسَعَهُ بَيْتُهُ؛ وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ؛ وَسَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.
وَأَرْوَى: فِكْرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ؛ فَسَأَلْتُ الْعَالِمَ عليه السلام عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: تَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ وَبِالدِّيَارِ الْفَقَارِ فَتَقُولُ أَيْنَ بَانُوكِ؟ أَيْنَ سُكَّانِكِ؟ مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمِينَ؟.
لَيْسَتْ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ؛ الْعِبَادَةُ التَّفَكُّرُ فِي أَمْرِ اللَّهِ جَلٍّ وَعَلا.
وَأَرْوَى: التَّفَكُّرُ مِرَاتِكَ تُرِيكَ سَيِّئَاتِكَ وَحَسَنَاتِكَ. [١].

بيان أن التفكير في أمر الله هو جوهر العبادة؛ فقد ورد:

[ح ١. عِيٌّ بِنُ إِبرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوْفَلِيِّ عَنِ السَّكُونِيِّ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: نَبَّهَ بِالتَّفَكُّرِ قَلْبَكَ، وَجَافَ عَنِ اللَّيْلِ جَنْبَكَ، وَآتَى اللَّهَ رَبَّكَ.

ح ٢. عِيٌّ بِنُ إِبرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنِ أَبَانٍ عَنِ الْحَسَنِ الصَّيْقَلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَمَّا يَرَوِي النَّاسُ «أَنَّ تَفَكُّرَ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ»؛ قُلْتُ: كَيْفَ يَتَفَكَّرُ؟ قَالَ: يَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ أَوْ بِالْدَّارِ فَيَقُولُ أَيْنَ سَاكِنُوكِ أَيْنَ بَانُوكِ؟ مَا بِأَلِكِ لَا تَتَكَلَّمِينَ؟.

ح ٣. عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي نَضْرٍ عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ إِذْمَانُ التَّفَكُّرِ فِي اللَّهِ (٢) وَفِي قُدْرَتِهِ.

(١) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ص ٣٨٠ ب ١١٦ التفكير والاعتبار.

(٢) الادمان: الادمية؛ والمراد بالتفكير في الله النظر إلى أفعاله وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه؛ فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدهس و تعاليه؛ و تدل على كمال علمه وحكمته؛ وعلى نفاذ مشيئته وقدرته و إحاطته بالاشياء.

ح ٤. مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: يَقُولُ لَيْسَ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ؛ إِنَّمَا الْعِبَادَةُ التَّفَكُّرُ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ح ٥. مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَهْلٍ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ رَبِيعٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّ التَّفَكُّرَ يَدْعُو إِلَى الْبِرِّ وَالْعَمَلِ بِهِ. ^(١)

بيان أنَّ المعصوم عليه السلام لا يتفكر في صلاته في شيء من أمر الدنيا.

جاء في الرواية [تفسير وكيع والسدي و عطاء] أَنَّهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله نَاقَتَانِ عَظِيمَتَانِ سَمِيَتَانِ؛ فَقَالَ لِلصَّحَابَةِ: هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ بِقِيَامِهِمَا وَرُكُوعِهِمَا وَسُجُودِهِمَا وَوُضُوءِهِمَا وَخُشُوعِهِمَا لَا يَهْتَمُّ فِيهِمَا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا شَيْئًا وَلَا يُحَدِّثُ قَلْبُهُ بِفِكْرِ الدُّنْيَا؟ أُهْدِيَ إِلَيْهِ إِحْدَى هَاتَيْنِ النَّاقَتَيْنِ. فَقَالَهَا مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ وَثَلَاثَةً؛ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَقَامَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ أَكْبَرَ تَكْبِيرَةَ الْأُولَى وَإِلَى أَنْ أُسَلِّمَ مِنْهُمَا لَا أُحَدِّثُ نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا. فَقَالَ: يَا عَلِيُّ صَلِّ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ. فَكَبَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَدَخَلَ فِي الصَّلَاةِ؛ فَلَمَّا سَلَّمَ مِنَ الرَّكَعَتَيْنِ هَبَطَ جَبْرَائِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؛ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِنَّ اللَّهَ يُقْرِنُكَ السَّلَامَ؛ وَيَقُولُ لَكَ أَعْطِهِ إِحْدَى النَّاقَتَيْنِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: إِنِّي شَارَطْتُهُ أَنْ يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا أُعْطِيَهُ إِحْدَى النَّاقَتَيْنِ إِنْ صَلَّاهُمَا؛ وَإِنَّهُ جَلَسَ فِي التَّشَهُدِ فَتَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ أَيُّهُمَا يَأْخُذُ؛ فَقَالَ جَبْرَائِيلُ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِنَّ اللَّهَ يُقْرِنُكَ السَّلَامَ وَ يَقُولُ لَكَ تَفَكَّرَ أَيُّهُمَا يَأْخُذُهَا أَسْمَنَهُمَا وَأَعْظَمَهُمَا فَيَنْحَرَهَا وَيَتَّصَدَّقَ بِهَا لَوَجْهِ اللَّهِ؛

فَكَانَ تَفَكُّرُهُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَا لِنَفْسِهِ وَلَا لِلدُّنْيَا؛ فَبَكَى رَسُولَ اللَّهِ؛ وَأَعْطَاهُ كِلَيْهِمَا؛ وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ لِعِظَةِ ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عَقْلٌ ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ يَعْنِي يَسْتَمِعُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأُذُنَيْهِ إِلَى مَنْ تَلَاهُ بِلِسَانِهِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق ٣٧؛ يَعْنِي وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَاهِدَ الْقَلْبِ لِلَّهِ فِي صَلَاتِهِ لَا يَتَفَكَّرُ فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا. (١).

كما جاء في التفسير [م، تفسير الإمام عليؑ] «الحسن العسكري» قَالَ الْإِمَامُ: ... ﴿آيَاتٍ﴾ دَلَائِلَ وَأَصْحَاتٍ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يَتَفَكَّرُونَ بِعُقُولِهِمْ أَنَّ مَنْ هَذِهِ الْعَجَائِبُ مِنْ آثَارِ قُدْرَتِهِ قَادِرٌ عَلَى نُصْرَةِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ وَالْهِمَا عَلَيْهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ. (٢).

المعصوم عليؑ يأمر المؤمنين بالتفكير:

كما ورد الحديث... عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَالِبِ الْأَسَدِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعِظُ النَّاسَ؛ وَيُرْهِدُهُمْ فِي الدُّنْيَا؛ وَيُرْغِبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِهَذَا الْكَلَامِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَفِظَ عَنْهُ وَكُتِبَ. كَانَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ؛ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الْبَقَرَةَ ٢٨؛ فَ﴿تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ﴿مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَ يُحْذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ آلِ عِمْرَانَ ٣٠؛ ثُمَّ قَالَ: ... وَإِيمُ اللَّهِ لَقَدْ ضَرَبَ لَكُمْ فِيهِ الْأَمْثَالَ وَصَرَّفَ ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرَّومَ ٢٨. و﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ الْكَهْفِ ٣٩؛ فَازْهَدُوا فِيمَا زَهَدَكُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ مِنْ عَاجِلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا

(١) مناقب آل أبي طالب عليه السلام (لابن شهر آشوب): ج ٢ ص ٢٠.

(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت): ج ٣ ص ٥٤-٥٥ ح ٢٦.

وَأَزَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ يونس؛ فَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ، وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ قَالَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ هود ١١٣، وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا رُكُونٍ مَنِ اتَّخَذَهَا دَارَ قَرَارٍ وَمَنْزِلَ اسْتِيْطَانٍ؛ فَإِنَّهَا دَارٌ بُلْغَةٌ وَمَنْزِلٌ قُلْعَةٌ وَدَارٌ عَمَلٍ، فَتَزُودُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فِيهَا قَبْلَ تَفَرُّقِ أَيَّامِهَا؛ وَقَبْلَ الْإِذْنِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي خَرَابِهَا؛ فَكَانَ قَدْ أَخْرَبَهَا الَّذِي عَمَرَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ؛ وَابْتَدَأَهَا وَهُوَ وَلِيُّ مِيرَاثِهَا، فَاسْأَلِ اللَّهَ لَنَا وَلِكُمْ الْعَوْنَ عَلَى تَزُودِ التَّقْوَى وَالزُّهْدِ فِيهَا؛ جَعَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي عَاجِلِ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ الرَّاعِبِينَ لِأَجْلِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ؛ فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَلَهُ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ [١].

وورد الحديث [وَهَذَا الْإِسْنَادُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِثٍ عَنْ بُرَيْدِ الْعِجَلِيِّ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ؛ فَقَالَ:

مَا جَمَعَكُمْ؟ قَالُوا: اجْتَمَعْنَا نَذْكُرُ رَبَّنَا؛ وَنَتَفَكَّرُ فِي عَظَمَتِهِ. فَقَالَ: لَنْ تُدْرِكُوا التَّفَكُّرَ فِي عَظَمَتِهِ. [٢]. وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَمْنَعَهُمْ مِنَ التَّفَكُّرِ فِي عَظَمَتِهِ؛ بَلْ أَكَّدَ عَجْزَهُمْ.

عودٌ على بدء:

نعود الى الآيات السبع المباركات في صدر الحديث؛ والمتضمنة النصِّ الكريم ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فنقول إنهم دائموا التفكُّر في خلق السموات والأرض

(١) الكافي: ج ٨ ص ٧٦٧٢ كلام الامام علي بن الحسين ﷺ ح ٢٩.

(٢) التوحيد ﷻ للصدوق: ص ٤٥٥ ح ٤.

وما فيهنَّ وما فوقهنَّ وما تحتهنَّ وما بينهنَّ من أسرارٍ إلهيةٍ دالةٍ على عظمة خالقِ هذا الكون، وكذا أسرار خلقِ ذواتهم الطاهرة، والتفكُّر لا ينفكُّ عنهم بحصولِ طاريءٍ ما؛ مهما يكن؛ سواءً هم في قيامٍ أو قعودٍ أو على جنوبهم؛ وهم مصداقُ الآيةِ الكريمة ﴿يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل عمران ١٩١ فطبيعتهم التفكُّر في ناموسِ هذا الكون. يحملون تفكيراً فيما هو باقٍ وما هو فانٍ. ويتفكَّرون في أمرِ ربهم؛ واستحضارِ أسمائه الحسنی وصفاته المثلّی المنزهة عن النقصِ والشین، ذلك لأنَّ عقولهم صافيةٌ؛ خاليةٌ من زخارفِ الأفكار والأوهام. والتفكيرُ لديهم هو مطهرةٌ للروح؛ يبعثُ في نفوسهم الهدوء والسكينة؛ ويجعلهم يتحمّلون أعباءَ المسؤولية العظمی - قيادة الأمة - ومشاقها بصدورٍ رحبٍ في إدارة ما أنيطوا به. وهم لا يحملون همومهم الذاتية؛ بل هم حاملوا هموم الخلقِ من الجنِّ والإنس؛ لأنهم أئمة الجنِّ والإنس.....

وقولُ ربنا تعالی ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ هي شهادةٌ منه جلَّ وعلا لهم، كأنهم خلّقوا للتفكيرِ بنحوِ الخلوصِ التام؛ فلا ينازعهم أحدٌ في هذه الصفة الخالصة.

وبقيةُ المؤمنینَ فهم أولوا فكرٍ بمستوىٍ أدنى لا محالة؛ وتفكُّرهم على مستویاتٍ متباينةٍ تبعاً لِمنازلهم الايمانية؛ فبعضٌ من صحابةِ رسول اللّٰه ﷺ وبعضٌ من المقربين من آلِ محمدٍ ﷺ من نالِ القدحَ المعلىَ لتمييزهم عن باقي المؤمنین في تفكُّرهم بالآءِ اللّٰه؛ وهم وبقيةُ المؤمنینَ فهم على مراتبٍ متباينةٍ في فضيلةِ التفكير. وجميعاً لا يصلون الى مقامِ آلِ محمدٍ ﷺ في شأنِ تفكُّرهم البتة؛ ولا مجالٌ للمقايسة أبداً.....

وفي نهاية المبحث الرابع نقول أنّ القومَ في هذا المبحثِ بالإضافة الى المباحثِ السابقة تُبيّن أنّ القومَ هم نفسُ القوم؛ فلا وجودَ لتعددِ الأقسام. وبعبارةٍ موجزةٍ نقول:

أن المعنيين بـ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ هم أنفسهم آل محمد ﷺ، وهم في ذرى الكمالِ بهذه الصفات النبيلة.





الفصل الخامس

﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾



﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾

هذا النص المبارك ذكر مرة واحدة في قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَفْقَهُونَ﴾ الأنعام ٩٨.

بيان معنى - يَفْقَهُه:

قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ...﴾ هود ٩١.

وقوله تعالى ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ طه ٢٧ - ٢٨.

وقوله تعالى ﴿... فَمَا هُوَ لِإِذْ لَقَى الْقَوْمَ لَايَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ النساء ٧٨.

وقوله تعالى ﴿... وَجَدَ مِنْ دُونِهَا قَوْمًا لَايَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ الكهف ٩٣.

وقوله تعالى ﴿... وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَاتَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...﴾

الإسراء ٤٤.

وقوله تعالى ﴿جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ الأنعام ٢٥، الإسراء ٤٦، الكهف ٥٧.

وقوله تعالى ﴿هَمَّ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا...﴾ الأعراف ١٧٩.

وقوله تعالى ﴿... وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة ٨٧.

في هذه النصوص الثمانية أعلاه الظاهر أن المقصود بـ ﴿يفقه﴾ هو يفهم أو يعي كما يتبادر للذهن مباشرة، بينما قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة ١٢٢.. فمعنى ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ هو [تفهم جميع المعارف الدينية من أصول وفروع لا خصوص الأحكام العملية، وهو الفقه المصطلح عليه عند المتشرعة، والدليل عليه قوله تعالى ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾، فإن ذلك أمرٌ إنما يتم بالتفقه في جميع الدين، وهو ظاهر] (١).

كما ورد [وَفَقَّهَ أَي فَهَمَ، وَفَقَّهَهُ أَي فَهَّمَهُ، وَتَفَقَّهَ أَي إِذَا طَلَبَهُ وَتَخَصَّصَ بِهِ، قَالَ تَعَالَى ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾] (٢).

كما ورد [الفقه العلم في الدين. يقال فقه الرجل يفقه فقهاً فهو فقيه، وفقه يفقه فقهاً إذا فهم. وأفقتهه بينت له. والتفقه تعلم الفقه.] (٣).

كما ورد [الفقه العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم... والفقه في الأصل الفهم. يقال: أوتي فلان فقهاً في الدين أي فهماً فيه، قال عز وجل ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ أي ليكونوا علماء به... وفقه فقهاً بمعنى علم علماء.] (٤).

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ٩ ص ٣٠٦ تفسير التوبة ١٢٢.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ج ١ ص ٦٤٢.

(٣) كتاب العين: ج ٣ ص ٣٧٠.

(٤) لسان العرب: ج ١٣ ص ٥٢٢.

شأن المنافقين أنهم لا يفقهون:

فقد ورد [عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ ابْنِ مَجْبُوبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَاضِيِّ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ ... قُلْتُ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ المنافقون ٣؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمَّى مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ رَسُولَهُ فِي وِلَايَةِ وَصِيِّهِ مُنَافِقِينَ؛ وَجَعَلَ مَنْ جَحَدَ وَصِيَّهِ إِمَامَتَهُ كَمَنْ جَحَدَ مُحَمَّدًا؛ وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ قُرْآنًا فَقَالَ:

يَا مُحَمَّدُ ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ بِوِلَايَةِ وَصِيِّكَ ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ بِوِلَايَةِ عَلِيٍّ ﴿لَكَاذِبُونَ. اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَالسَّبِيلُ هُوَ الْوَصِيُّ ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ بِرِسَالَتِكَ ﴿وَكَفَرُوا﴾ بِوِلَايَةِ وَصِيِّكَ ﴿فَطَبَعَ﴾ اللَّهُ ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ^(١). قُلْتُ: مَا مَعْنَى ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾؟ قَالَ: يَقُولُ لَا يَعْقِلُونَ بِنُبُوتِكَ... ^(٢).

كما ورد بحق المنافقين قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة ١٢٧.

وبالمثل قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ المنافقون ٧.

﴿وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة ٨٧.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة ٨١.

(١) المنافقون ١-٣ ومكان ﴿كَفَرُوا﴾ ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٣٢-٤٣٣ باب فيه نكتٌ وُتِفَّ من التنزيل في الولاية ح ٩١.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الفتح ١٥ .

وفي خصوص الكافرين ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الأنفال ٦٥ .

وفي خصوص اليهود ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحشر ١٣ .

وجاءت ﴿يَفْقَهُونَ﴾ بصيغة الترجي مرة واحدة فقط في قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ الأنعام ٦٥ .

وجاء في تفسير الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف ١٧٩ ، والآية عامة تشمل الإنس والجن .

[وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ أي طبع الله عليها فلا تعقل؛ ﴿وَهُمْ أَعْيُنٌ﴾ عليها غطاءٌ عن الهدى لا يبصرون بها؛ ﴿وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي جعل في آذانهم وفراً فلن يسمعوا الهدى] (١) .

التفقه لغير الله عند حلولِ الفتن:

مع الإلتباه بأن لا ننسى أن التفقه لله تعالى حصراً وما عداه فهو الباطل بعينه.

ففي خطبة أمير المؤمنين عليه السلام: [...إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبَسْتَكُمْ فِتْنَةٌ يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، يَجْرِي النَّاسُ عَلَيْهَا وَيَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ قِيلَ قَدْ غُيِّرَتِ السُّنَّةُ، وَقَدْ آتَى النَّاسُ مُنْكَرًا، ثُمَّ تَشْتَدُّ الْبَلِيَّةُ وَتُسَبَى الذَّرِيَّةُ؛ وَتَدْفُقُهُمُ الْفِتْنَةُ كَمَا تَدْفُقُ النَّارُ الْحَطَبَ وَكَمَا تَدْفُقُ الرَّحَى بِيَثَالِهَا^(١)، وَيَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ وَيَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ؛ وَيَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِأَعْمَالِ الْآخِرَةِ....] ^(٢).

وللإمام علي عليه السلام خطبة تعرف بالديباج يحرّض فيها بالتفقه بالقرآن: (...وَتَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُ الْمَوْعِظَةِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رِبْعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْقَصَصِ...) ^(٣).

ولنرجع الى النصّ الشريف آية الأنعام ٩٨ (هدف البحث).

فنقول أنّ القومَ في قوله تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ سواءً بالمعنى العام يفهمون ويعون كما بيّنّا أو بالمعنى الخاص الشرعي (تفهمهم جميع المعارف الدينية) فهم تميّزوا عن غيرهم، ففهمهم وصلّ الى درجة الكمال المطلق. فعندهم أمور الدنيا والدين على حدّ سواء؛ لا غموض فيها مطلقاً، فإذا سُئلوا لا يقولون لاندرى أو لانعرف (أبداً)؛ أو يترثثوا ساعة ليفكروا. وهذه الصفة لا تتوافر إلا عند آل محمد عليهم السلام حصراً، فلقد قال

(١) الثفال جلدَةٌ تُبَسَطُ تحت رِحَا اليَدِ لِيَقَعَ عَلَيْهَا الدَّقِيقُ، وَيَسْمَى الْحَجَرُ الْأَسْفَلَ ثِفَالًا بِهَا. وَالمعنى أنها تدقهم دق الرّحَا للحبِّ إذا كانت مثقّلة ولا تُثَقَّلُ الا عند الطحن.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٥٨-٥٩ ح ٢١.

(٣) تحف العقول: النص ص ١٤٩-١٥٠ خطبةً لأمير المؤمنين عليه السلام المعروفة بالديباج.

أمير المؤمنين عليه السلام: (أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني؛ فلأننا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض؛ قبل أن تشغَرَ برجلها فتنته تطأ في خطامها؛ وتذهب بأحلام قومها) (١).

فقوله عليه السلام (سلوني) قولٌ مطلقٌ في الفقه (أمور الدين)؛ أو الدنيا ماضيها وحاضرها و مستقبلها وحتى من يدخل الجنة أو النار، قالها عليه السلام بكل يقين؛ فهو علمٌ اكتسبه من عين صافية. فقد ورد:

[حدثنا إبراهيم بن هاشم عن يحيى بن أبي عمران عن يونس عن هشام بن الحكم عن عمر بن يزيد قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بلغنا أن رسول الله علم علياً عليه السلام ألف باب؛ كل باب فتح ألف باب؟ فقال لي: بل علمه باباً واحداً؛ فتح ذلك الباب ألف باب؛ فتح كل باب ألف باب.] (٢). ومنها أبواب الفقه بتمامه.

قول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف أهل البيت عليهم السلام:

[.. فاطلبوا ذلك من عند أهله خاصة، فإنهم خاصة نور يستضاء به وأئمة يقتدى بهم، وهم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين يُخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقتهم وظاهرهم عن باطنهم، لا يُخالفون الدين ولا يُختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق، فهم من شأنهم شهداء بالحق ومُخبر صادق، لا يُخالفون الحق ولا يُختلفون فيه، قد خلت لهم من الله السابقة، ومضى فيهم من الله عز وجل حكم صادق، وفي ذلك ذكرى للذاكرين. فاعقلوا الحق إذا سمعتموه عقل رعاية ولا تعقلوه عقل رواية؛ فإن رِوَاة الكتاب كثيرٌ ورعاه قليل، والله المُستعان.] (٣).

(١) نهج البلاغة (للصبيحي الصالح): ص ٢٨٠؛ باب علم الوصي.

(٢) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلوات الله عليهم: ج ١ ص ٣٠٤ ح ٧.

(٣) الكافي: ج ٨ ص ٣٨٦-٣٩١ خطبة ٥٨٦ طويلة أخذنا منها الاسطر الأخيرة.

وذكرت الخطبة بشكل آخر:

[هُم عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ [حُكْمِ] مَنْطِقِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَوَلَايُجُ الْإِعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ، وَأَنْزَا حَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ (مَقَامِهِ)، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ. عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلًا وَعَايَةَ وَرِعَايَةَ لِعَقْلِ سَمَاعٍ وَرِوَايَةَ فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرِعَاتُهُ قَلِيلٌ].^(١)

مع الإنباه للنصوص الشريفة:

(هُم عَيْشُ الْعِلْمِ)... فهنا مطلق العلم، ومنه علومُ الفقه لأنها أساس الدين؛ ﴿لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾... في كل مسألة فقهية شرعية أو غيرها.

(عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلًا وَعَايَةَ وَرِعَايَةَ؛ لِعَقْلِ سَمَاعٍ وَرِوَايَةِ) وبذا فأتهم أئمة الإسلام في الفقه والدين، وكل من أدرك الصواب والصدق في الفقه فهم عيالٌ عليهم، وما سواهم (المضطربون فقهياً) سرابٌ وانقطع الخطاب!.

وقوله ﷺ (لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَوَلَايُجُ الْإِعْتِصَامِ) يشير إلى أنهم هم قادة الإسلام وأوتاده.

أخيراً تبين أن هؤلاء القوم في الفقه لا يجاريهم أحدٌ في أمة محمد ﷺ.

فمن أمعنَ البصرَ في شتى حواراتهم الفكرية وإجاباتهم الفقهية وغيرها لا يجد خطأً أو نقصاً أو تقصيراً أو عيباً مطلقاً، بل يرجع البصر خاسئاً وهو حسير.

ذلك لأنهم خلاصة ذرية آدم ﷺ، وهم بعناية الله وبعين الله، وهم المحسودون

(١) نهج البلاغة (للصبيحي صالح): ص ٣٥٧ - ٣٥٨ من خطبة له ﷺ يذكر فيها آل محمد ﷺ.

دوماً الى قيام الساعة ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النساء ٥٤ .
وبقية المؤمنين فهم يتفاوتون في حظوظهم من الفقه (بجميع معانيه) كلُّ حسب
تقواه ومنزلته في الإيمان وتوفيقه؛ وكلهم عيالٌ على آل محمد ﷺ في الفقه.
وبالنتيجة فالقومُ في هذا البحث ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ والبحوث السابقة هم نفسُ
القوم؛ فلا تعدُّ للأقوام. وبعبارة موجزةٍ لما تم في البحوث السابقة نقول أن المعنيين
بـ: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ
يَفْقَهُونَ﴾ هم أنفسهم آل محمد ﷺ، وهم في ذرى الكمالِ بهذه الصفات النبيلة.





الفصل السادس

﴿لِقَوْمٍ يوقِنُونَ﴾



﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

وردَ هذا النصُّ الكريم في أربعة آيات مباركات؛ نذكرها حسب تسلسلها كما يلي:

١. قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ البقرة ١١٨.
٢. قوله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة ٥٠.

٣. قوله تعالى ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ الجاثية ٤.

٤. قوله تعالى ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ الجاثية ٢٠.

إشاراتٌ لغوية:

فقد ورد [... واليقينُ: زوالُ الشك، يُقالُ يَقَنْتُ واستيقنتُ وأيقنتُ... واليقينُ العِلْمُ الحاصلُ عن نظَرٍ واستدلالٍ، ولهذا لا يسمى علمُ اللَّهِ يقينا... وتيقنتُهُ واستيقنتُهُ أي علمتُهُ... واليقينُ هو سكونُ النفسِ وثلجُ الصدرِ بما عِلِمَ، ولهذا لا يجوز أن يوصفَ اللَّهُ تعالى باليقين. وقيل الموقِنُ العالِمُ بالشيءِ بعد حيرةِ الشك؛

و الشاهدُ أنهم يجعلونه ضدَّ الشكِّ؛ فيقولون شكٌ و يقينٌ... فاليقينُ ما يزيلُ الشكَّ... واليقينُ الاعتقادُ الجازمُ الثابتُ المطابقُ للواقع [١].

كما ورد [اليقينُ العلمُ وإزاحةُ الشكِّ وتحقيقُ الأمر، وقد أيقنَ يوقنُ إيقاناً فهو موقنٌ... واليقينُ نقيضُ الشكِّ؛ والعلمُ نقيضُ الجهل؛ تقول علمته يقيناً... وقوله تعالى ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينَ﴾ الحجر ٩٩؛ أي حتى يأتيك الموت ... ورجلٌ يقنُ و يقنُ لا يسمعُ شيئاً إلا أيقنه... [٢].

ومن الآيات الأخرى الواردة بشأن اليقين:

﴿أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيَظْمِنَنَّ قَلْبِي﴾ البقرة ٢٦٠. ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ الأنعام ٧٥. ﴿يَفْصَلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ الرعد ٢. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ الشعراء ٢٣-٢٤. ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ النمل ١٤.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ السجدة ١٢. ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة ٢٤. ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ. وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الذاريات ٢٠-٢١. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ. هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لقمان ٢-٤. ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ الدخان ٧.

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٤ ص ٢٦٢.

(٢) لسان العرب: ج ١٣ ص ٤٥٧.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ الطور ٣٥ - ٣٦. ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِقِينَ﴾ الجاثية ٣٢. ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكذِبِينَ الضَّالِّينَ. فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ. وَتَصْلِيئُهُ جَحِيمٍ. إِنْ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ الواقعة ٩٢ - ٩٥. ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكذِبِينَ. وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ. وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ الحاقة ٤٩ - ٥١. ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيِقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا...﴾ المدثر ٣١. ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ. وَكُنَّا نُكذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ. حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ. فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ المدثر ٤٣ - ٤٨. ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ. لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ. ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ التكاثر ٥ - ٧.

جاء في الحديث [عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ يُونُسَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّمَا هُوَ الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ فَوْقَهُ بَدْرَجَةٌ؛ وَالتَّقْوَى فَوْقَ الْإِيمَانِ بَدْرَجَةٌ؛ وَالْيَقِينُ فَوْقَ التَّقْوَى بَدْرَجَةٌ؛ وَلَمْ يُقَسِّمْ بَيْنَ النَّاسِ شَيْءٌ أَقْلُ مِنَ الْيَقِينِ. قَالَ قُلْتُ: فَأَيُّ شَيْءٍ الْيَقِينُ؟ قَالَ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وَالتَّسْلِيمُ لِلَّهِ وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَالتَّقْوِيضُ إِلَى اللَّهِ. قُلْتُ: فَمَا تَفْسِيرُ ذَلِكَ؟ قَالَ: هَكَذَا قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام] (١).

كذلك ورد [عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْيَمَانِيِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَدِينَةَ عَنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ عَنْ أَمِيرِ

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٢ بَابُ فَضْلِ الْإِيمَانِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْيَقِينِ عَلَى الْإِيمَانِ ح ٥.

المؤمنين عليهم السلام قال: ... ، ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيما بينهما؛ ومن نجا من ذلك فمن فضل اليقين، ولم يخلق الله خلقاً أقل من اليقين، [....] (١).

حديث (لكل يقين حقيقة):

فقد ورد [محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى وعلي بن إبراهيم عن أبيه جميعاً عن ابن محبوب عن أبي محمد الوائلي وإبراهيم بن مهزم عن إسحاق بن عمارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بالناس الصبح؛ فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مضطراً لونه قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقناً، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله؛ وقال: إن لكل يقين حقيقة؛ فما حقيقة يقينك؟ فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري؛ فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها؛ حتى كآني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم؛ وكآني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون؛ وكآني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معدّبون مضطربون؛ وكآني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: هذا عبد تورّ الله قلبه بالإيمان. ثم قال له: الزم ما أنت عليه. فقال الشاب: ادع الله لي يا رسول الله أن أرزق الشهادة معك. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي صلى الله عليه وآله؛ فاستشهد بعد تسعة نفر؛ وكان هو العاشر. (٢).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٩١ باب دعائم الكفر وشعبه ح ١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٣ باب حقيقة الإيمان واليقين ح ٢.

وجاء في تفسير الآية الكريمة ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١) الجاثية ٤. مايلي [فالناظر في خلق الإنسان ناظرٌ في آية ملكوتية وراء الآيات المادية؛ وكذا الناظر في خلق الدوابِّ ولها نفوسٌ ذواتٌ حياةٌ وشعور؛ وإن كانت دون الإنسان في حياتها وشعورها؛ كما أنها دونه في تجهيزاتها البدنية؛ ففي الجميع آياتٌ لأهل اليقين؛ يعرفون بها الله سبحانه بأنه واحدٌ لا شريك له في ربوبيته وألوهيته] (١).
وجاء في التفسير [وقوله ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ البقرة ١١٨. معناه أيقن بها قومٌ من حيث دلَّتْهم على الحق؛ فالواجبُ على كلِّ هؤلاء أن يستدلوا بها ليصلوا الى اليقين؛ كما وصل غيرهم اليه بها.] (٢).

وهي إشارةٌ ذكيةٌ لخصوصية هؤلاء القوم المعنيين بهذا البحث.

كما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿هَذَا بَصَائِرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٣) الجاثية ٢٠.

قال السيد في الميزان [أي دلالةٌ واضحةٌ وإفاضةٌ خيرٍ لهم؛ والمراد بـ ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ الذين يوقنون بآيات الله الدالة على أصول المعارف؛ فإنَّ المعهود في القرآن تعلَّق الإيقان بالأصول الاعتقادية.] (٣).

وهم المعنيون بالآية الكريمة ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يُهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة ٢٤. فقد روي:

[حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْمُنْقَرِيِّ عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثِ (الْبُخْتَرِيِّ) قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا حَفْصُ إِنَّ مَنْ صَبَرَ صَبْرًا قَلِيلًا؛ وَإِنْ مَنْ

(١) تفسير الميزان (السيد الطباطبائي): ج ١٧-١٨ ص ٤١٠ تفسير الجاثية ٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ج ١ ص ٤٣٣ (قرص المكتبة الشاملة).

(٣) تفسير الميزان (السيد الطباطبائي): ج ١٧-١٨ ص ٤٢٠ عند تفسير سورة الجاثية ٢٠.

جَزَعَ جَزَعَ قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا وَأَمْرَهُ
 بِالصَّبْرِ وَالرَّفْقِ فَقَالَ ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ المزمّل ١٠؛
 فَقَالَ ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ السَّيِّئَةَ ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
 حَمِيمٌ﴾ فصلت ٣٤، فَصَبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَابَلُوهُ بِالْعِظَائِمِ وَرَمَوْهُ بِهَا؛ فَصَاقَ
 صَدْرُهُ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ الحجر ٩٧؛ ثُمَّ
 كَذَّبُوهُ وَرَمَوْهُ فَحَزَنَ لِذَلِكَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ
 فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَمْجِدُونَ. وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ
 فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ الأنعام ٣٣-٣٤؛ فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ
 الصَّبْرَ؛ فَفَعَدُوا وَذَكَرُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالسُّوءِ وَكَذَّبُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 قَدْ صَبَرْتُ فِي نَفْسِي وَأَهْلِي وَعَرَضِي وَلَا صَبْرِي عَلَى ذِكْرِهِمْ إِلَهِي؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَقَدْ
 خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ. فَاصْبِرْ عَلَى مَا
 يَقُولُونَ﴾ ق ٣٨-٣٩؛ فَصَبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، ثُمَّ بَشَّرَ فِي الْأُمَّةِ مِنْ
 عِزَّتِهِ؛ وَوُصِفُوا بِالصَّبْرِ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا
 يُوقِنُونَ﴾ الم السجدة ٢٤؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ ﷺ: الصَّبْرُ مِنَ الْإِيْمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْبَدَنِ.
 فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
 بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ الأعراف ١٣٧؛
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: آيَةُ بُشْرَى وَانْتِقَامٍ. فَأَبَاحَ اللَّهُ قَتْلَ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وُجِدُوا؛
 فَقَتَلَهُمْ عَلَى يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَحْبَابِهِ؛ وَعَجَّلَ اللَّهُ لَهُ ثَوَابَ صَبْرِهِ مَعَ مَا ادَّخَرَ لَهُ
 فِي الْآخِرَةِ. [١]. ووفق الرواية أعلاه فإن القوم الذين ﴿كانوا بآياتنا يوقنون﴾ هم
 آل محمد ﷺ حصراً.

دَابَّةُ الْأَرْضِ وَوَسْمٍ مِنْ لَا يَوْقِنُ بآيَاتِ اللَّهِ:

وأقول: بمقابل هؤلاء القوم الذين ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ يوجد أناسٌ ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾. فقد جاء في تفسير ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ النمل ٨٢؛ الرواية الآتية:

[أَبِي عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ؛ قَدْ جَمَعَ رَمَلًا وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَيْهِ؛ فَحَرَّكَهَ بِرِجْلِهِ؛ ثُمَّ قَالَ: قُمْ يَا دَابَّةُ اللَّهِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَنْسَمِي بَعْضُنَا بَعْضًا بِهَذَا الْإِسْمِ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ؛ مَا هُوَ إِلَّا لَهُ خَاصَّةٌ؛ وَهُوَ الدَّابَّةُ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾. ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ؛ إِذَا كَانَ آخِرُ الزَّمَانِ أَخْرَجَكَ اللَّهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ؛ وَمَعَكَ مِيسَمٌ تَسْمُ بِهِ أَعْدَاءُكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ الْعَامَّةَ يَقُولُونَ هَذِهِ الْآيَةُ إِنَّمَا «تُكَلِّمُهُمْ»^(١)؛ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: كَلَّمَهُمُ اللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ إِنَّمَا هُوَ «تُكَلِّمُهُمْ» مِنَ الْكَلَامِ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هَذَا فِي الرَّجْعَةِ قَوْلُهُ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّى إِذَا جَاؤَا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النمل ٨٣ - ٨٤، قَالَ: الْآيَاتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأُمَّةُ عليه السلام. فَقَالَ الرَّجُلُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ الْعَامَّةَ تَزْعُمُ أَنَّ قَوْلَهُ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ عَنَى فِي الْقِيَامَةِ! فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فَيَحْشُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا وَيَدْعُ الْبَاقِينَ؟ لَا؛ وَلَكِنَّهُ فِي الرَّجْعَةِ، وَأَمَّا آيَةُ الْقِيَامَةِ ﴿وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ الكهف ٤٧^(٢).

(١) يريد أنها من الكَلَم بمعنى الجرح.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٣٠.

درجةٌ يقينٍ أمير المؤمنين عليه السلام:

معلومٌ أنَّ للإيمانِ درجاتٌ لا تُحصى؛ متفاوتةٌ بقوّتها باختلاف ذواتِ البشر. واليقينُ هو أعلى درجاتِ الإيمان؛ وقد مرَّ علينا الحديث [وَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ خَلْقًا أَقَلَّ مِنَ الْيَقِينِ]؛ أي بمعنى لا استزادةَ في الإيمان بعد هذه الدرجة. فهذا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مدَّحَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: [لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا] ^(١).

فَهَذِهِ كَلِمَةٌ مَا قَالَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا يَقُولُهَا أَحَدٌ بَعْدَهُ. وكذلك شأنُ أهلِ البيتِ عليهم السلام، أي أن آلَ محمد عليهم السلام هم المعنيون بـ ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ في الآياتِ الأربعةِ في صدرِ البحث؛ وهم يعيشون اليقينَ ما دامت قلوبُهُم تنبُّضُ؛ والفعلُ المضارعُ ﴿يُوقِنُونَ﴾ دالٌّ على الديمومةِ كما تسالَمَ عليه أهلُ اللغة، فلا معنى لمن يقول أنهم يوقنون ساعةً ما ولا يوقنون ساعةً أخرى!! وهو أمرٌ محالٌ في شأنهم.

باختصارٍ شديدٍ.. هم يعيشون اليقينَ التامَّ المطلق من مبتدأ حياتهم المباركة الى النفس الأخير. وأما بقيةُ المؤمنين وهم أصحابُهُم المقربون وأولياؤُهُم وشيعتُهُم فهم يمتلكون حالةً يقينٍ بمراتبٍ متباينة؛ كلٌّ بحسبِ إيمانه وتقواه... وتوفيقه.

إستدراك:

وردت آياتٌ تتضمنُ النصَّ ﴿هُم يُوقِنُونَ﴾ بدلَ ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ كما يلي:

أ. قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ البقرة ٤.

ب. قوله تعالى ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ. هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ.

(١) بحار الأنوار ط - بيروت ط: ج ٨٤ ص ٣٠٤.

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿النمل ١-٣﴾.

ت. قوله تعالى ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ. هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لقمان ٢ - ٥.

ولنا وقفة مع ب، ت منهن.. أن مَنْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ جَلَّ عِلَاهُ ب (المؤمنين) في الفقرة ب؛ وب (المحسنين) في الفقرة ت هم نفس القوم؛ وهم أنفسهم الموصوفون ب ﴿هُمُ يُوقِنُونَ﴾؛ وجعل القرآن هدىً وبشرىً ورحمةً لهؤلاء القوم الموقنين؛ وهم آل محمد ﷺ حصرًا؛ لأن وصف الإيمان بتمامه والإحسان بتمامه واليقين بتمامه لا يناله إلا هم ﷺ؛ وبقية المؤمنين فقد مسَّهم ضعفُ اليقين بدرجاتٍ متفاوتة؛ فأمرهم نسبيٌّ كلُّ بقدر إيمانه وتوفيقه.

كما ورد النص ﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾ مرةً واحدةً في قوله تعالى ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ الذاريات ٢.

نتيجة البحث: تبين في هذا البحث أن المقصود بالقوم في النص ﴿لِقَوْمٍ يُوَفِّقُونَ﴾ هم آل محمد ﷺ كما في البحوث السابقة؛ فهم نفس القوم.

وبعبارة موجزة أن المعنيين في هذا البحث هم أنفسهم في البحوث السابقة؛ أي:

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ هم أنفسهم آل محمد ﷺ، وهم في ذرى الكمال بهذه الصفات النبيلة.



الفَصْلُ السَّابِعُ

﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾



﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾

ورد هذا النص الشريف مرة واحدة في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ يونس عليه السلام ٦.

إشارات لغوية:

منها [باب وقى: الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره؛ يقال: وقيت الشيء أقيه ووقاية ووقاء؛ قال تعالى ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ الإنسان ١١؛ ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ الدخان ٥٦، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ الرعد ٣٤، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ الرعد ٣٧، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ التحريم ٦.

والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف؛ هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارة تقوى والتقوى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضى بمقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم... [١].

ومنها [باب وقى: وقاه الله وقياً ووقاية وواقية: صانه... وقيت الشيء أقيه إذا

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٨٨١.

صُنَّتْهُ وَسَتَّرَتْهُ عَنِ الْأَذَى،... فِي حَدِيثٍ مَعَاذُ (وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ) أَيَّ مَحَبَّتِهَا وَلَا تَأْخُذُهَا فِي الصَّدَقَةِ؛ لِأَنَّهَا تَكْرُمُ عَلَى أَصْحَابِهَا وَتَعَزُّ، فَخِذَ الْوَسْطَ لَا الْعَالِي وَالنَّازِلَ. وَتَوَقَّى وَاتَّقَى بِمَعْنَى؛ وَمِنَهُ الْحَدِيثُ «تَبَّقَهُ وَتَوَقَّه»^(١) أَيَّ اسْتَبَقَ نَفْسَكَ وَلَا تُعَرِّضْهَا لِلتَّلَفِ؛ وَحَرَّزَ مِنَ الْآفَاتِ وَاتَّقَى... وَوَقَاهُ: صَانَهُ؛ وَوَقَاهُ مَا يَكْرَهُ؛ وَوَقَاهُ حَمَاهُ مِنْهُ، وَالتَّخْفِيفُ أَعْلَى؛ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ الْإِنْسَانُ ١١، وَالْوِقَاءُ وَالْوَقَاءُ وَالْوَقَايَةُ وَالْوَقَايَةُ وَالْوَقَايَةُ: كُلُّ مَا وَقَيْتَ بِهِ شَيْئًا؛ وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ: كُلُّ ذَلِكَ مُصَدَّرٌ وَقَيْتَهُ الشَّيْءُ... وَيُقَالُ وَقَاكَ اللَّهُ شَرَّ فُلَانٍ وَقَايَةً. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ ﴿مَا هُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ الرَّعْدُ ٣٤ أَيَّ مِنْ دَافِعٍ. وَوَقَاهُ اللَّهُ وَقَايَةً - بِالْكَسْرِ - أَيَّ حَفِظَهُ. وَتَوَقَّى وَاتَّقَى بِمَعْنَى؛ وَقَدْ تَوَقَّيْتُ وَاتَّقَيْتُ الشَّيْءَ وَتَقَيْتَهُ اتَّقَيْتَهُ وَاتَّقَيْتَهُ تَقَى وَتَقِيَّةً وَتِقَاءً: حَذَرْتُهُ؛ الْأَخِيرَةُ عَنِ اللَّحْيَانِيِّ، وَالاسْمُ التَّقْوَى، التَّاءُ بَدَلَ مِنَ الْوَاوِ؛ وَالْوَاوُ بَدَلَ مِنَ الْيَاءِ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ ﴿وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ١٧ أَيَّ جِزَاءَ تَقْوَاهُمْ^(٢)، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَلْهَمَهُمْ تَقْوَاهُمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ الْمُدَّثِرُ ٥٦ أَيَّ هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُنْتَقَى عِقَابُهُ وَأَهْلٌ أَنْ يُعْمَلَ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى مَغْفِرَتِهِ... وَالتَّقِيُّ: الْمُتَّقِي. [٣].

وَأَيْضًا [بَابِ وَقَى]: وَكُلُّ مَا وَقَى شَيْئًا فَهُوَ وَقَاءٌ لَهُ وَوَقَايَةٌ؛ تَقُولُ: تَوَقَّقَ اللَّهُ يَا هَذَا؛ «وَمَنْ عَصَى اللَّهَ لَمْ تَقِهِ مِنْهُ وَقَايَةً إِلَّا بِأَحْدَاثِ تَوْبَةٍ»^(٤). وَرَجُلٌ تَقِيٌّ وَقِيٌّ بِمَعْنَى...

(١) الْفَاتِقُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ: ج ١ ص ١٠٩.

(٢) ﴿وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ أَيَّ ثَوَابَ تَقْوَاهُمْ أَمَانًا مِنَ النَّارِ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ ﷺ، كَمَا فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ: ج ٢٤ ص ٣٢١.

(٣) لِسَانِ الْعَرَبِ: ج ١٥ ص ٤٠١ - ٤٠٢.

(٤) الْحَدِيثُ فِي التَّنْهِيدِ: ٣٧٤ / ٩.



وَقَى يَقِي وَقِيَاءً...^(١).

إشارات إحصائية:

وجدتُ كلمة (يتقي) ومشتقاتها تكررت في القرآن الكريم ما يزيدُ على (١٥٠) آية^(٢)؛ وفي بعضها مدحٌ لذاتِ التقوى والتَّقِيَةِ؛ وفي كثيرٍ منها تشير إلى حُبِّ اللّهِ لهم وأنّ اللّهُ وليُّهم ومعهم وأنه تعالى أعلم بمن إتقى؛ وفي بعضها تأمرٌ بالتقوى والورع؛ وبعضها فيها مدحٌ للمتقين وصفاتهم وعلاماتهم وأنّ التّكريمَ به؛ وقبولَ العمل مشروطٌ به لدخولِ الجنة بحُسنِ العاقبة؛ وفي بعضها تصريحٌ يُبينُ مَنْ هم المتّقون؛ وبعضها تشيرٌ للترجّي بذكر أداة التّرجي ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ٦ مرات؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ٦ مرات؛ وبعضها فيه خطاب يُذكر بصيغة الإِسْتِفْهَامِ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٥ مرات؛ ﴿أَفْغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ﴾ مرة واحدة؛ وبعضها فيه مقارنةٌ بين المتّقِي وغير المتّقِي.

وفعلُ الأمرِ ﴿اتَّقُوا﴾ مع استبعادِ الفعلِ الماضي ﴿اتَّقُوا﴾ ورد في المصحف الشريف ٦٧ مرة منها: اتَّقُوا (اللّهُ؛ رَبَّكُمْ؛ الذي خلقكم؛ الذي أمَدَّكم بما تَعَلَّمون) بمجموعها ٦٠ مرة.

﴿اتَّقُوا يَوْمًا﴾ أي يوم القيامة ٣ مرات. ﴿اتَّقُوا النَّارَ﴾ مرّتان. ﴿اتَّقُوا فِتْنَةً﴾ مرة واحدة. ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ مرة واحدة.

(١) كتاب العين: ج ٥ ص ٢٣٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٥٧ ب ٥٦.

من هم المتقون؟:

تجيبنا الآيات الكريمة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَارِيبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة ٢-٥.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ البقرة ١٧٧.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ الأنبياء ٤٨-٤٩.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَارِيبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة ٢-٥.

ماذا نكسب من التقى في الدنيا؟:

تُجيبنا الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الأنفال ٢٩.



الْمُتَّقُونَ وَنُصِّبُهُمُ الْأَوْفَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

﴿تُبِينُهَا الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ التَّالِيَةُ﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ آل عمران ١٣٣ .

﴿وَاللَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام ٣٢ .

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ
بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف ١٥٦ .

﴿وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأعراف ١٦٩ .

﴿وَلَا جُرْ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ يوسف ٥٧ .

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ
الْمُتَّقِينَ﴾ النحل ٣٠ . ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هُمْ فِيهَا مَا
يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ النحل ٣١ .

﴿جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ الفرقان ١٥ .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ الدخان ٥١ .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الذاريات ١٥ .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ الطور ١٧ .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَمَهْرٍ﴾ القمر ٥٤ .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ المرسلات ٤١ .

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مَآبٍ . جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ ص ٤٩-٥٠

﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف ٣٥.

﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف ٦٧. أي يوم القيامة.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ق ٣١.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ القلم ٣٤.

﴿قُلْ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ آل عمران ١٥.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا. حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا. وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا. وَكَأَسَادٍ مِهَابًا﴾ النبأ ٣١-٣٤.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران ١٣٣.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ مريم ٨٥.

وبشأن هذه الآية الأخيرة: [فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرِيكَ الْعَامِرِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَسُومَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾؟ قَالَ: يَا عَلِيُّ؛ إِنَّ الْوَفْدَ لَا يَكُونُ إِلَّا رُكْبَانًا؛ أَوْلِيكَ رَجَالٌ اتَّقُوا اللَّهَ؛ فَأَحَبَّهُمُ اللَّهُ وَاخْتَصَّهْمُ وَرَضِيَ أَعْمَالَهُمْ فَسَمَاهُمْ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ. (١)].

خواص مميزة للمتقين وارتباطهم بالله جلّ علاه:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ البقرة ١٩٤، التوبة ٣٦، ١٢٣.

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ المائدة ٢٧. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران

١١٥، التوبة ٤٤.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة ٤، ٧. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ الجاثية ١٩.

﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ الأنفال ٣٤. ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ...﴾ يونس ٦٢-٦٤، ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف ١٥٦.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل ١٢٨؛ تُؤكّد ملازمة

الإحسان للتقى والتي ورد بشأنها:

[حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَسَّانَ الْوَاسِطِيُّ عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرِ الْهَاشِمِيِّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عليه السلام قَالَ: قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُقَالُ لَهُ هَمَّامٌ؛ وَكَانَ عَابِدًا؛ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ صِفْ لِي الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، فَتَنَاقَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنْ جَوَابِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَيْحَكَ يَا هَمَّامُ؛ اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ فِ... ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾...^(١) الحديث بتمامه.

وجدت آيات متعددة تشير الى تأكيد الخطاب الى أولي الألباب بالتزام التقوى:

(١) الأمايلي (للصدوق): المجلس ٨٤ ت ٢ ص ٥٧٠.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة ١٧٩. ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ البقرة ١٩٧. ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرُهُ الْخَبِيثُ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة ١٠٠. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الطلاق ١٠.

و بشأن الآية الكريمة ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ الفرقان ٧٤.

فقد ورد [آيةٌ قرئت على أبي عبد الله عليه السلام] ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؛ فقال أبو عبد الله عليه السلام: لَقَدْ سَأَلُوا اللَّهَ عَظِيمًا أَنْ يَجْعَلَ لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا!، فِقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؛ كَيْفَ نَزَلَتْ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [١].

وعلى الرغم من القراءة المعهودة لهذه الآية فإن المتقين هم أهل البيت عليه السلام، حيث ورد: [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبَانَ بْنِ تَعْلَبَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؟ قَالَ: نَحْنُ هُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ (٢).

مؤشرات الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ الأحزاب ١.

[قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ نَبِيَّهُ بِأَيِّكَ أَعْيُنِي وَاسْمِعِي يَا جَارَةٌ﴾ (٣)،

فالمخاطبة للنبي ﷺ والمعنى للناس. (٤).

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ١٠.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ١١٧.

(٣) من الأمثال العربية المعروفة.

(٤) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٧١.

عليّ عليه السلام وشيعته هم المتقون:-

فقد ورد [فَرَاتٌ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْدِيُّ مُعْنَعًا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِيهِ (عليه السلام)] قَالَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؛ فَقَالَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ وَاللَّهِ يَا عَلِيُّ عَنْكَ رَاضٍ؛ وَأَصْبَحَ اللَّهُ رَبُّكَ عَنْكَ رَاضٍ؛ وَأَصْبَحَ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ عَنْكَ رَاضُونَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ دُعَيْتَ إِلَيْكَ نَفْسُكَ؟؛ فَيَا لَيْتَ نَفْسِي الْمُتَوَفَّاءَ قَبْلَ نَفْسِكَ. قَالَ: أَبِي اللَّهُ فِي عِلْمِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ، قَالَ قُلْتُ: فَادْعُ اللَّهَ لِي بِدَعَوَاتٍ تُصَيِّبُنِي بَعْدَ وَفَاتِكَ؛

قَالَ: يَا عَلِيُّ ادْعُ لِنَفْسِكَ بِمَا تُحِبُّ حَتَّى أَوْمِنَ؛ فَإِنَّ تَأْمِينِي لَكَ لَا يُرَدُّ. قَالَ: فَدَعَا عَلِيُّ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَوَدَّتِي فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: آمِينَ؛ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ؛ ادْعُ. فَدَعَا بِتَشْيِيتِ مَوَدَّتِهِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَتَّى دَعَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ كُلَّمَا دَعَا دَعْوَةً قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: آمِينَ. فَهَبَطَ جَبْرَائِيلُ عليه السلام فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا. فَإِنَّا نَسْرَنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ مريم ٩٦-٩٧؛

فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: الْمُتَّقُونَ عَلِيُّ وَشِيعَتُهُ. [١].

والآيات الآتية سيتمُّ بحثها في الفصل الأخير (الملحق):

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة ٣٥. وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ براءة (التوبة) ١١٩.

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٥٢ ح ٣٤٣، بعد رفع الاقواس المضافة.

إشارات تفسيرية:

جاء في التفسير [إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ] يونس ٦. فليست السماء والأرض بذاتهما من آيات الله وحسب؛ بل إنَّ كُلَّ واحدةٍ من الموجودات التي توجد فيهما تُعتبر آيةً بحدِّ ذاتها؛ إلا إنَّ الذين يدركون تلك الآيات هم الذين سمَّت أرواحهم وصفت نتيجةً لتقواهم ويُعدهم عن المعاصي؛ وهم الذين يقدرّون على رؤية وجه الحقيقة وجمال المعشوق^(١)

إشارات حديثة:

فقد وردَ [تَفْسِيرٍ وَكَيْعٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ مَرَّةَ الْهَمْدَانِيُّ عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ آل عمران ١٠٢؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا عَمِلَ بِهَذَا غَيْرُ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ؛ نَحْنُ ذَكَرْنَا اللَّهَ فَلَا نُنْسَاهُ؛ وَنَحْنُ شَكَرْنَا اللَّهَ فَلَا نَكْفُرُهُ؛ وَنَحْنُ أَطَعْنَاهُ فَلَا نَعْصِيهِ، فَلَمَّا أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَتِ الصَّحَابَةُ: لَا نَطِيقُ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

قَالَ وَكَيْعٌ: يَعْنِي مَا أَطَقْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ مَا تَوْمَرُونَ ﴿وَأَطِيعُوا﴾ التَّغَابِنَ ١٦؛ يَعْنِي أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ فِيمَا يَأْمُرُونَكُمْ بِهِ. [٢].

وبذلك فأهل البيت عليهم السلام هم الأكرم عند الله جلَّ علاه وفق الآية المباركة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات ١٣. ونعوذ ونقول أن الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ نُسِخَتْ

(١) تفسير الأمل: ج ٦ ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ١٧٧.

لعدم تحمّل عموم الأمة تطبيقها. فقد ورد [عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾؟ قال: منسوخة، قلت: وما نسختها؟ قال: قول الله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. (١)].

و سبق أن أمرت سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام القوم بتقوى الله في خطبتها الخالدة في المسجد النبوي حين مَنَعَهَا القوم من نِحلتها وإرثها وحقوقها:

[حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّعْدَآبَادِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْقِيِّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ جَابِرٍ عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ عَلِيٍّ قَالَتْ: قَالَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام فِي خُطْبَتِهَا: لِلَّهِ فِيكُمْ عَهْدٌ قَدَمُهُ إِلَيْكُمْ؛ وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ؛ كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَهُ بَصَائِرُهُ؛ وَآيٌ مُنْكَشَفَةٌ سَرَائِرُهُ؛ وَبُرْهَانٌ مُتَجَلِّيٌّ ظَوَاهِرُهُ؛ مُدِيمٌ لِلْبَرِيَّةِ اسْتِمَاعُهُ؛ وَقَائِدٌ إِلَى الرُّضْوَانِ أَتْبَاعُهُ؛ وَمُؤَدِّ إِلَى النِّجَاةِ أَشْيَاعُهُ؛ فِيهِ تَبْيَانٌ حُجَّجَ اللَّهُ الْمُنِيرَةَ وَمَحَارِمُهُ الْمُحَرَّمَةَ وَفَضَائِلُهُ الْمُدَوَّنَةَ وَجَمَلُهُ الْكَافِيَّةُ وَرُخْصِهِ الْمَوْهُوبَةُ وَسَرَائِعِهِ الْمَكْتُوبَةُ وَبَيِّنَاتِهِ الْجَلِيَّةُ، فَفَرَضَ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشُّرْكِ؛ وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ؛ وَالزَّكَاةَ زِيَادَةً فِي الرِّزْقِ؛ وَالصِّيَامَ تَثْبِيثاً لِلْإِخْلَاصِ؛ وَالْحَجَّ تَسْنِيَةً لِلدِّينِ؛ وَالْعَدْلَ تَسْكِيناً لِلْقُلُوبِ؛ وَالطَّاعَةَ نِظَاماً لِلْمِلَّةِ؛ وَالْإِمَامَةَ لِمَا مِنَ الْفُرْقَةِ؛ وَالْجِهَادَ عِزّاً لِلْإِسْلَامِ؛ وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى الْإِسْتِيْجَابِ؛ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلِحَةً لِلْعَامَّةِ؛ وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَقَايَةً عَنِ السَّخَطِ؛ وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ مَنَمَةً لِلْعَدَدِ؛ وَالْقِصَاصَ حَقْنًا لِلدِّمَاءِ؛ وَالْوَفَاءَ لِلنَّذْرِ تَعْرِضاً لِلْمَغْفِرَةِ؛ وَتَوْفِيَةَ الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسَةِ؛ وَاجْتِنَابَ قَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ حِجْباً عَنِ اللَّعْنَةِ؛ وَجُنَابَةَ السَّرِقَةِ إِجَاباً لِلْعُقُوبَةِ؛ وَأَكْلَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى إِجَارَةً مِنَ الظُّلْمِ؛ وَالْعَدْلَ فِي

الْأَحْكَامِ إِيْنَسَا لِلرَّعِيَّةِ؛ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الشَّرْكَ إِخْلَاصًا لِلرُّبُوبِيَّةِ؛ فَ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ؛ وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ. [١].

ومعلومٌ أنه لا يمكن لأحدٍ أن يأمر الآخرين بتقوى الله حَقَّ تَقَاتِهِ إلا من هو يَحْمِلُ هذه الصفةَ التامة؛ وفاطمةُ عليها السلام من أهلِ هذا البيتِ الطاهرِ عليهم السلام الحاملين لهذه الصفة وهي صفةُ التَّقوى التامة.

كما ورد [عنه عن أبيه عن النضر بن سويد عن أبي الحسين عن أبي بصير قال: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قَالَ: يُطَاعُ وَلَا يُعْصَى؛ وَيُذَكَّرُ وَلَا يُنْسَى؛ وَيُشْكَرُ فَلَا يُكْفَرُ] [٢].

ولأنَّ أهلَ البيتِ عليهم السلام أطاعوا الله حَقَّ طَاعَتِهِ ولم يعصوه طرفة عين أبداً، وذَكَرُوا اللَّهَ حَقَّ ذِكْرِهِ ولم ينسوه، وشكروا الله حَقَّ شُكْرِهِ ولم يكفروه، فأصبحوا أتقى الخلق.

[عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليهم السلام فِي قَوْلِهِ ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ الْبَقْرَةَ ٦٦؛ قَالَ: لِمَا مَعَهَا؛ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الْقُرَى؛ وَلِمَا خَلْفَهَا؛ قَالَ: نَحْنُ، وَلَنَا فِيهَا مَوْعِظَةٌ. [٣]. وفيها إشارةٌ صريحةٌ واضحةٌ أنهم هنا هم المقصودون بالمتقين لا غيرهم .

تبيَّن من أعلاه أنَّ التَّقوى الذي هو بالأساس مخافةُ الله جَلَّ علاه ملازمٌ لهؤلاء القوم؛ فلم يستزلهم الشيطانُ طرفة عينٍ في حياتهم المباركة؛ لأنهم مُطهرون من

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ٢٤٨ ح ٢.

(٢) المحاسن: ج ١ ص ٢٠٤ باب ٤ حَقُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ ح ٥٠.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤٦ ح ٥٦.

دَنَسِهِ؛ فهم في حالة تُقَى دواماً؛ ولم يميلوا لأهوائهم طرفة عينٍ أبداً؛ وبوضوح الفعل المضارع ﴿يَتَّقُونَ﴾ دلالةً على الإستمرارية على الدوام كما يعرفها أهل اللغة؛ فهم ﷺ على التقى ما داموا أحياءً؛ أي أنهم جُبلوا على التقى منذ نعومة أظفارهم الى نهاية حياتهم المباركة بعناية إلهية مخصوصة. فقد رأينا أن الإمام أمير المؤمنين ﷺ في حديث (المناقب) السابق أكد على أن الآية الكريمة ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ لم يعمل بها أحدٌ من أمة محمد ﷺ سوى آل محمد ﷺ، وفي خطبة سيدة نساء العالمين ﷺ حثت الأمة على تطبيق الآية الكريمة ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ بعد مقدمة أبانت فيها أهداف واجبات الشريعة؛ وهي ﷺ في الذرى في تطبيقها، ورأينا أن الإمام الصادق ﷺ قد بيّن أن تمام التقى هو بتمام الصفات الثلاث - الطاعة والشكر والذكر - والتي لم يلتزم بها أحدٌ من أمة محمد ﷺ بتمامها إلا آل محمد ﷺ.

وشيعتهم على التقى بتبعية هداهم؛ متفاوتون في درجات التقى بتفاوت صدقهم في التطبيق للآية المباركة ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ البقرة ١٧٧.

كما وجدتهم وُصِفوا بصيغة أخرى كما في الآيات الكريمة التالية:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة ٢-٥.

وهذه الصفات الستة المباركات لم تُستكمل عند أحدٍ من أمة محمد ﷺ إلا عند آل محمد ﷺ؛ فاستحقوا التكريم بهذا التقى التام؛ وشيعتهم على التقى بتبعية هداهم؛ مع تفاوت منازلهم في تطبيق هذه الصفات الستة المذكورة في النص أعلاه. لكن لا يرقى أحدهم لمنزلة تقى ساداتهم ﷺ أبداً؛ مهما علا مقامه.

وفي مدار الآية الكريمة ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الزمر ٣٣. تبين حتى للمخالفين: [قوله تعالى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ عَنْ مُجَاهِدٍ: نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ].^(١)

ولنعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام أشار في أحد خطبه الى الجهاد فسماه لباس التقوى.

[... عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ؛ وَسَوَّغَهُمْ كَرَامَةً مِنْهُ لَهُمْ وَنِعْمَةً ذَخَرَهَا؛ وَالْجِهَادُ هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَجَنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الدُّلِّ، وَشَمِلَهُ الْبَلَاءُ وَفَارَقَ الرِّضَا وَ دَيْثَ الْبِصْغَارِ وَالْقَمَاءَ وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ وَأَدِيلِ الْحَقِّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَ سِيمِ الْخُسْفِ وَ مُنِعَ النَّصْفِ ...]^(٢)

حديث أن أمير المؤمنين عليه السلام هو إمام المتقين:

واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو إمام المتقين في الدنيا وحامل لواء الحمد في الآخرة بعد الفراغ من الحساب؛ يتبعه جميع المتقين من أمة محمد ﷺ؛ ولواء الحمد يُرفرف فوق رؤوسهم باتجاه أبواب الجنة.

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط - القديمة): ج ١ ص ٣٢٤.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٤ باب فضل الجهاد ح ٦

فقد ورد [وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ النحل ٩١؛ فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبِي رَفَعَهُ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لَمَّا نَزَلَتْ الْوَلَايَةُ وَكَانَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِغَدِيرِ خُمٍّ سَلَّمُوا عَلَى عَلِيٍّ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَقَالُوا: أَمِنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: نَعَمْ؛ حَقًّا مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَقَالَ: إِنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ؛ يُقْعِدُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ؛ فَيَدْخُلُ أَوْلِيَاءَهُ الْجَنَّةَ؛ وَيَدْخُلُ أَعْدَاءُهُ النَّارَ؛ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا...﴾ ^(١).

ذلك لأنَّ علياً على التُّقى التَّام والأمثل؛ هو وأهل بيته الأبرار الميامين، فأكرمهم الله بهذا المقام المشهود. وأما شيعتهم ومواليهم فلمهم نصيبٌ من التُّقى؛ كلُّ بقدره ومقامه وتوفيقه وعمق إيمانه؛ ومنازلهم في الجنان مُتباينة.

ومن نافلة القول ذكر الآية الكريمة ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ الزمر ٧٣.

ولمعرفة مُستقرِّ مَنْ اتَّقَى مِنْ شِيعَةِ وَمُحِبِّي وَأَنْصَارِ وَمَوَالِي آلِ مُحَمَّدٍ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ؛ فقد ورد:

[... عَنْ أَبَانَ بْنِ عُمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ الرَّزْقِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَلِيِّ عليه السلام قَالَ: إِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ؛ بَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ النَّيُّونَ وَالصَّادِقُونَ؛ وَبَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ الشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ؛ وَخَمْسَةٌ أَبْوَابٍ يَدْخُلُ مِنْهَا شِيعَتُنَا وَمُحِبُّونَا، فَلَا أَزَالَ وَاقِفًا عَلَى الصِّرَاطِ أَدْعُو وَأَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ شِيعَتِي وَمُحِبِّي وَأَنْصَارِي وَمَنْ تَوَلَّانِي فِي دَارِ الدُّنْيَا. فَإِذَا النَّدَاءُ مِنْ بَطْنَانِ الْعَرْشِ: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكَ؛ وَشُفِّعَتْ فِي

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٨٩.

شِيعَتِكَ؛ وَيُسَفِّعُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْ شِيعَتِي وَمَنْ تَوَلَّانِي وَنَصَرَنِي وَحَارَبَ مَنْ حَارَبَنِي
بِفِعْلِ أَوْ قَوْلٍ فِي سَبْعِينَ أَلْفَ مِنْ حِيرَانِهِ وَأَقْرَبَائِهِ، وَبَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ سَائِرُ الْمُسْلِمِينَ
مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنْ بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ. (١).

خاتمةُ هذا الفصل :

قد إنَّصَحَ هذا البحثُ أَنَّ المعنِيَّ بـ ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ هُمُ نَفْسُ الْقَوْمِ فِي الْبَحْثِ
السَّابِقَةِ؛ وَاسْتِتْجَاؤُهَا مِمَّا سَبَقَ نَصَلَ إِلَى أَنَّ النُّصُوصَ الْكَرِيمَةَ:

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ
يَفْقَهُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ هُمُ ذَاتُ الْقَوْمِ بِلا تَعَدُّدٍ لِلْأَقْوَامِ.

وَالنَّيْجَةُ فَهَمُ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ رَبِّي عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ؛ وَهَمُ فِي الذَّرَى بِهَذِهِ الصِّفَاتِ
الْكَامِلَةِ الْمَحْمُودَةِ.



(١) الخصال: ج ٢ ص ٤٠٧ ب للجنة ثمانية أبواب ح ٦.



الفصل الثامن

﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾



﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾

وقد ورد هذا النص الكريم مرة واحدة في قوله تعالى:
﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا تَكْدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الأعراف ٥٨ .
إشارات لغوية:

فقد ورد [باب (شَكَرَ): الشُّكْرُ: عَرَفَانُ الْإِحْسَانِ وَنَشْرُهُ. وَالشُّكْرُ مِنَ اللَّهِ الْمَجَازَةُ
وَالثَّنَاءُ الْجَمِيلُ، شَكَرَهُ وَشَكَرَ لَهُ يَشْكُرُ شُكْرًا وَشُكُورًا وَشُكْرَانًا.....
ورجل شَكُورٌ كَثِيرُ الشُّكْرِ؛ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ الإسراء ٣.
وفي الحديث: حِينَ رُؤِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّمَ وَقَدِ جَهَدَ نَفْسَهُ بِالْعِبَادَةِ
فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَتَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ أَنَّهُ
قَالَ ﷺ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟. وَالشُّكُورُ: مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ
يَزْكُو عِنْدَهُ الْقَلِيلُ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ فَيُضَاعَفُ لَهُمُ الْجَزَاءُ، وَشُكْرُهُ لِعِبَادِهِ: مَغْفِرَتُهُ
لَهُمْ. وَالشُّكُورُ: مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ. وَأَمَّا الشُّكُورُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ فَهُوَ الَّذِي يَجْتَهِدُ فِي
شُكْرِ رَبِّهِ بِطَاعَتِهِ وَأَدَائِهِ مَا وَظَّفَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ

شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشُّكُورِ ﴿سَبَأٌ ١٣﴾....

والشُّكْرُ: مثلُ الحمد؛ إلا أن الحمدَ أعمُّ منه، فإنك تَحَمِّدُ الإنسانَ على صفاته الجميلة وعلى معروفه، ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته. والشُّكْرُ: مقابلةُ النعمةِ بالقول والفعل والنية، فيثني على المُنعم بلسانه ويُذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه مُوليها؛ وهو من شَكَرَتِ الإبلُ تَشُكْرًا إذا أصابت مَرَعَى فَسَمِنَتْ عليه.

وفي الحديث: «لا يَشُكْرُ اللَّهُ من لا يَشُكْرُ الناسَ»^(١)؛ معناه أن الله لا يقبل شكرَ العبد على إحسانه إليه، إذا كان العبد لا يَشُكْرُ إحسانَ الناسِ وَيَكْفُرُ معروفَهُم لاتصال أحد الأمرين بالآخر؛ وقيل: معناه أن من كان من طبعه وعادته كُفْرانُ نعمةِ الناسِ وتركُ الشُّكْرِ لهم كان من عادته كُفْرُ نعمةِ الله وتركُ الشكر له، وقيل: معناه أن من لا يشكرُ الناسَ كان كمن لا يشكرُ الله وإن شَكَرَهُ، كما تقول: لا يُجِئني من لا يُجِئُك؛ أي أن محبتك مقرونةٌ بمحبتتي؛ فمن أحبني يحبك ومن لم يحبك لم يحبني؛ وهذه الأقوالُ مبنيةٌ على رفعِ اسمِ الله تعالى ونصبه. والشُّكْرُ: الثناء على المُحسِن بما أوْلَاكُهُ من المعروف. يُقال: شَكَرْتُهُ وشَكَرْتُ له، وباللام أفصح. وقوله تعالى ﴿لا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ الإنسان ٩؛ يحتمل أن يكون مصدرًا مثل فَعَدَ فُجُودًا، احتمل أن يكون جمعًا مثل بُرْدٍ و بُرُودٍ وكُفْرٍ وكُفُورٍ. والشُّكرانُ: خلافُ الكُفْرانِ [٢].

وقالوا [بابُ (شَكَرَ): شَكَرْتُ لِلَّهِ: اعْتَرَفْتُ بِنِعْمَتِهِ؛ وَفَعَلْتُ مَا يَجِبُ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَةِ وَتَرَكَ الْمَعْصِيَةَ. وَلهذا يَكُونُ الشُّكْرُ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَيَتَعَدَى فِي الْأَكْثَرِ بِاللَّامِ؛ فَيُقَالُ شَكَرْتُ لَهُ (شُكْرًا) وَ(شُكْرَانًا)؛ وَرَبَّمَا تَعَدَى بِنَفْسِهِ فَيُقَالُ (شَكَرْتُهُ)؛... وَ(تَشَكَرْتُ) لَهُ مِثْلُ (شَكَرْتُ) لَهُ. [٣].

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨٠.

(٢) لسانُ العرب: ج ٤ ص ٤٢٣.

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج ٢ ص ٣٢٠.

ولعلَّ أصدق معاني الشُّكر ما قاله السيد الطباطبائي:

[والشُّكرُ استعمالُ النعمةِ بإظهارِ كونها من مُنعمِها، وقد تقدم في تفسير قوله تعالى ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران ١٤٤ أنَّ كونَ العبدِ شاكراً لله كونه مخلصاً لربه، والكفرانُ استعمالُها مع سترِ كونها من المُنعمِ] (١).

بعضُ وجوهِ الشُّكرِ ومناحيه في القرآن الكريم:

أ. الشُّكرُ من شيمِ الأنبياءِ ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ الإسراء ٣.
ب. أنَّ اللهَ تعالى لا يحتاجُ شُكرَ عبده؛ لأنه الغنيُّ الكريم؛ لقوله تعالى ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ النمل ٤٠.

والآياتُ الذاكرةُ لوجوبِ الشُّكرِ لله تعالى على نِعَمِهِ فهي لتمحيصِ العبدِ في طاعته؛ كما هو حالُ الصلاة؛ فاللهُ تعالى غنيٌّ عن صلاةِ عبده؛ وبالتالي فإنَّ الصلاةَ والشُّكرَ نفعُهما للعبدِ لا لله جلَّ علاه. كما أنَّ الشُّكرَ من العبدِ غايتها رضى الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الزمر ٧.

ت. أنَّ اللهَ تعالى أبانَ السبيلَ لعباده؛ وجعلَ الخيارَ لهم في أن يشكروه أو يكفروه؛ لقوله تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان ٣. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ الفرقان ٦٢.

ث. أنَّ العبدَ إذا آمنَ وشكَّرَ ربَّه فاللهُ يؤمِّنه من عذابه وغضبه؛ والربُّ شاكرٌ للعبدِ ما دامَ العبدُ شاكراً مؤمناً؛ لقوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ النساء ١٤٧. ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يضاعفه لَكُمْ

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٩-٢٠ ص ٤١٣.

وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿التغابن ١٧﴾ ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة ١٥٨ .

ج. أن العبد مأمورٌ بأن يطلب الإلهامَ والتمكينَ من ربه ليتمكنَ من شكره لقوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ...﴾ النمل ١٩، سورة الأحقاف ١٥. علماء أن شكر العبد لربه هي نعمةٌ أخرى منه تعالى توجبُ الشكرَ من جديد؛ فهذا إمامنا زين العابدين عليه السلام في أحد أذكاره يُشيرُ لهذه النقطة الرائعة في دُعائه: [اللَّهُمَّ إِنَّ أَحَدًا لَا يَبْلُغُ مِنْ شُكْرِكَ غَايَةَ إِلَّا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِكَ مَا يُلْزِمُهُ شُكْرًا].^(١)

ح. ومعلومٌ قطعياً أن غالبية البشر هم في حالِ كُفرانٍ لنعمةِ الله؛ لقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ البقرة ٢٤٣ .

﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ يوسف عليه السلام ٣٨ .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ يونس عليه السلام ٦٠ .

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ النمل ٧٣ .

وهناك فئةٌ وصفت بقلّةِ الشكر في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ الأعراف ١٠ .

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ المؤمنون ٧ .

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ السجدة ٩ .

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾

الملك ٢٣ .

(١) الصحيفة السجادية: مِنْ دُعَائِهِ عليه السلام إِذَا اعْتَرَفَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ تَأْيِيدِ الشُّكْرِ؛ الدعاء ٣٧ .

خ. أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ وَأَوْجِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَشْكُرُوهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ البقرة ١٧٢. وقوله ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ النحل ١١٤. ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ لقمان ١٤. ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ سبأ ١٥. ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت ١٧. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّا نِشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ لقمان ١٢. ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ يس ٣٥، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ يس ٧٣؛ أمرٌ بالشُّكرِ من حيث إنه إنكارٌ لتركه.

وفي التفسير [وقوله ﴿فَهَلْ أُنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ الأنبياء ٨٠؛ تقرير للخلق على شكره تعالى على نعمه التي انعم بها عليهم بأشياء مختلفة].^(١)

و [وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢) معناه لكي تشكروا. وهذه لامُ الغرض].^(٣)

د. أَنَّ اللَّهَ يَجَازِي مَنْ شَكَرَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نِعْمَةٌ مِن عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ القمر ٣٥، ﴿سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران ١٤٤. ﴿سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران ١٤٥؛ ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم ٧.

(١) التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي: ج ٧ ص ٢٦٣.

(٢) ذُكِرَتْ ١٤ مرة، بينما ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ذُكِرَتْ مرة واحدة.

(٣) التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٢٥٢.

للشكرِ أركانٌ ثلاثة:

جاء في بحار الأنوار: [وقال المحقق الطوسي رحمته الله: الشكرُ أشرفُ الأعمالِ وأفضلُها؛ واعلمَ أنَّ الشكرَ مقابلةُ النعمةِ بالقولِ والفعلِ والنيةِ؛ وله أركانٌ ثلاثة:

١. معرفةُ المُنعمِ وصفاتهِ اللائقةِ به؛ ومعرفةُ النعمةِ من حيثِ إنها نعمةٌ. ولا تتم تلك المعرفةُ إلا بأن يُعرفَ أن النعمَ كُلَّها جليلٌها وخفيٌها من الله سبحانه؛ وأنه المُنعمُ الحقيقيُّ؛ وأن الأوساطَ كُلَّها منقادون لحكمه مُسخَّرون لأمره.

٢. الحالُ التي هي ثمرةُ تلك المعرفةِ وهي الخضوعُ والتواضعُ والسرورُ بالنعمةِ من حيثِ إنها هديةٌ دالةٌ على عنايةِ المُنعمِ بك؛ وعلامةٌ ذلك أن لا تفرحَ من الدنيا إلا بما يوجبُ القربَ منه.

٣. العملُ الذي هو ثمرةُ تلك الحالِ فإنَّ تلك الحالَ إذا حصلتِ في القلبِ حصل فيه نشاطٌ للعملِ الموجبِ للقربِ منه؛ وهذا العملُ يتعلقُ بالقلبِ واللسانِ والجوارحِ؛ أما عملُ القلبِ فالقصدُ إلى تعظيمه وتمجيده وتمجيده والتفكيرِ في صنائعه وأفعاله وآثارِ لطفه والعزمِ على إيصالِ الخيرِ والإحسانِ إلى كافةِ خلقه؛ وأما عملُ اللسانِ فإظهارُ ذلك المقصودِ بالتحميدِ والتمجيدِ والتسبيحِ والتهلِيلِ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ إلى غيرِ ذلك. وأما عملُ الجوارحِ فاستعمالُ نعمه الظاهرةِ والباطنةِ في طاعتهِ وعبادتهِ؛ والتوقُّي من الاستعانةِ بها في معصيتهِ ومخالفتِهِ؛ كاستعمالِ العينِ في مطالعةِ مصنوعاتِهِ وتلاوةِ كتابِهِ وتذكُّرِ العلومِ المأثورةِ من الأنبياءِ والأوصياءِ عليهم السلام وكذا سائرِ الجوارحِ. فظهر أن الشُّكرَ من أمهاتِ صفاتِ الكمالِ؛ وتحقُّقِ الكاملِ منه نادرٌ كما قال سبحانه ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ سبأ ١٣، ولما كان الشُّكرُ بالجوارحِ التي هي من نعمه تعالى ولا يتأتَّى إلا بتوفيقه سبحانه فالشُّكرُ أيضاً نعمةٌ

من نِعَمِهِ و يوجبُ شكرًا آخر؛ فينتهي إلى الاعترافِ بالعجزِ عن الشكرِ؛ فأخِرُ مراتبِ الشُّكْرِ الاعترافُ بالعجزِ عنه؛ كما أن آخرَ مراتبِ المعرفةِ والثناءِ الاعترافُ بالعجزِ عنهما. وكذا العبادةُ كما قال سيِّدُ العَابِدِينَ وَالْعَارِفِينَ وَالشَّاكِرِينَ عليه السلام: لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ.

وَقَالَ عليه السلام: مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ؛ وَمَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ. [١].

إشاراتٌ تفسيرية:

جاء بشأنِ نزولِ الآيةِ الكريمةِ ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهْؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ الأنعام ٥٣. ما يلي:

[ثم قال ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي اختبرنا الأغنياءَ بالغنياءِ؛ لِنَنْظُرَ كَيْفَ مَوَاسَاتَهُمُ لِلْفُقَرَاءِ؟ وَكَيْفَ يُخْرِجُونَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ؟ فَاخْتَبَرْنَا الْفُقَرَاءَ لِنَنْظُرَ كَيْفَ صَبَرُهُمْ عَلَى الْفَقْرِ؟ وَعَمَّا فِي أَيْدِي الْأَغْنِيَاءِ؟ وَلِيَقُولُوا أَيُّ الْفُقَرَاءِ أَهْؤُلَاءِ؟﴾ الْأَغْنِيَاءُ ﴿مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [٢].

وعند تفسيرِ الآيةِ الكريمةِ ﴿ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ الأعراف ١٧.

فقد قال السيد الطباطبائي [وقوله تعالى ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ نتيجة ما ذكره من صنعه بهم بقوله ﴿لَا تَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ...﴾ الأعراف ١٦-١٧، وقد وضع في ما حكاه الله من كلامه في غير هذا الموضوع بدل هذه الجملة أعني ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ جملة أخرى قال ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ

(١) بحار الأنوار (ط بيروت): ج ٦٨ ص ٢٢-٢٣ ب ٦١ الشكر ح ١.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٠٢.

لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً ﴿الإسراء ٦٢﴾؛ فاستثنى من وسوسته وإغوائه القليل مطابقاً لما في هذه السورة، وقال ﴿وَأَغْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عَبْدَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ الحجر ٣٩ - ٤٠، ومنه يظهر أنه إنما عنى بالشاكرين في هذا الموضع المخلصين، والتأمل الدقيق في معنى الكلمتين يُرشد إلى ذلك؛ فإن المخلصين (بفتح اللام) هم الذين أخلصوا لله؛ فلا يشاركه فيهم أي في عبوديتهم وعبادتهم سواه، ولا نصيب فيهم لغيره، ولا يذكرون إلا ربهم وقد نسوا دونه كل شيء حتى أنفسهم؛ فليس في قلوبهم إلا هو سبحانه، ولا موقف فيها للشيطان ولا لتزييناته. والشاكرون هم الذين استقرت فيهم صفة الشكر على الإطلاق؛ فلا يمسون نعمة إلا بشكر؛ أي بأن يستعملوها ويتصرفوا فيها قولاً أو فعلاً على نحو يُظهرون به أنها من عند ربهم المنعم بها عليهم؛ فلا يقبلون على شيء أعم من أنفسهم وغيرهم إلا وهم على ذكر من ربهم قبل أن يمسوه ومعهم وبعده، وأنه مملوك له تعالى طلقاً؛ ليس له من الأمر شيء؛ فذكرهم ربهم على هذه الوتيرة يُنسيهم ذكر غيره إلا بالله، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. فلو أُعطي اللفظ حق معناه لكان الشاكرون هم المخلصين، واستثناء إبليس الشاكرين أو المخلصين من شمول إغوائه وإضلاله جرى منه على حقيقة الأمر اضطراراً ولم يأت به جزافاً أو امتناناً على بني آدم أو رحمة أو لغير ذلك. [١].

[وفي تفسير قوله ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ الأعراف ١٧ أن حقيقة الشكر هو الإخلاص في العبودية. [٢].

وكذلك عند تفسير الآية الكريمة ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ الأنعام ٥٣.

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ٧-٨ ص ٣٢١-٣٢٢ عند تفسير سورة الأعراف ١٧.

(٢) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١١-١٢ ص ٥٥٧ عند تفسير سورة النحل ١٢١.

قال السيد [وقوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ جوابٌ عن استهزائهم المبني على الاستبعاد، بقولهم ﴿أَهْوَأُ لَاءَ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾؛ ومُحْصَلُهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ شَاكِرُونَ لِلَّهِ دَوْنَهُمْ؛ وَلِذَلِكَ قَدَّمَ هَؤُلَاءِ لَمَنْهُ وَأَخَّرَهُمْ؛ فَكُنِّي سَبْحَانَهُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ؛ أَي أَنَّهُمْ شَاكِرُونَ، وَ مِنَ الْمَسْلَمِ أَنَّ الْمَنْعَمَ إِنَّمَا يُؤْنُّ وَ يُنْعَمُ عَلَى مَنْ يَشْكُرُ نِعْمَتَهُ؛ وَ قَدْ سَمَّى اللَّهَ تَعَالَى تَوْحِيدَهُ وَ نَفْيَ الشَّرِيكِ عَنْهُ شُكْرًا فِي قَوْلِهِ حِكَايَةً عَنْ قَوْلِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٣٨.

فَالْآيَةُ تَبِينُ أَنَّهُمْ بِجَهَالَتِهِمْ يَبْنُونَ الْكِرَامَةَ وَ الْعِزَّةَ عَلَى التَّقَدُّمِ فِي زُخْرَافِ الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَ بَنِينَ وَ وَجَاهٍ، وَ لَا قَدْرَ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَ لَا كِرَامَةَ، وَ إِنَّمَا الْأَمْرُ يَدُورُ مَدَارَ صِفَةِ الشُّكْرِ؛ وَ النِّعْمَةُ بِالْحَقِيقَةِ هِيَ الْوَلَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ. [١].

من هم الشاكرون:

وَ عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمْ لَأَنَّ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الْأَعْرَافُ ١٨٩.

قال السيد ﷺ [أَنَّ الشَّاكِرِينَ فِي عُرْفِ الْقُرْآنِ هُمُ الْمُخْلِصُونَ (بِفَتْحِ اللَّامِ)؛ الَّذِينَ لَا سَبِيلَ لِإِبْلِيسَ عَلَيْهِمْ وَ لِوَادِيْبِ اللَّغْفَلَةِ فِي قُلُوبِهِمْ...] [٢]. وَ بِالتَّالِيِ فَإِنَّ الْمُخْلِصِينَ هُمُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُطَهَّرُونَ مِنْ رَجَسِ الشَّيْطَانِ.

وَ قَالَ [... أَنَّ الشُّكْرَ لِلَّهِ فِي عِبَادَتِهِ هُوَ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَأَنَّ الشَّاكِرِينَ هُمُ الْمُخْلِصُونَ (بِفَتْحِ اللَّامِ) مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمَعْنِيِّينَ بِمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ الصَّافَاتُ ١٥٩-١٦٠. [٣].

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ٧-٨ ص ٧٨ عند تفسير سورة الأنعام ٥٣.

(٢) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ٧-٨ ص ٥٧٢ عند تفسير سورة الأعراف ١٨٩.

(٣) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ٥-٦ ص ٥٤٠ عند تفسير سورة المائدة (بحث روائي).

وهذا لا يحصل لأحدٍ من أمة محمد ﷺ أبداً إلا لآل محمد ﷺ؛ لأنهم المطهرون من رجس الشيطان؛ لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الأحزاب ٣٣.

وقال السيد [والأخبار المأثورة عن النبي ﷺ وعن أئمة أهل البيت ﷺ متظافرة في أن الشرك ينقسم إلى جليٍّ وخفيٍّ، وأن الشرك ذو مراتب كثيرة؛ لا يسلم من جميعها إلا المخلصون؛ وأنه أخفى من ديب النمل على الصفا في الليلة الظلماء...] (١)

وقال [نعم هاهنا شيء؛ وهو أن الله سبحانه خلق بعض عباده هؤلاء على استقامة الفطرة واعتدال الخلق؛ فنشئوا من بادىء الأمر بأذهان وقادة وإدراكات صحيحة ونفوس طاهرة وقلوب سليمة؛ فنالوا بمجرد صفاء الفطرة وسلامة النفس من نعمة الإخلاص ما ناله غيرهم بالاجتهاد والكسب؛ بل أعلى وأرقى لطهارة داخلهم من التلوث بالآثام الموانع والمزاحمات؛ والظاهر أن هؤلاء هم المخلصون (بالفتح) لله في عرف القرآن. وهؤلاء هم الأنبياء والأئمة، وقد نص القرآن بأن الله اجتباهم أي جمعهم لنفسه وأخلصهم لحضرتة، قال تعالى ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الأنعام ٨٧؛ ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ الحج ٧٨؛ وآتاهم الله سبحانه من العلم ما هو ملكة تعصمهم من اقتراف الذنوب وارتكاب المعاصي، وتمتنع معه صدور شيء منها عنهم صغيرة أو كبيرة... وقد تقدم آنفاً أن من خاصة هؤلاء القوم أنهم يعلمون من ربهم ما لا يعلمه غيرهم، والله سبحانه يصدق ذلك بقوله ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الصفات ١٥٩-١٦٠...، وإن المحبة الإلهية تبعثهم على أن

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ٩-١٠ ص ١٣٥ بحث كلام في عبادة الأصنام في فصول، فصل ٩.

لا يريدوا إلا ما يريدُه اللهُ؛ وينصرفوا عن المعاصي؛ واللهُ سبحانه يقرر ذلك بما حكاه عن إبليس في غير مورد من كلامه كقوله:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ سورة ص ٨٢-٨٣. (١).

ولنرجع للآية المباركة الأعراف ٥٨ (الآية المعنية بالبحث) حيث نعتَ اللهُ تعالى هؤلاء القوم بأنهم قومٌ ﴿يَشْكُرُونَ﴾ تمييزاً عن غيرهم؛ بأن جعل هذه الصفة ملازمةً لهم و بدلالة الفعل المضارع الذي يشير للاستمرار؛ على خلاف الآخرين حيث جعل إرادتهم الشخصية هي التي تُحدِّد الالتزام بصفة الشكرِ أو عدمها بقوله تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان ٣، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ الفرقان ٦٢.؛ أما هؤلاء القوم فهم لا يكفرون نعمةً من نعمِ اللهِ تعالى أبداً؛ بينما عند غيرهم كُفرانُ النعمة عمداً أو سهواً أو لامبالاةً فهو أمرٌ وارد؛ وهي الصفةُ الغالبة بقوله تعالى عن لسان إبليس عليه لعائنُ اللهِ ﴿ثُمَّ لَا يَنبَغُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ الأعراف ١٧.

والشاكرون وصفهم اللهُ تعالى بأنهم قلة كما في قوله تعالى ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ يونس ٦٠.

مِيزَةُ الشُّكْرِ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

ولا يتصفُ قومٌ من المسلمين بصفة ﴿يَشْكُرُونَ﴾ بصورةٍ مثالية تامة إلا أهلُ البيت ﷺ. والشكرُ عندهم يختلفُ عن الشكرِ عند غيرهم من المسلمين؛ فالمسلمون يشكرون اللهُ تعالى عند وجود النعمة؛ وأل محمدٍ ﷺ يشكروه عند فقدها.

(١) الميزان (الطباطبائي): ج ١١-١٢ ص ١٢٤ أبحاث حول التقوى الديني ودرجاته في فصول، فصل ٤.

فقد ورد [الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه مرَّ يوماً على قوم فرأهم أصحاء جالسين في زاوية المسجد؛ فقال عليه السلام: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال عليه السلام: لا؛ بل أنتم المتأكله؛ فإن كنتم متوكلين فما بلغ بكم توكلكم؟ قالوا: إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا. قال: هكذا تفعل الكلاب عندنا.

قالوا: فما نفعل؟ قال: كما نفعل. قالوا: كيف تفعل؟

قال عليه السلام: إذا وجدنا بذلنا وإذا فقدنا شكرنا. ^(١)

وهذا اختلف آل محمد عليهم السلام عن بقية المسلمين في ظرف ومناسبة الشكر.

كما ورد [وفي تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب عن تفسير وكيع عن عبد خير قال: سألت علي بن أبي طالب عليه السلام عن قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ آل عمران ١٠٢؛ قال: والله ما عمل بها غير بيت رسول الله صلى الله عليه وآله؛ نحن ذكرنا الله فلا ننساه؛ ونحن شكرناه فلن نكفره؛ ونحن أطعناه فلم نعصه. فلما نزلت هذه قالت الصحابة: لانطق ذلك؛ فأنزل الله ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ التغابن ١٦، قال وكيع: ما أطقتم. ^(٢)

وشكرهم المذكور هنا في أتم حالاته المثالية؛ وقد ميزوا عن الخلق أجمعين.

ولأن الله عليهم بسائرهم الطاهرة فقد نعتهم جلَّ علاه بـ ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ في بعض آياته الكريمة كقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ الأنعام ٥٣؛ فصار عظيم شكرهم لله علة لمن الله جلَّ ذكره عليهم.

(١) مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ج ١١ ص ٢٢٠ ب ١١ وجوب التوكل على الله ح ١٢٧٩٨.

(٢) تفسير الميزان (السيد الطباطبائي): ج ٣-٤ ص ٢٨٣ بحث روائي ملحق بتفسير آل عمران ١٠٢.

وقوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران ١٤٤؛ فقد جاء في التفسير:

[إنه لما كان هناك في معركةٍ أُحِدٍ أقليةً استمرت على جهادها رغم الصعوبات، وإنتشار الخبر المفجع عن مقتل الرسول ﷺ، كان من الطبيعي أن ينال صمودهم هذ وثباتهم التقدير اللائق، ولهذا قال سبحانه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾. وبذلك مدح القرآن الكريم استقامتهم وصمودهم، ووصفهم بالشاكرين. لأنهم أحسنوا الاستفادة والإنتفاع بالنعم في سبيل الله، وهذا أفضل مصاديق الشكر... وتأكيداً لهذه الحقيقة قال سبحانه مرة أخرى ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

والجدير بالتأمل أن الفعل في هذه العبارة جاء في الآية السابقة بصيغة الغائب ﴿سَيَجْزِي﴾؛ وجاء هنا في صورة المتكلم ﴿سَنَجْزِي﴾؛ وهذا يفيد غاية التأكيد، للوعد الإلهي بإعطاء الثواب لهم، فهو تدريجٌ من الوعد العادي إلى الوعد المؤكد، فكأن الله يريد أن يقول - وببساطة - أنا ضامنٌ لجزائهم وثوابهم.

ثم إنه جاء في تفسير «مجمع البيان» في ذيل هذه الآية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

إنه أصاب علياً يوم أحدٍ إحدى وستون جراحة، وأن النبي ﷺ أمر أم سليم وأم عطية أن تداوياه، فقالتا إنا لا نعالجُ منه مكاناً إلا انفتق مكان آخر، وقد خفنا عليه، فدخل رسول الله ﷺ والمسلمون يعودونه وهو قرحةٌ واحدةٌ؛ فجعل يمسحُه بيده، ويقول: إن رجلاً لقي هذا في الله فقد أبلى وأعذر. وكان القرحُ الذي يمسحُه رسول الله ﷺ يلبث، وقال علي عليه السلام: الحمد لله إذ لم أفر ولم أول الدبر. فشكر الله له

(١) آل عمران ١٤٥. والآية هي ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.

ذلك في موضعين من القرآن؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾؛ وقوله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾. (١).

وحيث أن الله هو المنعم على أهل البيت عليهم السلام بأن ألهمهم شكره فإن الله جل شأنه أيضاً شاكرٌ لهم على حسنِ فعالهم وسعيهم لبلوغ مرضاته فنالوا أعلى الجنان بقوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ الإنسان ٢٢؛ وهذا إكرامٌ منه تعالى لأهل هذا البيت المبارك عليهم السلام تمييزاً لهم عن بقية خلقه.

وعلى أن أهل البيت عليهم السلام وصلوا أعلى مراتب الشكر لله فإن باقي المؤمنين أتصفوا بالشكر على مراتب متباينة وفقاً لدرجات همهم ومستوى إيمانهم ومنازل تقواهم؛ وكلٌ بقدر توفيقه. فأما صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله المنتجبين المقربين منه وصحابة أهل البيت عليهم السلام المخلصين والمقربين منهم فلهم الحظُّ الأوفر من بين المؤمنين بوفرة الشكر لله جل ذكره؛ وقد مدحهم الامامُ الباقر عليه السلام في حديث له سنذكره في الاستدراك التالي..... وجميعاً لا يرقون في شكرهم الى مرتبة شكر آل محمد عليهم السلام؛ لأنهم عليهم السلام في الدروة بهذه الصفة المباركة.

أما الأثرية المطلقة من الناس تصفهم الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ يونس ٦٠. النمل ٧٣.

وورد تقصيرُ العبادِ في شكر ربهم بصيغة ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ خمس مراتٍ. ونتيجة هذا الفصل (الثامن) نستنتج أن هذه الصفة المباركة ﴿يَشْكُرُونَ﴾ تعود لنفس القوم في الفصول السابقة. واستنتاجاً مما سبق نصل الى أن النصوص الكريمة: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(١) تفسير ﴿الأمثل﴾ للشيخ مكارم الشيرازي: ج ٢ ص ٧٢٠-٧٢٢ (قرص المكتبة الشاملة).

و﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ هُم ذاتُ القوم؛ حيث لا تعددٌ للأقوام. وبالنتيجة فهم آل محمد صلواتُ ربي عليهم أجمعين؛ وهم في الذرى بهذه الصفات الكاملة المحمودة.
إستدراكٌ بإشارةٍ وتعليق:

قد ورد إقترانُ ذكرِ الصَّبْرِ مع الشُّكْرِ بصيغةِ المبالغةِ لكليهما بالشكلِ ﴿صَبَّارٍ شُكُورٍ﴾:

١. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شُكُورٍ﴾ ابراهيم عليه السلام ٥.

٢. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شُكُورٍ﴾ لقمان ٣١.

٣. ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّقْنَا مِنْهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شُكُورٍ﴾ سبأ ١٩.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ. إِنَّ يَسَاءَ لِمُسْكِنِ الرِّيحِ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شُكُورٍ﴾ شورى ٣٢-٣٣.

وجاء في تأويلها أنها تخصُّ شيعة آل محمد عليه السلام:

فقد ورد [... عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شُكُورٍ﴾ قَالَ: صَبَّارٌ عَلَى مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاءٍ؛ صَبُورٌ عَلَى الْأَذَى فِينَا؛ شُكُورٌ لِلَّهِ عَلَى وَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ...] (١).



الفصل التاسع

﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾



﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

ورد هذا النَّصُّ المباركُ في ثلاثِ آياتٍ مباركاتٍ؛ نذكرها حسب تسلسلها:

١. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ﴾ يونس ٦٧.

٢. ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ﴾ النحل ٦٥.

٣. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ﴾ الروم ٢٣.

إشارةٌ إحصائية:

كلمة (سَمِعَ) وردت في المصحف مع مشتقاتها بـ ٤٥ شكلاً ومجموع كلماتها في
المصحف ٧٥ كلمة.

ما المرادُ من يَسْمَعُ؟

حريٌّ بنا أن نعرف ما فرضَ اللهُ تعالى على السَّامِعِ؛ فقد ورد:

[عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ بُرَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو الزُّبَيْرِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْعَالِمُ؛ أَخْبِرْنِي أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا بِهِ. قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: ...

وَفَرَضَ عَلَى السَّمْعِ أَنْ يَنْتَزِعَهُ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ؛ وَأَنْ يُعْرِضَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ؛ وَالْإِضْغَاءَ إِلَى مَا أَسْخَطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ النساء ١٤٠؛ ثُمَّ اسْتَشْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَوْضِعَ النَّسْيَانِ فَقَالَ ﴿وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام ٦٨؛ وَقَالَ ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزمر ١٧-١٨؛ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ المؤمنون ١-٣؛ وَقَالَ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ القصص ٥٥؛ وَقَالَ ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ الفرقان ٧٢. فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى السَّمْعِ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ لَا يُضْغِيَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ؛ وَهُوَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ... [١].

ولكن الذي يهمننا من معاني السمع ليس المتبادر للذهن (إلتقاط الصوت) بل المعنى الأعمق؛ الذي سنبينه لاحقا في جملة من الأحاديث الشريفة وبالتفصيل بمشيئته تعالى.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٣ باب في أن الإيمان مَبْتُوثٌ لِحَوَارِحِ الْبَدَنِ كُلِّهَا ح ١.

إشارات لغوية:

قالوا [بَابُ سَمِعَ: السَّمْعُ: قُوَّةٌ فِي الْأُذُنِ؛ بِهِ يُدْرِكُ الْأَصْوَاتُ، وَفِعْلُهُ يُقَالُ لَهُ السَّمْعُ أَيْضًا، وَقَدْ سَمِعَ سَمْعًا. وَيَعْبُرُ تَارَةً بِالسَّمْعِ عَنِ الْأُذُنِ نَحْوُ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ البقرة ٧،... وتارة عن الفهم... تقول: إسمع ما أقول لك، ولم تسمع ما قلت؛ وتعني لم تفهم...، وقوله ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ النساء ٦٤ أي فهمنا قولك ولم نأتمر لك، وكذلك قوله ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ البقرة ٢٨٥ أي فهمنا وارتسمنا.

وقوله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الأنفال ٢١. يجوز أن يكون معناه: فهمنا وهم لا يفهمون، وأن يكون معناه: فهمنا وهم لا يعملون بموجبه، وإذا لم يعمل بموجبه فهو في حكم من لم يسمع. ثم قال تعالى ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ الأنفال ٢٣. أي أفهمهم بأن جعل لهم قوَّة يفهمون بها، وكل موضع أثبت الله السَّمْعَ للمؤمنين أو نفى عن الكافرين أوحث على تحريه فالتقصُّد به إلى تصوُّر المعنى والتفكير فيه، نحو ﴿أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ﴾ الأعراف ١٩٥.

ونحو ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ البقرة ١٧١، ونحو ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانَهُمْ فَصَّلَتْ ٤٤﴾.

وإذا وصفت الله تعالى بالسَّمْعِ فالمراد به علمه بالمسموعات، وتحريه بالمجازة بها نحو ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ المجادلة ١، ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ آل عمران ١٨١.

قوله ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ النمل ٨٠. أي لا تفهمهم، لكونهم كالموتى في افتقادهم - بسوء فعلهم - القوَّة العاقلة التي هي الحياة المختصة بالإنسانية،... وقوله في صفة الكفار ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ

يَأْتُونَنَا ﴿مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ﴾ ٣٨. معناه أنهم يسمعون ويُبصرون في ذلك اليوم ما خفي عليهم وضلوا عنه اليوم؛ لظلمهم أنفسهم وتركهم النظر... ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ المائدة ٤١-٤٢. أي يسمعون منك لأجل أن يكذبوا. ﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ﴾ المائدة ٤١. أي: يسمعون لمكانهم. وَالإِسْتِمَاعُ: الإصغاء نحو ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ الإسراء ٤٧، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الأنعام ٢٥، محمد ﷺ ١٦، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ يونس ﷺ ٤٢، ﴿وَأَسْتَمِعُ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ ق ٤١. قوله ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ يونس ﷺ ٣١ أي من الموجد لِأَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَالمَتَوَلَّى لحفظها؟ وَالْمِسْمَعُ وَالْمَسْمَعُ: خرقُ الأذن. (١).

وقالوا [باب سَمِعَ: السَّمْعُ حِسُّ الأذن. في التنزيل ﴿أَوَلَقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق ٣٧... معناه خلا له فلم يشتغل بغيره. وقد سَمِعَهُ سَمْعاً وَسَمِعَاً وَسَمَاعاً وَسَمَاعَةً وَسَمَاعِيَةً... السَّمْعُ المصدر، والسَّمْعُ الأسمُ. والسَّمْعُ أيضاً الأذن، والجمع أَسْمَاعٌ... وَسَمِعَهُ الخبر أَسْمَعَهُ إِيَّاهُ. وقوله ﴿وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ النساء ٤٦؛ فسروه: اسْمَعُ لِاسْمِعْتَ. وقوله تعالى ﴿إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ النمل ٨١، الروم ٥٣ أي ما تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِهَا، وأراد بالإسماعِ هاهنا القبولَ والعملَ بما يُسْمِعُ، لأنه إذا لم يُقبل ولم يُعمل فهو بمنزلة من لم يسمع... وتَسَمَّعَ إِلَيْهِ: أَصْغَى، فإذا أَدْغَمْتَ قَلْتَ اسْمَعْ إِلَيْهِ، وقُرِئَ ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الأَعْلَى﴾ الصافات ٨؛ يقال تَسَمَّعْتُ إِلَيْهِ وَسَمِعْتُ إِلَيْهِ وَسَمِعْتُ لَهُ؛ كله بمعنى لأنه تعالى قال ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ فصلت ٢٦... وَالْمَسْمَعُ الأذن، وقيل: الْمَسْمَعُ خَرَقُهَا الذي يُسْمَعُ بِهِ؛ وَمَدْخُلُ الكلامِ فِيهَا. يقال فلانٌ عَظِيمُ الْمَسْمَعَيْنِ وَالسَّمَاعَتَيْنِ.

والسَامِعَةُ: الأذن... مَسَامِعُهُ هي جمعُ مَسْمَعٍ؛ وهو آلةُ السَّمْعِ؛... وقالوا: هو مني

مَرَأَى وَمَسْمَعٌ... وقالوا أَخَذْتُ ذَلِكَ عَنْهُ سَمَاعاً وَسَمْعاً... وَتَسَامَعَ بِهِ النَّاسُ.

وقولُهُمْ سَمَعَكَ إِلَيَّ: أَيِ اسْمَعُ مِنِّي، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ سَمَاعٍ: أَيِ اسْمَعُ؛ مِثْلَ دَرَاكٍ وَمَنَاعٍ بِمَعْنَى أَدْرِكُ وَأَمْنَعُ... وَقَدْ تَأْتِي سَمِعْتُ بِمَعْنَى أَجَبْتُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ: أَيِ أَجَابَ حَمْدَهُ وَتَقَبَّلَهُ. يُقَالُ اسْمَعُ دُعَائِي: أَيِ أَجِبْ؛ لِأَنَّ غَرَضَ السَّائِلِ الْإِجَابَةَ وَالْقَبُولَ؛ وَعَلَيْهِ مَا أَنْشَدَهُ أَبُو زَيْدٍ:

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خَفْتُ أَنْ لَا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

ومنه الحديث (اللهم إني أعوذ بك من دعاءٍ لا يُسمعُ) أي لا يُستجاب ولا يُعتدُّ به؛ فكأنه غير مسموع؛ وفي حديث عمرو بن عبسَةَ قال له: أَيُّ السَّاعَاتِ أَسْمَعُ؟ قال: جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرُ؛ أَيِ أَوْفُقَ لاسْتِمَاعِ الدُّعَاءِ فِيهِ وَأَوْلَى بِالاسْتِجَابَةِ؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ الضَّحَّاكِ: لَمَّا عُرِضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ قَالَ: فَسَمِعْتُ مِنْهُ كَلَاماً لَمْ أَسْمَعْ قَطُّ قَوْلًا أَسْمَعُ مِنْهُ؛ يَرِيدُ أَنْ بَلِّغَ وَأَنْجَعُ فِي الْقَلْبِ. وَقَالُوا: سَمِعاً وَطَاعَةً، فَنَصَبُوهُ عَلَى إِضْمَارِ الْفِعْلِ... وَالسَّمِيعُ مِنْ صِفَاتِهِ عَزْوَجَلْ وَأَسْمَاءُهُ؛ لَا يَعْزُبُ عَنْ إِدْرَاكِهِ مَسْمُوعٌ وَإِنْ خَفِيَ، فَهُوَ يَسْمَعُ بِغَيْرِ جَارِحَةٍ. وَفَعِيلٌ مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ. وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ النِّسَاءُ ١٣٤، وَهُوَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ... ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَأَنْسَمِعَ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى﴾ الزَّخْرَفُ ٨٠؛ وَالسَّمِيعُ بِمَعْنَى السَّامِعِ مِثْلَ عَلِيمٍ وَعَالِمٍ وَقَدِيرٍ وَقَادِرٍ... وَالسَّمْعُ: مَا وَقَرَ فِي الْأُذُنِ مِنْ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ. وَيُقَالُ سَاءَ سَمْعاً فَسَاءَ إِجَابَةً أَيِ: لَمْ يَسْمَعْ حَسَنًا. وَرَجُلٌ سَمَاعٌ إِذَا كَانَ كَثِيرُ الْإِسْتِمَاعِ لِمَا يُقَالُ وَيُنْطَقُ بِهِ.

قال اللَّهُ عَزْوَجَلْ ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ المائدة ٤١، المائدة ٤٢ فُسر على وجهين: أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ لِكَيْ يَكْذِبُوا فِيمَا سَمِعُوا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ الْكَذِبَ لِشَيْعُوهُ فِي النَّاسِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ. وَقَوْلُهُ عَزْوَجَلْ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ البقرة ٧، فَمَعْنَى (خَتَمَ) طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِكَفْرِهِمْ؛ وَهُمْ كَانُوا

يسمعون ويبصرون؛ ولكنهم لم يستعملوا هذه الحواسَّ استعمالاً يُجدي عليهم؛ فصاروا كمن لم يسمع ولم يبصر ولم يعقل... وتقول فعله رياءً وسمعةً؛ أي ليراه الناس ويسمعوا به. وما فعلت ذلك رياءً ولا سمعةً ولا سمعةً.

وسمع له: أطاعه. وفي الخبر: أن عبد الملك بن مروان خطب يوماً فقال: وليكم عمر بن الخطاب؛ وكان فظاً غليظاً مُصَيِّقاً عليكم فسمعتم له. [١]. أي أطمعتموه.

وقالوا [باب سمع: قوله تعالى ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ المائدة ٤١-٤٢؛ أي قائلون للكذب، كما يقال لا نسمع من فلان أي لا نقبل منه، وجائز يسمعون منك ليكذبوا عليك... ﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ المائدة ٤١؛ أي هم عيون لأولئك الغيب. قوله ﴿سَمَاعُونَ هُمْ﴾ التوبة ٤٧؛ مطيعون، ويُقال أي يتجسسون الأخبار لهم.

قوله ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ﴾ مريم ٣٨؛ أي ما أسمعهم وأبصرهم.

قوله ﴿غَيْرِ مُسْمِعٍ﴾ النساء ٤٦ أي غير مجاب إلى ما تدعو إليه.

وقوله ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ النمل ٨٠، ﴿فَأِنَّكَ لَا تَسْمِعُ...﴾ الروم ٥٢؛ أي لا تقدر أن توفق الكفار لقبول الحق.

قوله ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ الأنعام ٣٦ أي يصغون إليك إصغاء الطاعة... [٢].

كما تفيد الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ النور ٥١...
فقد ورد [وَعَنَهُ (الباقرات)] في قوله ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ النور ٥١ أَنَّ

(١) لسان العرب: ج ٨ ص ١٦٢.

(٢) مجمع البحرين: ج ٤ ص ٣٤٦.

الْمَعْنِيَّ بِالْآيَةِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام. [١]، أي هو المعنيُّ بـ ﴿يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾. وجاء في التفسير [قوله تعالى ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾ البقرة ٧ تبصّرُها الملائكةُ فيعرفونهم بها، وَيُبصّرُها رسولُ الله مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، وَيُبصّرُها خيرُ خلقِ الله بعده عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام]. [٢].

إشارات تفسيرية:

ورد [وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ النحل ٦٥ المراد بالسمع قبول ما من شأنه أن يقبل من القول؛ فإن العاقل الطالب للحق إذا سمع ما يتوقع فيه الحق أصغى واستمع إليه ليعيه ويحفظه، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزمر ١٨.

فإذا ذُكر من فيه قريحة قبول الحق حديث إنزال الله المطر وإحيائه الأرض بعد موتها كان له في ذلك آية للبعث وأن الذي أحيها لمحيي الموتى. [٣].

[وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفْلا يَسْمَعُونَ﴾ السجدة ٢٦؛ المراد بالسمع سمع المواعظ المؤدي إلى طاعة الحق وقبوله. [٤].

وقوله تعالى ﴿بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ فصلت ٤... والمراد بالسمع المنفي سمع القبول؛ كما يدل عليه قرينة الإعراض. [٥].

(١) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام (لابن شهر آشوب): ج ٢ ص ١٠.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص ١١١.

(٣) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١١-١٢ ص ٤٩٧ عند تفسير سورة النحل ٦٥.

(٤) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٥-١٦ ص ٤٨٥ عند تفسير سورة السجدة ٢٦.

(٥) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٧-١٨ ص ٢٦٣ عند تفسير سورة فصلت ٤.

و[المرادُ بالسمع في قوله ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ آل عمران ١٨١ استجابةُ الدعوة وقضاءُ الحاجةِ من بابِ الكناية وهو شائعٌ؛ والدليلُ عليه قوله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة ١؛ الظاهرُ في أنها كانت تتوخى طريقاً إلى أن لا تنفصل عن زوجها، وأما قوله ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ المجادلة ١ فالسمعُ فيه بمعناه المعروف . والمعنى: قد استجاب اللهُ للمرأة التي تجادلُك في زوجها وقد ظاهرَ منها وتشتكي غمَّها وما حلَّ بها من سوءِ الحالِ إلى اللهُ؛ واللَّهُ يسمعُ تراجُعكما في الكلام؛ أن اللهُ سميعٌ للأصوات بصيرٌ بالمُبصرات. [١].

وورد [قوله ﴿وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ﴾ توضيحٌ وتأكيُدٌ لقوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ تغابن ١٦؛ والسمعُ الاستجابةُ والقبولُ؛ وهو في مقام الالتزامِ القلبي، والطاعةُ الانقيادُ؛ وهو في مقام العمل، والإنفاقُ المرادُ به بذلُ المالِ في سبيلِ اللهِ. [٢].

وورد بخصوص الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة ١٠٤.

[وَقَالَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام: وَكَانَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ ﴿رَاعِنَا﴾ مِنْ أَلْفَاظِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يُحَاطَبُونَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُونَ ﴿رَاعِنَا﴾ أَيِ ارْعَ أَحْوَالَنَا، وَاسْمَعْ مِنَّا كَمَا نَسْمَعُ مِنْكَ، وَكَانَ فِي لُغَةِ الْيَهُودِ مَعْنَاهَا: اسْمَعْ؛ لَأَسْمِعْتَ. [٣].

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٩-٢٠ ص ١٤٠ عند تفسير سورة المجادلة ١.

(٢) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٩-٢٠ ص ٢٤٥ عند تفسير سورة التغابن ١٦.

(٣) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص ٤٧٨.

وبخصوص الآية الكريمة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾ المائدة ١٠٨ فقد ورد:

[... عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾. قَالُوا: لِمَنِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ بَعْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِأَخِي وَابْنِ عَمِّي وَوَصِيِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: فَعَصَوْهُ وَاللَّهِ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِ السُّيُوفَ. (١)]

من الآيات الآمرة بالسمع والطاعة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾
التغابن ١٦.

وفي وصف قريش ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ الأنعام ٢٥؛ فهي تعبر عما هم عليه.

كما ورد [وأما الاستماع - لا بقصد الفهم والقبول - فقد ذمَّ المستمعين كذلك في قوله ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الأنبياء ٢؛ أى لم يستمعوه استماع نظرٍ وتدبيرٍ وقبولٍ وتفكيرٍ؛ وإنما استمعوه استماع لعبٍ واستهزاء.

وفي قوله ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾
يونس ٤٢ أى من جملة هؤلاء الكفار من يطلبون السمع إلى كلامك للرد والتعنت
لاللفهم والقبول، فلما كان استماعهم على هذا الوجه كانوا كأصم لا يستمعوه؛
حيث لم ينتفعوا به فاستحقوا الطعن والتعريض من الله عز وجل بذلك (٢).

(١) الأمالي للطوسي: ص ٥٨ ح ٨٣ - ٥٢.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ج ١٤ ص ٢٥٤.

وجاء في تفسير الآية الكريمة ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الأعراف ١٠٠؛ ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ مستأنف؛ يعني ونحن نطبع على قلوبهم ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تفهمٍ واعتبار. (١).

كما ورد ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الأعراف ١٠٠ فربطَ عدمَ السماعِ والطبعَ بالذنوبِ كما ربطَ السماعَ بالتقوى حيث قال ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾ المائدة ١٠٨. (٢).

ومن الآيات المعنية بهذا البحث: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبَعْتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ الأنفال ٢٠-٢٣، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ يونس ٤٢، ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ هود ٢٠، ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون﴾ النحل ١٠٨، ﴿نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى﴾ الإسراء ٤٧، ﴿الذين كانت أعينهم في غطاءٍ عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ الكهف ١٠١، ﴿قل إنما أُنذركم بالوحي ولا يسمع الصمُّ الدعاء إذا ما يندرون﴾ الأنبياء ٤٥، ﴿لهم فيها زفيرٌ وهم فيها لا يسمعون﴾ الأنبياء ١٠٠، ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور﴾ الحج ٤٦.

﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت): ج ٦٧ ص ٣٣٤ باب ٥٩ تفسير.

(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت): ج ٧٠ ص ٣٢٨ باب ١٣٧ تفسير.

في القُبُورِ ﴿فاطر ٢٢﴾. وقد ورد بشأنها:

[﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أَي يُنْفَعُ بِالْإِسْمَاعِ مِنْ يَشَاءَ، يُلَطِّفُ لَهُ وَيُوقِّفُهُ.

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ أَي إِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تَنْفَعِ الْكَفَّارَ بِإِسْمَاعِكَ إِيَّاهُمْ إِذْ لَمْ يَقْبَلُوا؛ كَمَا لَا تُسْمِعُ مَنْ فِي الْقُبُورِ مِنَ الْأَمْوَاتِ. (١).

نعم كما تُوَشِّرُهُ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ الروم ٥٣، النمل ٨١، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ الجاثية ٢٣.

أما قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ محمد ﷺ ١٦ فقد ورد بشأنها:

[حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَمَاعَةَ عَنْ وَهْبِ بْنِ حَفْصٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام؛ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو أَصْحَابَهُ؛ فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا سَمِعَ وَعَرَفَ مَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ؛ وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ شَرًّا طَبَعَ عَلَى قَلْبِهِ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَعْقِلُ؛ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾. (٢).

﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ فصلت ٣ - ٤؛ [أَي سَمَاعٌ تَأْمَلٌ وَطَاعَةٌ. (٣)].

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسي: ج ٨ ص ٢١٠.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٠٣.

(٣) تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب: ج ١١ ص ٤٢٦.

وبقية الآيات ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾
 فصلت ٢٦، ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾ الجن ١٣، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا
 وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأحقاف ٢٦،
 [﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ يس ٢٥ أي فاسمعوا قولي واقبلوه. (١)]، ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا
 وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ السجدة ١٢، ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ
 قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ السجدة
 ٢٦، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ القصص ٧١، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ
 الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الزمر ١٧ - ١٨.

الآيات النازرة الى الصَّمَمِ (نقيض السَّمْع):

﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يُرْجِعُونَ﴾ البقرة ١٨، ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾
 البقرة ١٧١ ﴿وَخَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ
 صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ المائدة ٧١. وقد ورد بشأنها:

[... عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ الْقُمِّيِّ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ
 عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَخَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؛ قَالَ: حَيْثُ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ؛ فَعَمُوا وَ
 صَمُّوا حَيْثُ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؛ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَيْثُ قَامَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام؛
 قَالَ: ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا إِلَى السَّاعَةِ. (٢)].

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبَكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الأنعام ٣٩؛ فقد ورد بشأنها:

[حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ عِيَّاشٍ
 عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت): ج ١٤ ص ٢٤٣ ب ١٨ تفسير.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ١٩٩ - ٢٠٠ ح ٢٣٩ تفسير.

وَبُكْمٍ ﴿يَقُولُ صُمٌّ﴾ عَنِ الْهُدَى؛ وَ﴿بُكْمٌ﴾ لَا يَتَكَلَّمُونَ بِخَيْرٍ، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ يَعْنِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ^(١).

وبقية الآيات ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الأنفال ٢٢، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ يونس ٤٢، ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هود ٢٤، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ الإسراء ٩٧، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ الأنبياء ٤٥،

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ الفرقان ٧٣.

أما الآية ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ النمل ٨٠^(٢) فقد ورد بشأنها [ثم شبه الكفار بالموتى؛ فقال ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾؛ يقول كما لا تسمع الميت الذي ليس له آلة السمع النداء؛ كذلك لا تسمع الكافر النداء؛ لأنه لا يسمع ولا يقبل الموعظة ولا يتدبر فيها؛ ﴿وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ إنما قال ذلك لأن الأصم إذا كان قريباً فالإنسان يطعم في إسماعه؛ فإذا أعرض وأدبر وتباعد انقطع الطمع في إسماعه؛ فجعل سبحانه المصمم على الجهل كالميت في أنه لا يقبل الهدى؛ وكالأصم في أنه لا يسمع الدعاء.]^(٣).

وبقية الآيات ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الزخرف ٤٠، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ سورة محمد ﷺ ٢٣.

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ١٩٨.

(٢) وفي الروم ٥٢ ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى...﴾.

(٣) تفسير مجمع البيان للطبرسي: ج ٧ ص ٣٦٤.

قالوا في ال﴿وَقُرْ﴾:

[الْوَقْرُ فِي الْأَذَانِ وَهُوَ ثِقَالَةٌ عَارِضَةٌ تَحْمِلُ عَلَى الْأَذْنِ وَتَمْنَعُهَا عَنِ سَمَاعِ الْحَقِّ وَ الصَّوَابِ، وَهَذَا الْوَقْرُ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي أَثَرِ انْكَدَارِ الْقَلْبِ وَمَحْجُوبِيَّتِهِ وَكَوْنِهِ فِي كِنَانٍ] (١).

أما الآية ﴿جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ (٢) فقد فسرت:

[﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: يَمْنَعُ مِنْ اسْتِمَاعِهِ. كِنَايَةٌ عَنْ نَبْوٍ (٣) قُلُوبِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ عَنِ الْقَبُولِ. (٤). وَبَقِيَةِ الْآيَاتِ ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ لقمان ٧، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ فصلت ٥، ﴿هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فصلت ٤٤.

ومعلومٌ أنَّ الأذنَ بابٌ من أبوابِ القلبِ؛ والسمعُ مفتاحٌ للوعْيِ والإدراكِ والفهمِ؛ لقوله تعالى ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَإِعْيَةٌ﴾ الحاقة ١٢.

وأجلُّ مهامِّ الأذنِ للمؤمنين هو إستماعُ الهدى ثم الإقرارُ بالإيمانِ لقوله تعالى:

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ﴾ الجن ١٣.

وفي قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزمر ١٨. فقد ورد:

[أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ قَالَ

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ١٣ ص ١٧٨.

(٢) الأنعام ٢٥، الإسراء ٤٦، الكهف ٥٧.

(٣) نبا السيف: كلٌّ ورجع من غير قطع.

(٤) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج ٤ ص ٣٠٩.

لِي أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام: يَا هِشَامُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَشَّرَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾. [١].

كذلك ورد [عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قَالَ: هُوَ الرَّجُلُ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ فَيَحَدِّثُ بِهِ كَمَا سَمِعَهُ؛ لَا يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ. [٢].

والآيات الكريمة التالية ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ. فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة ٨٣-٨٥. نزلت بشأن إسلام النجاشي حاكم الحبشة بعد حوارات مع المهاجرين الذين أرسلوا إلى الحبشة يرأسهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

وأما غير المؤمنين فالقرآن الكريم يشير إليهم بقوله تعالى ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا...﴾ الأعراف ١٩٨.

ومنهم من يسمع فيعقل وبعلم ثم يحرفه؛ كقوله تعالى ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة ٧٥،
ومنهم من عوقب ﴿وَوَطَّبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الأعراف ١٠٠؛ وذلك لعظيم جرمهم وخبث سيرتهم.

(١) الكافي (ط - الإسلامية): ج ١ ص ١٣ باب كتاب العقل والجهل ح ١٢.

(٢) الكافي (ط الإسلامية): ج ١ ص ٥١ بَابُ رِوَايَةِ الْكُتُبِ وَالْحَدِيثِ وَفَضْلِ الْكِتَابَةِ ح ١.

وَلِلَّهِ جَلٌّ ذِكْرُهُ الْمَشِيئَةُ فِي عِبَادِهِ فِيمَا يَهْبُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ﴿٢٢﴾ فاطر ٢٢ .
ومعلومٌ أن السمعَ ركيزةٌ أساسيةٌ من الركائزِ الثلاثِ لآيةِ هيكليةِ علميةٍ؛ وهي قوائمُ المنهاجِ الفكري البشري؛ وذلك لقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء ٣٦ .

وبها يرتقي الإنسانُ بإنسانيته؛ لتمييزِ عن البهيمية .
والسمعُ من نعمِ الله تعالى؛ قوله ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل ٧٨، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ الإنسان ٢، بينما حُرِّمَ أناسٌ من هذه النعمةِ لقوله تعالى ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ هود ٢٠ .

وقد أمر الله المؤمنينَ بالطاعةِ حالَ السمعِ فوراً؛ لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ الأنفال ٢٠، بينما زجرَ آخرينَ بقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الأنفال ٢١ .

ولنتبه الى الغرضِ الأسمى للسمعِ في القرآنِ أنه ليس المقصودُ به إستقبالُ ما يَرِدُ الأذنَ من أمواجٍ صوتيةٍ فقط؛ بل هو إستعدادُ المؤمنِ للإستجابةِ -روحاً وعقلاً وبدناً - لأن يباشِرَ بما أمرَ به من قِبَلِ الله تعالى ورسوله ﷺ فوراً بلا فاصلةٍ - تَرِيثٍ أو تأمُّلٍ - وهذه الفوريةُ يعبرُ عنها في الآيةِ الكريمةِ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ الأنعام ٣٦ .

ومن علاماتِ المؤمنينَ المباشرةُ بالطاعةِ بعد السَّماعِ؛ لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ النور ٥١؛ ويشهدون بألستهم ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ البقرة ٢٨٥؛ وهم المؤمنون بآياتِ الله؛ كما خاطبَ الجليلُ رسوله

الأكرم ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ النمل ٨١، الروم ٥٣.

عودٌ على بدء:

إِنَّ صِفَةَ السَّمْعِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَهُؤْلَاءِ الْقَوْمِ؛ فَلَا يَفُوتُهُمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ - دَقٌّ أَوْ عَظْمٌ - فَكُلُّهُ سِوَاءٌ لَدَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَّا الْحَقَّ الْمَحْضَ؛ لِذَا فَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْامِرَ اللَّهِ جَلَّ عُلَاهُ وَرَسُولِهِ ﷺ ثُمَّ الطَّاعَةَ مَبَاشَرَةً وَبَلَا تَرِيثٍ؛ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ حَصْرًا.

فنحن نعلم أن السمع والطاعة (عند المؤمن) توأمان لا يفترقان البتة، فأهل البيت ﷺ سمعوا كل ما نزل من السماء الى الأرض فيما يتعلق بشرائع الله تعالى كاملة؛ وأطاعوا الله جلَّ عُلَاهُ وَرَسُولَهُ ﷺ ولم يعصوه طرفة عينٍ أبدًا؛ فهم الموصوفون في الثلاث آيات الأولى في مقدمة الفصل؛ والقرآن الكريم بآياته المباركات ناطقٌ بذلك؛ والسيرة النبوية المباركة والأحاديث الشريفة أبانت ذلك بينما سواهم من المؤمنين أي أولوا الألباب وهم شيعة آل محمد ﷺ فهم يسمعون ويطيعون بدرجات متباينة باختلاف درجات الإيمان والتقى... وتوفيق الله.

وقد احتفظ لنا التاريخ بصفحات بيضاء ناصعة لخواص الرسول الأكرم وخواص أهل بيته الطاهرين ﷺ ممن يحملون صفة السمع والطاعة بدرجات عالية يُغبطون عليها؛ وقد أشرنا لهم في الفصل الأول؛ أما باقي الناس فيصنفهم الله تعالى بقوله ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الفرقان ٤٤؛ وهذا باعترافهم يوم القيامة لقوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ المملك ١٠، فقد ورد في تفسيرها:

[وَقَوْلُهُ ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ قَالَ: قَدْ سَمِعُوا

وَعَقَلُوا وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُطِيعُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا وَالذَّلِيلَ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ سَمِعُوا وَعَقَلُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا
قَوْلُهُ ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [١]. [٢].

وقد يَسْمَعُ أَحَدُهُمْ وَلَكِنْ يُصِرُّ عَلَى الْخَطَا إِسْتِكْبَارًا مِنْهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَسْمَعُ
آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية ٨؛
أول قوله تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ وَقْرًا
فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لقمان ٧.

أمير المؤمنين عليه السلام يصف البصير:

قال أمير المؤمنين عليه السلام عند وصفه للبصير [فَلْيَتَنَفَّحْ أَمْرًا وَبِنَفْسِهِ؛ فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ
سَمِعَ فَتَفَكَّرَ وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَانْتَفَعَ بِالْعَيْرِ؛ ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَاضِحًا؛ يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ
فِي الْمَهَاوِي وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي؛ وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ بِتَعَسُفٍ فِي حَقِّ أَوْ
تَحْرِيفٍ فِي نَطْقٍ أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ] [٣]. فاشترط للبصير أن يسمع أولاً ليتفكر مباشرة.

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام [...] أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ، أَلَا إِنَّ
أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكَيرَ وَقَبْلَهُ] [٤].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام سمياً بصيراً^(٥) واعياً مطيعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقد ورد:
[قَالَ (فِرَاتٌ) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ:
لَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ ﴿وَعَيَّهَا أُذُنٌ وَأَعْيَتْهُ﴾ الْحَاقَّةُ ١٢، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا
أُذُنَكَ يَا عَلِيُّ. [٦].

(١) الملك ١١.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٧٨.

(٣) نهج البلاغة (صبحي الصالح): ٢١٣ - ٢١٤.

(٤) نهج البلاغة (للصبحي صالح): ص ١٥٢.

(٥) ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا﴾ هود ٢٤.

(٦) تفسير فترات الكوفي: ص ٥٠٠ ح ٦٥٥.

ورود [... عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾؛ قَالَ: وَعَتُّ أُذُنٌ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ. ^(١) وكان عليه السلام أول من استجاب. ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ الأنعام ٣٦. يَعْنِي يَعْقِلُونَ وَيُصَدِّقُونَ. ^(٢).

وكما بينا أن السمع الهادف مشروط بالطاعة، وأهل البيت عليهم السلام بينوا بجلالهم أنهم سمعوا فأطاعوا، فلم يعصوا الله طرفة عين أبداً.

فقد ورد [تفسير وكيع حدثنا سفيان بن مرة الهمداني عن عبد خير قال: سألت علي بن أبي طالب عليه السلام عن قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ آل عمران ١٠٢؛ قَالَ: وَاللَّهِ مَا عَمِلَ بِهَذَا غَيْرَ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ؛ نَحْنُ ذَكَرْنَا اللَّهَ فَلَا نَسَاهُ؛ وَنَحْنُ شَكَرْنَاهُ فَلَا نَكْفُرُهُ؛ وَنَحْنُ أَطَعْنَاهُ فَلَا نَعْصِيهِ. فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَتِ الصَّحَابَةُ: لَا نَطِيقُ ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن ١٦، قَالَ وَكَيْعٌ: يَعْنِي مَا أَطَقْتُمْ، ثُمَّ قَالَ ﴿وَاسْمَعُوا﴾ مَا تُمْرُونَ بِهِ ﴿وَأَطِيعُوا﴾ يَعْنِي أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ فِيمَا يُأْمُرُوكُمْ بِهِ... ^(٣).

فقوله عليه السلام (وَنَحْنُ أَطَعْنَاهُ فَلَا نَعْصِيهِ) تعني سمعنا فأطعنا بلا فاصلة فلم نعصه. وهذه الملكة عند أمير المؤمنين عليه السلام متوافرة في ذريته الأتطهار عليهم السلام؛ وهم المعنيون بـ ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

ونتيجة هذا الفصل (التاسع) نستنتج أن هذه الصفة المباركة ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ تعود لنفس القوم في المباحث السابقة، واستنتاجاً مما سبق نصل إلى أن النصوص

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم: ج ١ ص ١٧٥ ب ١٨ ح ٤٨.

(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت): ج ٩ ص ٢٠٣ فقرة ٦٦٦.

(٣) بحار الأنوار (ط - بيروت): ج ٣٨ ص ٦٣ ب ٥٩ طهارته عليه السلام وعصمته فقرة ١.

الكريمة: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾
و﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ و﴿لِقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ﴾ هُم ذاتُ القوم؛ حيث لا تعدُّ للأقوام.

وبالنتيجة فهم آل محمد صلواتُ ربي عليهم أجمعين؛ وهم في الذرى بهذه الصفاتِ
الكاملة المحمودة...





الفصل العاشر

﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾



﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾

ذُكِّرَ هَذَا النَّصُّ الشَّرِيفَ مَرَّتَانِ. قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام ١٢٦].

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل ١٣].

إِشَارَاتٌ لُغَوِيَّةٌ:

[باب (ذَكَرَ)... الذُّكْرُ الحِفْظُ لِلشَّيْءِ تَذَكُّرُهُ، وَالدُّكْرُ الشَّيْءُ يُجْرِي عَلَى اللِّسَانِ ، وَالدُّكْرُ لَعْنَةٌ فِي الدُّكْرِ ، ذَكَرَهُ يَذَّكُرُهُ ذِكْرًا، ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ البقرة ٦٣، الأعراف ١٧١. معناه أذْرُسُوا مَا فِيهِ، وَتَذَكَّرَهُ وَأَذْكُرُهُ وَأَذْكُرُهُ. وَاسْتَذَكَّرَهُ: كَأَذْكُرُهُ، وَأَذْكُرُهُ إِيَّاهُ: ذَكَرَهُ، وَالِاسْمُ الذُّكْرَى ، الذُّكْرَى بِمَعْنَى الدُّكْرِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّدَكُّرِ؛ ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات ٥٥]، وَالدُّكْرُ وَالدُّكْرَى - بِالْكَسْرِ - نَقِيضُ النِّسْيَانِ، ذَكَرْتُهُ ذِكْرًا؛ وَيُقَالُ: اجْعَلْهُ مِنْكَ عَلَى ذُكْرٍ وَذِكْرٍ بِمَعْنَى؛ وَمَا زَالَ ذَلِكَ مِنْي عَلَى ذُكْرٍ وَذِكْرٍ، وَالضَّمُّ أَعْلَى أَيِ تَذَكَّرَ. وَالدُّكْرُ مَا ذَكَرْتَهُ بِلِسَانِكَ وَأَظْهَرْتَهُ. وَالدُّكْرُ بِالْقَلْبِ. مَا زَالَ مِنْي عَلَى ذُكْرٍ أَيِ لَمْ أَنْسَهُ. وَاسْتَذَكَّرَ الرَّجُلَ: رَبَطَ فِي أُصْبَعِهِ خَيْطًا لِيَذْكُرَ بِهِ حَاجَتَهُ، وَالتَّدَكُّرُ: مَا تُسْتَذَكَّرُ بِهِ الْحَاجَةُ، وَاسْتَذَكَّرَ الشَّيْءَ: دَرَسَهُ لِلذُّكْرِ،

والاستذكار: الدَّرَاسَةُ للحفظ، والتَّذْكَرُ: تذكُّر ما أنسىته، وذَكَرْتُ الشيء بعد النسيان، وذَكَرْتُهُ بلساني وبقلي، وتَذَكَّرْتُهُ وَاذْكَرْتُهُ غيري وذَكَرْتُهُ بمعنى. ﴿وَأَذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ يوسف عليه السلام ٤٥. أي ذَكَرَ بعد نسيان، وأصله اذْتَكَّرَ فأدغم.

والتذكير: خلاف التأنيث، والذَّكَرُ خلاف الأُنثى .

ورجلٌ ذَكِيرٌ: جَيِّدُ الذِّكْرِ والحِفْظِ. والذَّكَرُ: الشرف. ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الزخرف ٤٤. أي القرآن شرفٌ لك ولهم. ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ الشرح ٤. أي شرفك؛ وقيل: معناه إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي. والذَّكَرُ: الكتابُ الذي فيه تفصيل الدين ووضْعُ المِلَلِ، وكُلُّ كتابٍ من الأنبياء عليهم السلام ذَكَر. الذَّكَرُ: الصلاةُ لله والدعاءُ إليه والثناءُ عليه. وفي الحديث: كانت الأنبياء عليهم السلام إذا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ فَرَعُوا إِلَى الذِّكْرِ... أي إلى الصلاة يقومون فيصَلُّون، والذَّكَرَى: إِسْمٌ لِلتَّذْكَرَةِ... الذَّكَرُ الصلاةُ؛ والذَّكَرُ قِراءَةُ القرآن؛ والذَّكَرُ التَّسْبِيحُ؛ والذَّكَرُ الدَّعَاءُ؛ والذَّكَرُ الشُّكْرُ؛ والذَّكَرُ الطَّاعَةُ. في حديث عليٍّ أَن عَلِيًّا يَذْكَرُ فَاطِمَةَ. أي يخطبها، وقيل يَتَعَرَّضُ لخطبتها. والذَّكَرُ الشُّرْفُ والفخرُ وفي صفة القرآن ﴿الذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ آل عمران ٥٣. أي الشَّرْفِ الْمُحْكَمِ العاري من الاختلاف [١].

كما قيل [باب ذَكَرَ: الذَّكَرُ الحِفْظُ للشيء تذكُّره، وهو مِنِّي على ذِكْرٍ، والذَّكَرُ: جريُّ الشيء على لسانك، تقول: جرى منه ذِكْرٌ، والتَّذْكَرُ: طلبُ ما قد فات.] [٢].

وقالوا [باب ذَكَرَ: الذَّكَرُ: تارة يُقالُ؛ ويرادُ به هيئةٌ للنفسِ بها يُمكنُ للإنسانِ أن

(١) لسان العرب: ج ٤ ص ٣٠٨.

(٢) كتاب العين: ج ٥ ص ٣٤٦.

يحفظ ما يقنتيه من المعرفة؛ وهو كالحفظ؛ إلا أن الحفظ يُقال اعتباراً بإحرازه، والذِّكْرُ يُقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يُقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذِّكْرُ ذِكران: ذِكرٌ بالقلب و ذِكرٌ باللسان. وكلُّ واحدٍ منهما ضربان: ذِكرٌ عن نسيان و ذِكرٌ لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ. وكلُّ قولٍ يُقال له ذِكرٌ، فمن الذِّكْرِ باللسان قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ الأنبياء ١٠.

وقوله تعالى ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الأنبياء ٥٠، وقوله ﴿هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي﴾ الأنبياء ٢٤، وقوله ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾ ص ٨، أي القرآن، وقوله تعالى ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ص ١، وقوله ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ﴾ الزخرف ٤٤، أي شرفٌ لك ولقومك، وقوله ﴿فَسئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ النحل ٤٣؛ الأنبياء ٧ أي الكتب المتقدمة^(١). وقوله ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا. رَسُولًا﴾ الطلاق ١٠-١١، فقد قيل: الذِّكْرُ هاهنا وصفٌ للنبي ﷺ^(٢)، كما أن الكلمة وصفٌ لعيسى عليه السلام من حيث إنه بُشِّر به في الكتب المتقدمة، فيكون قوله: ﴿رَسُولًا﴾ بدلاً منه. وقيل ﴿رَسُولًا﴾ مُنتصب بقوله ﴿ذِكْرًا﴾^(٣)؛ كأنه قال: قد أنزلنا إليكم كتاباً ذكراً رسولاً يتلو، نحو قوله ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيمًا﴾ البلد ١٤-١٥، ف ﴿يَتِيمًا﴾ نُصبٌ بقوله ﴿إِطْعَامٌ﴾. ومن الذِّكْرِ عن النسيان قوله ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ الكهف ٧٣. ومن الذِّكْرِ بالقلب واللسان معاً قوله تعالى ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ البقرة ٢٠٠، وقوله ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ البقرة ١٩٨، وقوله ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي

(١) وعلى مذهب أهل الحق هم آل محمد ﷺ؛ وليس علماء أهل الكتاب كما سنييه لاحقاً.

(٢) وهذا قول ابن عباس، أخرجه عنه ابن مردويه. انظر: الدر المنثور ٨ / ٢٠٩.

(٣) انظر: الأقوال في انتصاب (ذكرا) في (إعراب القرآن) للعكبري ٢ / ٢٢٨.

الرَّبُّورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴿الأنبياء ١٠٥﴾ أي من بعد الكتاب المتقدم. وقوله ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ الدهر ١ أي لم يكن شيئاً موجوداً بذاته، وإن كان موجوداً في علم الله تعالى. وقوله ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ مريم ٦٧، أي أولاً يذكُرُ الجاحدُ للبعثِ أوَّلَ خَلْقِهِ، فيستدلُّ بذلك على إعادته، ... وقوله ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ العنكبوت ٤٥، أي ذكُرُ اللَّهِ لِعَبْدِهِ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِ الْعَبْدِ لَهُ؛ وذلك حثٌّ على الإكثار من ذكره. والذِّكْرَى: كثرةُ الذِّكْرِ؛ وهو أبلغُ من الذِّكْرِ، قال تعالى ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِرَأْسِ الْأَلْبَابِ﴾ ص ٤٣، ﴿وَذَكَّرْنَا فِي الذِّكْرِ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذاريات ٥٥، في آي كثيرة.

والتَّذْكِرَةُ ما يُتَذَكَّرُ به الشيء، وهو أعمُّ من الدلالة والأمانة، قال تعالى ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ المدثر ٤٩، ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ عبس ١١، أي القرآن. وذَكَرْتُهُ كذا، قال تعالى ﴿وَذَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ إبراهيم ٥، وقوله ﴿فَتَذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ البقرة ٢٨٢، قيل معناه تُعيدُ ذِكْرَهُ، وقد قيل تجعلُها ذِكْراً في الحكم. قال بعضُ العلماء «نقله الرازي في تفسيره ٣ / ٣٣» في الفرق بين قوله ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ﴾ البقرة ١٥٢، وبين قوله ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِي﴾ البقرة ٤٠ إنَّ قوله ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ مخاطبةٌ لأصحابِ النبي ﷺ الذين حَصَلَ لَهُمْ فَضْلٌ قُوَّةً بِمَعْرِفَتِهِ تَعَالَى، فَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَذْكُرُوهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِي﴾ مخاطبةٌ لبني إسرائيل الذين لم يعرفوا اللَّهَ إِلَّا بِالْآلَاءِ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَبَصَّرُوا نِعْمَتَهُ، فَيَتَوَصَّلُوا بِهَا إِلَى مَعْرِفَتِهِ^(١).

إشارة إحصائية:

وجدت أن الفعل ذَكَرَ لها إشتاقات؛ ظهر منها ما يربو على ٢٦٥ كلمة في القرآن الكريم بـ ٥٤ شكلا مختلفاً^(١). سوى الكلمات (إذكر، مُدَّكر) بمجموعها ٧ مرات.

وقد وردت صيغة الترجي ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ و﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ و﴿لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ ما مجموعه ١٦ مرة، كذلك ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ طه ٤٤.

وبصيغة الإستفهام ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ مرتان، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ سبع مرات، ﴿أَوَلَا يَذَكِّرُ الْإِنْسَانَ﴾ مرة واحدة، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ ست مرات في سورة واحدة هي سورة القمر، من ضمنها الآية ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ تكررت ٤ مرات في سورة القمر.

وأكد القرآن الكريم على القِلةِ من يَتَذَكَّرُ؛ قوله ﴿فَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ثلاث مرات. والنص ﴿فَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ مرة واحدة.

وكلمة ﴿تَذَكِّرَةٌ﴾ وردت تسع مرات: ﴿إِلَّا تَذَكِّرَةٌ لِمَنْ يَحْشَى﴾ طه ٣؛ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِّرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ الواقعة ٧٣؛ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذَكِّرَةً وَنَعِيهَا أُذُنًا وَاِئِيَّةً﴾ الحاقة ١٢؛ ﴿وَإِنَّهُ لَتَذَكِّرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الحاقة ٤٨؛ ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكِّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ المزمل ١٩؛ الإنسان ٢٩؛ ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذَكِّرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ المدثر ٤٩؛ ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكِّرَةٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ. وَمَا يَذَكَّرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْفِرَةِ﴾ المدثر ٥٤-٥٦؛ ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكِّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ الإنسان ٢٩. ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذَكِّرَةٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ عبس ١١-١٢.

وخوِطَبَ النَّبِيُّ ﷺ هكذا ﴿فَذَكَّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ الطور

(١) راجع المعجم المفهرس لمحمد فؤاد عبد الباقي.

﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الإنسان ٢٥، ﴿فَذَكَّرْنَا إِنَّ نَعَمْتَ الذُّكْرَى . سَيِّدَكَ مَنْ يَحْسَى﴾ الأعلى ٩-١٠، ﴿فَذَكَّرْنَا إِنَّهَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ . لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ الغاشية ٢١-٢٢ .

بينما خوطبَ الناسُ هكذا ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة ٦٣، ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ البقرة ٢٠٣، ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ البقرة ٢٣١، ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ آل عمران ١٠٣ .

﴿أَحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ المائدة ٤، ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ المائدة ٧، ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصُطَةً فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ الأعراف ٦٩، ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مِنْ فُسَيْدِينَ﴾ الأعراف ٧٤، ﴿وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمُ﴾ الأعراف ٨٦، ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأعراف ١٧١، ﴿وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ﴾ الأنفال ٢٦، ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الأنفال ٤٥، الجمعة ١٠ .

وقد ورد بشأن الآية ﴿...وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب ٣٥ ما يلي :

لَوْ قَالَ أَبُو الْجَارُودِ قَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام: إِنَّ جَهَّالًا مِنَ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أَنَّمَا أَرَادَ بِهِذِهِ الْآيَةُ ^(١) أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؛ وَقَدْ كَذَبُوا وَأَثَمُوا؛ لَوْ عَنَى بِهَا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله لَقَالَ: «لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَيُطَهِّرَكُمُ تَطْهِيرًا»؛ وَلَكَانَ الْكَلَامُ مُؤَنَّثًا؛ كَمَا قَالَ ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ ﴿لَسْتِنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

وقال علي بن إبراهيم: ثم انقطعت مخاطبة نساء النبي صلى الله عليه وآله؛ وخاطب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب ٣٣؛ ثم عطف على نساء النبي صلى الله عليه وآله فقال ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾؛ ثم عطف على آل محمد عليهم السلام فقال:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب ٣٥].^(٢)

ومن صفات المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ الفرقان ٧٣، ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ السجدة ١٥. بينما المنافقون هكذا ﴿وَإِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ الصفات ١٣، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ. أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ التوبة ١٢٥-١٢٦.

إشارات تفسيرية:

(١) آية التطهير؛ الأحزاب ٣٣.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٩٤ تفسير سورة الأحزاب.

منها [﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ الأنعام ١٢٦. أي إن القول حقٌّ بينٌ عند من تذكَّر ورجع الى ما أودعه اللهُ في نفسه من المعارفِ الفطرية والعقائدِ الأولية؛ التي بتذكُّرها يهتدي الإنسانُ الى معرفة كلِّ حقٍّ وتمييزه من الباطل؛ والبيانُ مع ذلك لله سبحانه؛ فإنه هو الذي يهدي الإنسانَ الى النتيجة بعد هدايته الى الحجة. (١).

وورد [عنه عن جعفر بن محمد عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله عن أبيه عن جدِّه علي بن الحسين عليه السلام قال: قال موسى بن عمران عليه السلام: يَا رَبِّ مَنْ أَهْلَكَ الَّذِينَ تُظَلُّهُمْ فِي ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ؟ قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: الطَّاهِرَةُ قُلُوبُهُمْ وَالتَّوْبَةُ أَيْدِيهِمْ (٢)؛ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ جَلَالِي إِذَا ذَكَرُوا رَبَّهُمْ؛ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ بِطَاعَتِي كَمَا يَكْتُمُ الصَّبِيُّ الصَّغِيرُ بِاللَّبَنِ؛ الَّذِينَ يَأْوُونَ إِلَى مَسَاجِدِي كَمَا تَأْوِي النَّسُورُ إِلَى أَوْكَارِهَا؛ وَالَّذِينَ يَعْضُبُونَ لِمَحَارِمِي إِذَا اسْتُحِلَّتْ مِثْلَ النَّمْرِ إِذَا حَرِدَ (٣) [٤].

كما ورد [... ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: وَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ؛ وَقَدْ أَخَذَ الْقَوْمُ الْمَجْلِسَ؛ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيَّ؛ وَالسُّفْرَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَوْضُوعَةٌ؛ فَأَخَذَ بِيَدِي؛ فَذَهَبَتْ لِأَخْطُو إِلَيْهِ؛ فَوَقَعَتْ رِجْلِي عَلَى طَرَفِ السُّفْرَةِ؛ فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْخُلَنِي، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ الأنعام ٨٩. قَوْمًا وَاللَّهُ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا. (٥).

(١) الميزان في تفسير القرآن (السيد الطباطبائي): ج ٧-٨ ص ٢٦١ عند تفسير سورة الأنعام الآية ١٢٦.
(٢) «التوبة أيديهم» كناية عن الفقر؛ قال الجوهرى: تَرَبَّ الشَّيْءُ أَصَابَهُ التَّرَابُ؛ وَمِنْهُ تَرَبَّ الرَّجُلُ: افْتَقَرَ؛ كَأَنَّهُ لَصِقَ بِالتَّرَابِ، يُقَالُ «تَرَبَّتْ يَدَاكَ» وَهُوَ عَلَى الدَّعَاءِ؛ أَيْ لَا أَصَبْتَ خَيْرًا.

(٣) جاء في المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج ٢ ص ١٢٨، حَرِدَ: حَرَدًا مِثْلَ غَضِبَ غَضَبًا؛ وَزَنًا وَمَعْنَى؛ وَقَدْ يُسَكَّنُ الْمَصْدَرُ؛ قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَالسُّكُونُ أَكْثَرُ.

(٤) المحاسن: ج ١ ص ١٦ ح ٤٥.

(٥) المحاسن: ج ٢ ص ٥٨٨ ح ٨٨.



وقد وصفَ اللهُ قوماً بالرجاء ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب ٢١ .

كما ورد [... عَنْ جَابِرِ الْجُعْفِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنَ النَّهْرِ وَانْ؛ وَبَلَّغَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَسُبُّهُ وَيَلْعَنُهُ وَيَقْتُلُ أَصْحَابَهُ؛ فَقَامَ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؛ وَذَكَرَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ وَعَلَيْهِ؛ ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا ذَكَرْتُ مَا أَنَا ذَاكِرُهُ فِي مَقَامِي هَذَا؛ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ الضحى ١١، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى نِعْمِكَ الَّتِي لَا تُحْصَى وَفَضْلِكَ الَّذِي لَا يُنْسَى؛ يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّهُ بَلَّغَنِي مَا بَلَّغَنِي؛ وَإِنِّي أَرَانِي قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلِي؛ وَكَأَنِّي بِكُمْ وَقَدْ جَهَلْتُمْ أَمْرِي؛ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا تَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي؛ وَهِيَ عِزَّةُ الْهَادِي إِلَى النِّجَاةِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَيِّدِ النَّجَبَاءِ وَالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى. يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ لَعَلَّكُمْ لَا تَسْمَعُونَ قَائِلًا يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِي بَعْدِي إِلَّا مُفْتَرٍ؛ أَنَا أَخُو رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ عَمِّهِ وَسَيْفُ نِعْمَتِهِ وَعِمَادُ نُصْرَتِهِ وَبَأْسُهُ وَشِدَّتُهُ، أَنَا رَحَى جَهَنَّمَ الدَّائِرَةُ وَأَضْرَاسُهَا الطَّاحِنَةُ؛ أَنَا مُوتِمُ الْبَيْنِ وَالْبَنَاتِ؛ أَنَا قَابِضُ الْأَرْوَاحِ؛ وَبَأْسُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ؛ أَنَا مُجَدِّلُ الْأَبْطَالِ وَقَاتِلُ الْفُرْسَانِ وَمُيِيرٌ^(١) مَنْ كَفَرَ بِالرَّحْمَنِ وَصَهْرُ خَيْرِ الْأَنْامِ؛ أَنَا سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ وَوَصِيُّ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ؛ أَنَا بَابُ مَدِينَةِ الْعِلْمِ وَخَازِنُ عِلْمِ رَسُولِ اللَّهِ وَوَارِثُهُ؛ وَأَنَا زَوْجُ الْبُتُولِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَاطِمَةُ النَّقِيَّةِ النَّقِيَّةِ الزَّكِيَّةِ الْمَبْرَّةِ (البرَّة) الْمَهْدِيَّةِ حَبِيبَةِ حَبِيبِ اللَّهِ وَخَيْرِ بَنَاتِهِ وَسُلَالَتِهِ وَرِيحَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ؛ سِبْطَاهُ خَيْرُ الْأَسْبَاطِ؛ وَوَلَدَايَ خَيْرُ الْأَوْلَادِ، هَلْ أَحَدٌ يُنْكِرُ مَا أَقُولُ؟ أَيْنَ مُسْلِمُو أَهْلِ الْكِتَابِ؟ أَنَا اسْمِي فِي الْإِنْجِيلِ إِلْيَا وَفِي التَّوْرَةِ بَرِيءٌ وَفِي الزَّبُورِ أَرِي وَعِنْدَ الْهِنْدِ

(١) مُهْلِكٌ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ (مُبِيدٌ مِنْ كَفَرٍ).

كَبْرٍ وَعِنْدَ الرُّومِ بِطَرِيسَا وَعِنْدَ الفُرْسِ جَبْرَ وَعِنْدَ التُّرْكِ بَشِيرَ وَعِنْدَ الزَّنَجِ حَيْتَرَ، جَبْرَ
 وَعِنْدَ الكَهَنَةِ بُوَيْعَ وَعِنْدَ الحَبَشَةِ بَشْرِيكَ، تَبْرِيكَ وَعِنْدَ أُمِّي حَيْدَرَةَ وَعِنْدَ ظَنْرِي مَيْمُونًا
 وَعِنْدَ العَرَبِ عَلِيًّا وَعِنْدَ الأَرَمَنِ فَرِيقَ وَعِنْدَ أَبِي ظَهْرٍ. أَلَا وَإِنِّي مَخْصُوصٌ فِي القُرْآنِ
 بِأَسْمَاءٍ أَحْذَرُوا أَنْ تَغْلِبُوا عَلَيْهَا فَتَضَلُّوا فِي دِينِكُمْ؛ يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَكُونُوا مَعَ
 الصَّادِقِينَ) التوبة ١١٦. أَنَا ذَلِكَ الصَّادِقُ؛ وَأَنَا المُوَدَّنُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ قَالَ
 اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَأَذَنَ مُوَدَّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف ٤٤؛ أَنَا ذَلِكَ
 المُوَدَّنُ؛ وَقَالَ ﴿وَأَذَانَ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١)؛ فَأَنَا ذَلِكَ الأَذَانُ، وَأَنَا المُحْسِنُ؛
 يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ اللّهُ لَمَعَ المُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت ٦٩. وَأَنَا ذُو القَلْبِ؛ فيَقُولُ
 اللّهُ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ سورة ق ٣٧. وَأَنَا الذَّاكِرُ؛ يَقُولُ اللّهُ
 عَزَّ وَجَلَّ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهُ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ آل عمران ١٩١. وَنَحْنُ
 أَصْحَابُ الأَعْرَافِ أَنَا وَعَمِّي وَأَخِي وَابْنُ عَمِّي؛ وَاللّهُ فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى؛ لَا يَلِجُ
 النَّارَ لَنَا مُحِبُّ؛ وَلَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ لَنَا مُبْغِضٌ؛ يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ
 يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيَاهِهِمْ﴾ الأعراف ٤٦، وَأَنَا الصَّهْرُ؛ يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَهُوَ الَّذِي
 خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ الفرقان ٥٤، وَأَنَا الأُذُنُ الوَاعِيَةُ؛ يَقُولُ اللّهُ
 عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَتَعْيِبَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾^(٢)، وَأَنَا السَّلْمُ لِرَسُولِهِ؛ يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَرَجُلًا
 سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ الزمر ٢٩، وَمَنْ وُلِدِي مَهْدِي هَذِهِ الأُمَّةِ. أَلَا وَقَدْ جُعِلْتُ مُحْتَكَمًا،
 بِبَعْضِي يُعْرَفُ المُنَافِقُونَ؛ وَبِمَحَبَّتِي امْتَحَنَ اللّهُ المُؤْمِنِينَ؛ هَذَا عَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ
 إِلَيَّ؛ أَنَّهُ لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ؛ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ؛ وَأَنَا صَاحِبُ لِيوَاءِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَرَسُولُ اللّهِ فَرَطِي؛ وَأَنَا فَرَطُ شِيعَتِي، وَاللّهُ لَاعْطَشَ مُحِبِّي

(١) التوبة ٣، (وَأَذَانَ) أي إعلام؛ فعال بمعنى الأفعال كالأمان والعطاء رفعه للخبرية.

(٢) الحاقة ١٢. أي أذن التي من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه لتذكره والتفكير فيه.

وَلَا خَافَ وَلِيِّيَ؛ وَأَنَا وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَاللَّهُ وَلِيُّيَ، حَسْبُ مُحِبِّي أَنْ يُجِبُوا مَا أَحَبَّ اللَّهُ؛ وَحَسْبُ مُبْغِضِي أَنْ يُبْغِضُوا مَا أَحَبَّ اللَّهُ، أَلَا وَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنْ مُعَاوِيَةَ سَبَّنِي وَلَعَنَنِي؛ اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَيْهِ؛ وَأَنْزِلِ اللَّعْنَةَ عَلَى الْمُسْتَحِقِّ؛ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ رَبَّ إِسْمَاعِيلَ وَبَاعِثِ إِبْرَاهِيمَ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ. ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَعْوَادِهِ؛ فَمَا عَادَ إِلَيْهَا حَتَّى قَتَلَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعْنَةُ اللَّهِ. [١].

ذَكَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَآلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَدِيفُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى:

فَقَدْ وَرَدَ: [عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الرِّيَّانِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الدَّهْقَانِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقَالَ لِي: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ أَلَا عَلَى ١٥؟ قُلْتُ: كُلَّمَا ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ قَامَ فَصَلَّى، فَقَالَ لِي: لَقَدْ كَلَّفَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ هَذَا شَطَطًا^(٢)، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ فَكَيْفَ هُوَ؟ فَقَالَ: كُلَّمَا ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ. [٣].

كما ورد [مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ عَنْ وَهَيْبِ بْنِ حَفْصٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَا اجْتَمَعَ فِي مَجْلِسٍ قَوْمٌ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ وَ لَمْ يَذْكُرُونَا إِلَّا كَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ ذِكْرَنَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ؛ وَ ذِكْرِ عَدُوِّنَا مِنْ ذِكْرِ الشَّيْطَانِ. [٤].

قد مرَّ في لسان العرب: [الذِّكْرُ والذِّكْرَى: نَقِيضُ النِّسْيَانِ].

فقوله تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فلا سبيلَ عليهم لنسيانِ آياتِ اللَّهِ وعظيمِ

(١) معاني الأخبار: ص ٥٨ ح ٩.

(٢) الشطط مجاوزة القدر في كل شيء؛ يعنى لو كان كذلك لكان التكليف فوق الطاقة.

(٣) الكافي (ط الإسلامية): ج ٢ ص ٤٩٤ باب الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ح ١٨.

(٤) الكافي (ط الإسلامية): ج ٢ ص ٤٩٦ باب مَا يَجِبُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ ح ٢.

جلاله وعظيم آلائه البتة ؛ بضمانِ الفعلِ المضارع؛ فقلوبهم ذاكرةٌ متذكِّرةٌ عامرةٌ بالذكري دواماً؛ وقوله تعالى ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ الأنعام ١٢٦؛ وهي آيةٌ مدح لهم ﴿مَنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ النمل ٦؛ فكما ربنا جلَّ علاه ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ طه ٥٢؛ فلا يعترهم النسيانُ لآياتِ الله تعالى؛ كرامةً ومناً منه تعالى أن وصفَ هؤلاء المخلصين ببعض صفاته الكريمة؛ وهم قومٌ مخصوصون، بينما أشار جلَّ علاه لقلَّةِ التذكُّرِ عند المؤمنين ﴿قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ غافر ٥٨، أو بصيغة الإستفهام ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ الأنعام ٨٠، السجدة ٤.

وقفَةٌ للتأمل:

أولاً: قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر ٩، ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل ٤٣، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل ٤٤، ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الأنبياء ٥٠، فمعنى ﴿الذِّكْرُ﴾ في جميعها هو القرآن الكريم. وبالتالي فقوله تعالى ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل ٤٣، الأنبياء ٧، كلها تشير الى أن ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ هم أهل القرآن الكريم .

ثانياً: وجاء في الخبر أن الرسول الأكرم ﷺ هو الذِّكْرُ... عَنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ لِي ... ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا. رَسُولًا﴾ الطلاق ١٠-١١؛ فالذِّكْرُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ وَنَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ؛ فَاسْأَلْ يَا كَلْبِيُّ عَمَّا بَدَأَ لَكَ^(١).

واستنتاجاً من هاتين الفقرتين أعلاه سنحکم بصوابِ المقولةِ التالية:

أَهْلُ الذِّكْرِ: هم أهل القرآن وهم أهل رسول الله ﷺ (حصرأ).

وبالتالي فإنَّ حديثَ الثقلين المتواتر عند عامة أهل القبلة وكما ورد عندنا:

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلوات الله عليهم: ج ١ ص ١٢٥ ح ٢٦. بحذف مقدمة الإسناد.

[...عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ أَبِي الدَّيْلَمِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: ... (عن رسول
اللَّهِ صلى الله عليه وآله): إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَهْلَ
بَيْتِي عِترتي..] ^(١). فهو مصداقٌ لما استتجناه أعلاه.

قد مرَّ في لسان العرب (الذِّكْرُ الصلاةُ؛ والذِّكْرُ قراءةُ القرآن؛ والذِّكْرُ التَّسْبِيحُ؛
والذِّكْرُ الدعاءُ؛ والذِّكْرُ الشُّكْرُ؛ والذِّكْرُ الطَّاعَةُ..).

فيكونُ النصُّ الكريمُ ﴿أهلُ الذِّكْرِ﴾ هم أهلُ الصلاةِ وأهلُ قراءةِ القرآنِ وأهلُ
التَّسْبِيحِ وأهلُ الدعاءِ وأهلُ الشُّكْرِ وأهلُ الطَّاعَةِ.

إرتباطُ التذكُّرِ بأولي الألبابِ:

لعله من المناسبِ أن نستدرِكَ البحثَ ببعض متعلقاتِهِ القريبةِ منه:

وجدتُ في كتابِ اللَّهِ تعالى أن الوصفَ ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ قد شاءَ اللَّهُ أن يمدحَ بها أولوا
الألبابِ وهم المؤمنون (شيعةُ أهلِ البيتِ عليهم السلام)؛ فقد ورد:

[عَنْ عُقْبَةَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَأَذِنَ لِي؛ وَكَيْسَ هُوَ فِي مَجْلِسِهِ
؛ فَخَرَجَ عَلَيْنَا مِنْ جَانِبِ الْبَيْتِ مِنْ عِنْدِ نِسَائِهِ؛ وَكَيْسَ عَلَيْهِ جِلْبَابٌ؛ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْنَا
رَحَّبَ بِنَا؛ ثُمَّ جَلَسَ؛ ثُمَّ قَالَ: أَنْتُمْ أَوْلُو الْأَلْبَابِ فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ:
﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أَوْلُو الْأَلْبَابِ﴾ (الرعد ١٩). ^(٢).

كما ورد [عنه عن أبيه عمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ حَسَّانَ الْعِجْلِيِّ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا
عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَأَنَا جَالِسٌ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَمْ يَعْلَمُوا﴾]

(١) الكافي (ط الإسلامية): ج ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ بَابُ الْإِشَارَةِ وَالنَّصِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ح ٣. بعد
حذف مقدمة الإسناد ومقدمة المتن.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ح ٢٥.

لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿الزمر ٩﴾ قَالَ: نَحْنُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ؛ وَعَدُّونَا الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؛ وَشِيعَتُنَا أُولُوا الْأَلْبَابِ. [١].

كما ورد [... عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ سَأَلْتُ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟ قَالَ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابَهُ. ﴿كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ حَبْرٍ وَزُرَيْقٍ وَأَصْحَابِهِمَا؛ ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ﴾ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابَهُ؛ ﴿كَالْفَجَّارِ﴾ حَبْرٍ وَدُلَامٍ وَأَصْحَابِهِمَا؛ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأئِمَّةُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ص ٢٩؛ فَهُمْ أَهْلُ الْأَلْبَابِ الثَّاقِبَةِ. قَالَ: وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَفْتَخِرُ بِهَا وَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا بَعْدِي مِثْلَ مَا أُعْطِيْتُ. [٢].

و في بيان الآية الكريمة ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿الرعد ١٩﴾. فقد ورد:

[عَنْهُ عَنِ ابْنِ فَضَالٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقَبَةَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَمُعَلَّى بْنُ خُنَيْسٍ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَذِنَ لَنَا وَلَيْسَ هُوَ فِي مَجْلِسِهِ؛ فَخَرَجَ عَلَيْنَا مِنْ جَانِبِ الْبَيْتِ مِنْ عِنْدِ نِسَائِهِ؛ وَلَيْسَ عَلَيْهِ جِلْبَابٌ. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْنَا رَحَّبَ؛ فَقَالَ: مَرَحَبًا بِكُمَا وَأَهْلًا، ثُمَّ جَلَسَ وَقَالَ: أَنْتُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾؛ فَأَبَشِرُوا فَأَنْتُمْ عَلَى إِحْدَى الْحُسَيْنِيِّينَ مِنَ اللَّهِ؛ أَمَا إِنَّكُمْ إِنْ بَقِيتُمْ حَتَّى تَرَوْا مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ رِقَابَكُمْ شَفَى اللَّهُ صُدُورَكُمْ وَأَذْهَبَ غَيْظَ قُلُوبِكُمْ وَأَدَاكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ؛ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ. وَيُذْهِبُ

(١) المحاسن: ج ١ ص ١٦٩ في ما نزل في الشيعة من القرآن ح ١٣٤،

بصائر الدرجات: ج ١ ص ٥٤ في ما نزل في الأئمة ح ١.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٣٤.

غَيِظَ قُلُوبِهِمْ ﴿التوبة ١٤-١٥﴾، وَإِنْ مَضَيْتُمْ قَبْلَ أَنْ تَرَوْا ذَلِكَ مَضَيْتُمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ الَّذِي رَضِيَهُ لِنَبِيِّهِ وَبَعَثَهُ عَلَيْهِ. [١].

وورد: [... حَدَّثَنَا مَسْعَدَةُ بْنُ صَدَقَةَ الْعَيْسِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ شَيْعَتَنَا يَتَذَكَّرُونَ] [٢].

كما اقترن النص ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ بمن يُنِيبُ بقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ غافر ١٣.

كما جاء وصف ﴿يَذَّكَّرُ﴾ أيضاً في مدح أولي الألباب (٣) في الآيات الكريمة، منها ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ البقرة ٢٦٩، فقد ورد:

[قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: الْحِكْمَةُ ضِيَاءُ الْمَعْرِفَةِ وَمِيرَاثُ التَّقْوَى وَثَمَرَةُ الصِّدْقِ. وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ أَعْظَمَ وَأَنْعَمَ وَأَجْزَلَ وَأَرْفَعَ وَأَبْهَى مِنَ الْحِكْمَةِ لِلْقَلْبِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾؛ أَي لَيْعَلَّمُ مَا أَوْدَعَتْ وَهَيَّأَتْ فِي الْحِكْمَةِ إِلَّا مَنْ اسْتَخْلَصَتْهُ لِنَفْسِي وَخَصَّصَتْهُ بِهَا، وَالْحِكْمَةُ هِيَ النَّجَاةُ، وَصِفَةُ الْحَكِيمِ الثَّبَاتُ عِنْدَ أَوَائِلِ الْأُمُورِ؛ وَالْوُقُوفُ عِنْدَ عَوَاقِبِهَا؛ وَهُوَ هَادِي خَلَقَ اللَّهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِعَلِيٍّ عليه السلام: لِأَنَّ يَهْدِي اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ مِنْ مَشَارِقِهَا إِلَى مَغَارِبِهَا. [٤].

(١) المحاسن: ج ١ ص ١٦٩ - ١٧٠ باب ٣٦ في ما نزل في الشيعة من القرآن ح ١٣٥.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٣٦٤ ح ٤٩٤ عند تفسير الزمر ٩.

(٣) وردت ٧ مرات: البقرة ٢٦٩؛ آل عمران ٧؛ الرعد ١٩؛ إبراهيم ٥٢؛ ص ٢٩؛ الزمر ٩؛ الزمر ١٨.

(٤) مصباح الشريعة: ب ٩٥ في الحكمة ص ١٩٨.

كذلك ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران ٧؛ فقد ورد:

[عَنْهُ عَنِ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا قَسَمَ اللَّهُ لِلْعِبَادِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ، فَنَوْمُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ سَهْرِ الْجَاهِلِ، وَإِفْطَارُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ صَوْمِ الْجَاهِلِ، وَإِقَامَةُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ سُخُوصِ الْجَاهِلِ^(١)، وَلَا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا وَلَا نَبِيًّا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ الْعَقْلَ، وَيَكُونَ عَقْلُهُ أَفْضَلَ مِنْ عُقُولِ جَمِيعِ أُمَّتِهِ، وَمَا يُضْمِرُ النَّبِيُّ فِي نَفْسِهِ أَفْضَلَ مِنْ اجْتِهَادِ جَمِيعِ الْمُجْتَهِدِينَ، وَمَا أَدَّى الْعَاقِلُ فَرَائِضَ اللَّهِ حَتَّى عَقَلَ مِنْهُ، وَلَا بَلَغَ جَمِيعُ الْعَابِدِينَ فِي فَضْلِ عِبَادَتِهِمْ مَا بَلَغَ الْعَاقِلُ. إِنَّ الْعُقَلَاءَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. (٢)].

كذلك ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ إبراهيم عليه السلام ٥٢. ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الزمر ١٨.

وفي جميع الآيات أعلاه فإن المقصود بـ أولي الألباب هم أولوا العقول، والذين عرفهم القرآن الكريم كما يلي: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ. وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخْفُونَ سُوءَ الْحِسَابِ. وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ هُمْ عُقَبَى الدَّارِ. جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ

(١) أي قعوده أفضل من جهاد الجاهل.

(٢) المحاسن: ج ١ ص ١٩٣ ح ١١.

وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿الرعد ١٩-٢٤﴾

كما أنَّ التذكُّرَ من صفاتِ المتقين ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الأعراف ٢٠١. كما ورد:

[وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: إِذَا طَلَبْتُمْ الْحَوَائِجَ فَاطْلُبُوهَا مِنْ أَهْلِهَا، قِيلَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَنْ أَهْلُهَا؟ قَالَ: الَّذِينَ فَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَهُمْ، فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿الرعد ١٩﴾؛ قَالَ: هُمْ أُولُو الْعُقُولِ.]^(١)

آياتُ الذِّكْرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ:

جعل اللهُ تعالى بعضَ آياته ﴿ذِكْرِي﴾ لعبادٍ مُعَيَّنِينَ؛ كما في الآياتِ التالية:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾
الزمر ٢١.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ص ٤٣.

﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ. هُدًى وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ غافر ٥٣-٥٤.

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف ٢.

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود ١١٤.

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود ١٢٠.

(١) الكافي (ط دار الحديث): ج ١ ص ٤٠ فقرة ١٢/١٢.

﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ الأنبياء ٨٤.
﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ﴾ العنكبوت ٥١.

﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ سورة ق ٧-٨.
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيسٍ.
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ سورة ق ٣٦-٣٧.
﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الدُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذاريات ٥٥.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ﴾ الأنعام ٦٩.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنعام ٩٠.
﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ. ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الشعراء ٢٠٨-٢٠٩.
﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ
بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ ص ٤٥-٤٦.

﴿رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ. أَنَّى هُمْ الذُّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ
مُبِينٌ﴾ الدخان ١٢-١٣.

﴿...وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ المدثر ٣١.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذُّكْرَى﴾ عبس ٣-٤.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى. فَذَكَّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾ الأعلى ٩-١٠.

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾ الفجر ٢٣.

وبشأن الآية ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾

الإسراء ٤١. فقد جاء بشأنها:

[فُرَاتٌ قَالَ ... عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾: يَعْنِي وَلَقَدْ ذَكَّرْنَا عَلَيَّا فِي كُلِّ الْقُرْآنِ وَهُوَ الذُّكْرُ ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾. (١)].

وبشأن الآية ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا هُنَالِكَ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الفرقان ٥٠.

ورد [أحمد عن عبد العظيم عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قَالَ: نَزَلَ جَبْرَائِيلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ هَكَذَا: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ الإسراء ٨٩. قَالَ: وَنَزَلَ جَبْرَائِيلُ عليه السلام بِهَذِهِ الْآيَةِ هَكَذَا ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فِي وِلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ آل مُحَمَّدٍ عليه السلام ﴿نَارًا﴾ الكهف ٢٨]. (٢).

عودٌ للآيتين في بداية الفصل العاشر فأقول: في هاتين الآيتين المباركتين ذَكَرَ اللَّهُ سبحانه نَعْتَ التذَكُّرَ لهؤلاء القوم بأن جعل هذه الصفة ملازمة لهم بالتمام والإستمرار بوصفهم قومٌ ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾؛ لا يوجد على أرض الواقع أحدٌ بهذه الصفة الكاملة التامة إلا آل محمد عليهم السلام. وأما الآخرون (المؤمنون) فقد جعل إرادتهم الذاتية هي التي تُحدد الإلتزام بهذه الصفة أو عدمها عند مشاهدتهم آياتِ اللَّهِ تعالى؛ لقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ سُكُورًا﴾ الفرقان

(١) تفسير فرت الكوفي: ص ٢٤١ ح ٣٢٦، تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٩٣ ح ٧٨.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٢٤ - ٤٢٥ بابٌ نادر ح ٦٤.

٦٢. أي أن المؤمنين ﴿يَذْكُرُونَ﴾ حيناً وحيناً وبأقدارٍ متفاوتة؛ كلٌ حسب إيمانه وتقواه وتوفيقه. فالخواصُّ من شيعة آل محمد ﷺ المقربون من الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته ﷺ، فلهم النصيب الأوفر من هذه الصفة المباركة؛ وباقي المؤمنين فلهم النصيب الأدنى؛ وكلٌّ تبعٌ لتوفيقه.

ونتيجةً هذا البحث (العاشر) نستنتج أن هذه الصفة المباركة ﴿لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ تعود لنفس القوم في المباحث السابقة. واستنتاجاً مما سبق نرى أن النصوص الكريمة:

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ هم ذات القوم؛ حيث لا تعدد للأقوام.

وبالنتيجة فهم آل محمد صلواتُ ربي عليهم أجمعين؛ وهم في الذرى بهذه الصفات الكاملة المحمودة.

تم بحمدِ الله البحث المعني بالنص ﴿لِقَوْمٍ ي...﴾ مع مستدركات البحث.

نعوتُ كريمةً أخرى لأهل البيت ﷺ في كتابِ الله:

بعد أن إستدللنا بنصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أنهم ﷺ يُؤْمِنُونَ وَيَعْلَمُونَ وَيَعْقِلُونَ وَيَتَفَكَّرُونَ وَيَفْقَهُونَ وَيُوقِنُونَ وَيَتَّقُونَ وَيَشْكُرُونَ وَيَسْمَعُونَ وَيَذْكُرُونَ؛ كلٌ ذلك بالشكل التام المطلق؛ فإن لهم نعوتاً شتى أخرى في كتابِ الله تعالى كثيرة نختارُ منها:

١. أنهم ﷺ ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

فقد ورد [حـ. ٥. ... عَنِ الْمُفْضَلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِي ثَابِتُ الثَّمَالِيُّ عَنْ سَيِّدِ

الْعَابِدِينَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ حُجَّتِهِ حِجَابٌ؛ فَلَا لِلَّهِ دُونَ حُجَّتِهِ سِتْرٌ، نَحْنُ أَبْوَابُ اللَّهِ؛ وَنَحْنُ ﴿الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ﴾ الْفَاتِحَةُ ٦؛ وَنَحْنُ عَيْبَةُ عِلْمِهِ؛ وَنَحْنُ تَرَاجِمُهُ وَحِيهِ؛ وَنَحْنُ أَرْكَانُ تَوْحِيدِهِ؛ وَنَحْنُ مَوْضِعُ سِرِّهِ.

ح-٧.... قَالَ حَدَّثَنَا حَنَانُ بْنُ سَدِيرٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام قَالَ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْحَمْدِ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الْفَاتِحَةُ ٧؛ يَعْنِي مُحَمَّدًا وَذُرِّيَّتَهُ عليهم السلام [١].

كما ورد: [عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الصِّرَاطُ الَّذِي قَالَ إِبْلِيسُ: ﴿لَأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ثُمَّ لَا تَبِيَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ] الْأَعْرَافُ ١٦ هُوَ عَلِيٌّ عليه السلام. [٢].

كما ورد [عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: قُلْتُ لِأبي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَوْلُهُ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ النِّسَاءُ ١٧٤ قَالَ: الْبُرْهَانُ مُحَمَّدٌ عليه السلام؛ وَالنُّورُ عَلِيٌّ عليه السلام؛ قَالَ قُلْتُ: قَوْلُهُ ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ النِّسَاءُ ١٧٥؟ قَالَ: الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ عَلِيٌّ عليه السلام. [٣].

كما ورد [حَدَّثَنَا ... عَنْ أَبِي حَمزة الثَّمَالِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الْأَنْعَامُ ١٥٣ قَالَ: هُوَ وَاللَّهُ عَلِيُّ الْمَيِّزَانُ وَالصِّرَاطُ] [٤].

كما ورد [فُرَاتٌ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَزَارِيُّ مُعَنَّأً عَنْ حُمْرَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ

(١) معاني الأخبار: ص ٣٥-٣٦.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٩ ح ٦.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٥ ح ٣٠٨.

(٤) بصائر الدرجات: ج ١ ص ٧٩ ح ٩.

وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿الأنعام ١٥٣﴾، قَالَ: عَلِيٌّ وَالْأَيْمَةُ مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ عليها السلام هُمْ صِرَاطُهُ، فَمَنْ أَتَاهُ سَلَكَ السَّبِيلَ. [١].

كما ورد [فُرَاتٌ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَزَارِيُّ مَعْنَعَنَا عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَسَدِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾؟ قَالَ: فَبَسَطَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام يَدَهُ الْيَسَارَ؛ ثُمَّ دَوَّرَ فِيهَا يَدَهُ الْيُمْنَى؛ ثُمَّ قَالَ: نَحْنُ صِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يَمِينًا وَشِمَالًا ثُمَّ حَطَّ بِيَدِهِ. [٢].

كما ورد [عَنْ بُرَيْدِ الْعَجَلِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾؛ قَالَ: أَتَدْرِي مَا يَعْنِي بِـ ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾؟ قَالَ قُلْتُ: لَا، قَالَ: وَلَا يَأْتِي عَلِيٌّ وَالْأَوْصِيَاءَ. قَالَ: وَتَدْرِي مَا يَعْنِي ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾؟ قَالَ قُلْتُ: لَا، قَالَ: وَلَا يَأْتِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَاللَّهِ، قَالَ: وَتَدْرِي مَا مَعْنَى ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾؟ قَالَ قُلْتُ: لَا؛ قَالَ: يَعْنِي سَبِيلَ عَلِيٍّ عليه السلام. [٣].

كما ورد [عَنْ سَعْدٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ قَالَ: قَالَ أَلْ مُحَمَّدٌ عليه السلام الصِّرَاطُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ. [٤].

والحديث التالي يشير الى مجاهدة إبليس للموالين [ابن محبوب عن حنان وعلي بن رئاب عن زُرَّارَةَ قَالَ قُلْتُ لَهُ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

(١) تفسير فرات: ص ١٣٧ ح ١٦٣ بعد رفع الأقواس الداخلية.

(٢) تفسير فرات: ص ١٣٨ ح ١٦٥.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٨٣ - ٣٨٤ ح ١٢٥.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٨٤ ح ١٢٦.

ثُمَّ لَا تَيَسَّرُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١﴾ قَالَ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: يَا زُرَّارَةُ؛ إِنَّهُ إِنَّمَا صَمَدٌ لَكَ وَلَا صَحَابِكَ؛ فَأَمَّا الْآخَرُونَ فَقَدْ فَرَّغَ مِنْهُمْ. [١].

كما ورد [فَرَاتُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكُوفِيُّ ... عَنْ سَلَامِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ الْجُعْفِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقُلْتُ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ؛ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ؛ فَإِنْ أَذِنْتَ لِي أَنْ أَسْأَلَكَ سَأَلَتُكَ؛ فَقَالَ: سَلْنِي عَمَّا شِئْتَ، قَالَ قُلْتُ: أَسْأَلُكَ عَنِ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ قُلْتُ: مَا قَوْلُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ الْحَجَرِ ٤١؟ قَالَ: صِرَاطُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَقُلْتُ: صِرَاطُ عَلِيٍّ؟ فَقَالَ: صِرَاطُ عَلِيٍّ. [٢].

كما ورد [... عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ الْحَجَّ ٢٤؟ قَالَ: ذَلِكَ حَمَزَةٌ وَجَعْفَرٌ وَعُبَيْدَةٌ وَسَلْمَانُ وَأَبُو ذَرٍّ وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَعَمَّارٌ هُدُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَقَوْلُهُ ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ الْحَجَرَاتِ ٧؛ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثُ. [٣].

ومعلومٌ للجميع أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو على الصراط؛ فقد ورد:

[... عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ عَنِ الثَّمَالِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الزَّخْرَفِ ٤٣؛ قَالَ إِنَّكَ عَلَى وَلايَةِ عَلِيٍّ؛ وَعَلِيٌّ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ. [٤]، وهو صلى الله عليه وآله بدوره يدعو إلى الصراط؛ بقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الْمُؤْمِنُونَ ٧٣. وَأَنَّ اللَّهَ

(١) الكافي: ج ٨ ص ١٤٥ باب حديث محاسبة النفس ح ١١٨.

(٢) تفسير فرات: ص ٢٢٥ ح ٣٠٢ بعد رفع الأقواس الداخلية.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٢٦ باب فيه نُكْتُ وَتُنْتُ مِنَ التَّنْزِيلِ فِي الْوَلَايَةِ ح ٧١.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٤١٦ - ٤١٧ ح ٢٤.

تعالى هو الهادي لذلك؛ بقوله تعالى ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
الحج ٥٤؛ كما هو الحال لرسولِ اللهِ ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
الشورى ٥٢، ووفق مشيئته تعالى ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
النور ٤٦.

كما ورد بشأن الصُّراطِ [... عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ
الْمَاضِي عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ ... قُلْتُ ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي
سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الملك ٢٢؛ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا مِّنْ حَادٍ عَن وَلايَةِ
عَلِيٍّ كَمَنْ يَمْشِي عَلَىٰ وَجْهِهِ لَا يَهْتَدِي لِأَمْرِهِ؛ وَجَعَلَ مَنْ تَبِعَهُ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؛
وَالصُّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ....] (١).

[... عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ عَنْ أَصْبَغَ عَنْ عَلِيٍّ فِي قَوْلِهِ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ عَنِ الصُّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾؛ قَالَ: عَنْ وَلايَتِهِ (٢).] (٣).

٢. أَنَّهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿الصَّالِحُونَ﴾:

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ.
إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ الأنبياء ١٠٥-١٠٦.

فقد جاء في الخبر [... عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي الْوَرْدِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:
قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ.
وَقَالَ أَيْضًا ... عَنْ أَبِي صَادِقٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٣٢ - ٤٣٣ باب فيه نكت و نطف من التنزيل في الولاية ح ٩١.

(٢) وفي هامش الحديث إختلاف بعض الروايات حول العبارة الأخيرة: مثل (عن ولايتنا)، (عن ولايتنا
أهل البيت).

(٣) تفسير فوات الكوفي: ص ٢٧٨ ح ٣٧٧.

عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ...﴾ الآية؟ قَالَ: نَحْنُ هُمْ^(١)؛ قَالَ قُلْتُ: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ قَالَ: هُمْ شِيعَتُنَا. [٢].

بشأن الآيات الأنبياء ٧٢، البقرة ١٣٠، العنكبوت ٢٧، النحل ١٢٢، الأعراف ١٩٦

فقد قال السيد الطباطبائي في ميزانه [ثم إنك إذا تأملت حال إبراهيم ومكانته في أنه كان نبياً مُرسلاً وأحد أولي العزم من الأنبياء؛ وأنه إمام؛ وأنه مقتدى عدّة مَمَّن بعده من الأنبياء والمرسلين؛ وأنه من الصالحين بنصّ قوله تعالى ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ الأنبياء ٧٢. الظاهر في الصلاح المعجّل؛ على أن من هو دونه في الفضل من الأنبياء أكرم بهذا الصلاح المعجّل؛ وهو عليّ مع ذلك كله يسأل اللّٰهُ بالصالحين، الظاهر في أن هناك قوماً من الصالحين سبقوه؛ وهو يسأل اللّٰهُ بهم فيما سبقوه إليه؛ وأجيب بذلك في الآخرة كما يحكيه اللّٰهُ تعالى في ثلاثة مواضع من كلامه حيث قال تعالى ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ البقرة ١٣٠؛ وقال تعالى ﴿وَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ العنكبوت ٢٧؛ وقال تعالى ﴿وَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ النحل ١٢٢، ﴿إِنَّ وَلِيِّ اللّٰهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ الأعراف ١٩٦؛ فإذا تأملت ذلك حقّ التأمل قضيت بأن الصلاح ذو مراتبٍ بعضها فوق بعض؛ ولم تستبعد لوقوع سمعك أن إبراهيم عليه السلام سأل اللّٰهُ باللّٰهِ وأله الطاهرين عليه السلام؛ فأجيب الى ذلك في الآخرة لافي الدنيا؛ فإنه عليه السلام يسأل اللّٰهُ بالصالحين؛ ومحمد عليه السلام يدّعيه لنفسه؛ قال تعالى ﴿إِنَّ وَلِيِّ اللّٰهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ الأعراف ١٩٦؛ فإن ظاهر الآية أن رسول اللّٰهُ عليه السلام يدّعي لنفسه الولاية؛ فالظاهر منه أن رسول

(١) هم عليّ مقصود الآية ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ص ٣٢٦.

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المتحققُ بالصلاح الذي يدَّعيه بموجب الآية لنفسه؛ وإبراهيمٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يسألُ اللهَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ بعدةٍ من الصالحين يسبقونه في الصلاح فهو هو. [١].

٣. أنهم عَلَيْهِ السَّلَامُ المتوسِّمون:

قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ. وَإِنَّهَا لَبَسِيلٌ مَّقِيمٌ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر ٧٥-٧٧؛ بعد هلاك قوم لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فقد جاء في تفسير معنى هذه الآية: [الآية العلامة؛ والمراد بالآياتِ أولاً العلاماتُ الدالة على وقوع الحادثة من بقايا الآثار؛ وبالآية ثانياً العلامةُ الدالة للمؤمنين على حَقِّيَةِ الإنذارِ والدعوةِ الإلهية؛ والتوسُّمُ التفرُّسُ والانتقالُ من سيماءِ الأشياءِ على حقيقةِ حالها. والمعنى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي فيما جرى من الأمرِ على قوم لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي بلادهم لعلاماتٌ من بقايا الآثارِ للمتفرِّسين؛ وأن تلك العلاماتِ لبسبيلٍ للعابرين مُقيم؛ لم تُعْفَ ولم تمنحِ بالكلية بعد؛ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ تدلُّ على حَقِّيَةِ الإنذارِ والدعوة؛ وقد تبين بذلك وجهُ إيرادِ الآياتِ جمعاً ومفرداً في الموضوعين. [٢].

وبمناسبة ذِكْرِ النِّصِّ الأخير؛ فقد ذُكِرَ في سورة أخرى بالشكل ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ العنكبوت ٤٤.

و نستنتج من آيات الحجر الثلاثة أن المتوسِّمين هم أنفُسُهُمُ الْمُؤْمِنِينَ (فصل ١). قال السيد في ميزانه [وفيه (الدر المثور) أخرج أبو نعيم في الحلية عن جعفر بن محمد في قوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: هم المتفرِّسون. وفيه أخرج البخاري في تأريخه والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن السني

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١ - ٢ ص ٢٣٣-٢٣٤ عند تفسير الآية البقرة ١٣٠.

(٢) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١١-١٢ ص ٤٢١ عند تفسير سورة الحجر ٧٥.

وأبو نعيم معا في الطب وابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله؛ ثم قرأ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾؛ قال: المتفرسين.

وفي إختصاص المفيد بإسناده عن أبي بكر بن محمد الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: ما من مخلوق إلا وبين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر؛ وذلك محجوب عنكم؛ وليس بمحجوب عن الأئمة من آل محمد؛ ثم ليس يدخل عليهم أحد إلا عرفوه مؤمناً أو كافراً؛ ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾؛ فهم المتوسمون. [١].

٤. أنهم السابقون هم السابقون، المقربون:

جاء الحديث [مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ رَجَالِهِ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الواقعة ١٠-١١، قَالَ:

إِنِّي أَسْبَقُ السَّابِقِينَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، وَأَقْرَبُ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ [٢].

كما ورد [عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ مِهْرَانَ عَنِ الْحَسَنِ الْقُمِّيِّ عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ المدثر ٤٢-٤٣؟ قَالَ: عَنِّي بِهَا لَمْ نَكُ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِمْ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾؛ أَمَا تَرَى النَّاسَ يُسَمُّونَ الَّذِي يَلِي السَّابِقَ فِي الْحَبْلَةِ مُصَلِّياً؟ فَذَلِكَ الَّذِي عَنِّي؛ حَيْثُ قَالَ ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ لَمْ نَكُ مِنْ أَتْبَاعِ السَّابِقِينَ. [٣].

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١١-١٢ ص ٤٢٢ البحث الروائي حول الآية سورة الحجر ٧٥.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ج ٢ ص ٩٣٦ ح ٧٤.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤١٩ باب فيه نُكْتُ وَتُنْفُ مِنَ التَّنْزِيلِ فِي الْوَلَايَةِ ح ٣٨.

كما ورد [أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانِ الرَّازِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ كَثِيرِ الرَّقِّيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾؟ قَالَ: نَطَقَ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ ذَرَأَ الْخَلْقَ فِي الْمِيثَاقِ؛ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ الْخَلْقَ بِالْفِيءِ عَامٍ. فَقُلْتُ: فَسَّرَ لِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُخْلَقَ الْخَلْقَ خَلَقَهُمْ مِنْ طِينٍ؛ وَرَفَعَ لَهُمْ نَارًا؛ فَقَالَ: اذْخُلُوهَا، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَهَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَسَعَةُ مِنَ الْأَئِمَّةِ؛ إِمَامٌ بَعْدَ إِمَامٍ، ثُمَّ أَتَبَعَهُمْ بِشِيعَتِهِمْ؛ فَهُمْ وَاللَّهِ السَّابِقُونَ. (١)].

كما ورد [أَبَانُ عَنْ سُلَيْمٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا عليه السلام فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي خِلَافَةِ عُمَانَ، وَجَمَاعَةٌ يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَذَكَّرُونَ الْفِقْهَ وَالْعِلْمَ؛ فَذَكَرُوا قُرَيْشًا وَفَضْلَهَا وَسَوَابِقَهَا وَهَجَرَتَهَا وَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِيهِمْ؛ مِثْلَ قَوْلِهِ (الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ) وَقَوْلِهِ (النَّاسُ تَبِعُ لِقُرَيْشٍ)... قَالَ: فَأَنْشَدَكُمْ اللَّهَ؛ أَتَعْلَمُونَ حَيْثُ نَزَلَتْ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾. (٢)]. **﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾**؛ سُئِلَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؛ فَقَالَ: أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَأَوْصِيَائِهِمْ؛ فَأَنَا أَفْضَلُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ؛ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَصِيِّي أَفْضَلُ الْأَوْصِيَاءِ؛ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ... (٣)].

كما ورد [قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ؛ وَخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِنَا مِمَّا خَلَقْنَا مِنْهُ؛ وَخَلَقَ أَبْدَانَهُمْ

(١) الغيبة (للنعماني): ص ٩٠ ب ٤ أن الأئمة اثنا عشر إماما و أنهم من الله و بإختياره ح ٢٠.

(٢) التوبة ١٠٠ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

(٣) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ج ٢ ص ٦٣٦ - ٦٤٤ ح ١١.

مِنْ دُونَ ذَلِكَ؛ فَقَلِبْهُمْ تَهْوِي إِلَيْنَا؛ لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِمَّا خَلَقْنَا مِنْهُ. ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾. يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْتُومٍ. خِتَامُهُ مِسْكٌ... ﴿المطففين ١٨ - ٢٦﴾. قَالَ مَاءٌ إِذَا شَرِبَهُ الْمُؤْمِنُ وَجَدَ رَائِحَةَ الْمِسْكِ فِيهِ... وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام:... أَشْرَفُ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَأْتِيهِمْ فِي عَالِي تَسْنِيمٍ؛ وَهِيَ عَيْنٌ ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾، وَالْمُقَرَّبُونَ أَلْ مُحَمَّدٍ عليه السلام؛ يَقُولُ اللَّهُ ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدِيجَةَ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَذُرِّيَّاتِهِمْ تَلْحَقُ بِهِمْ﴾، يَقُولُ اللَّهُ ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، وَ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ يَشْرَبُونَ مِنْ تَسْنِيمٍ بَحْتًا صِرْفًا؛ وَسَائِرُ الْمُؤْمِنِينَ مَمْرُوجًا. ^(١).

[قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ سَعِيدٍ مُعْنَعًا عَنْ أَبِي الْجَارُودِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ﴿الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أُنْفُسُهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ الْمُؤْمِنُونَ ٥٧-٦١: نَزَلَتْ فِي عَالِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. ^(٢).

٥. وَهُمْ عليهم السلام ﴿الْأَبْرَارُ﴾:

فقد وردت ٦ مرات ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيْمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ آل عمران ١٩٣، ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ آل عمران ١٩٨، ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ الإنسان ٥، ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ الانفطار ١٣، المطففين ٢٢، ﴿كَلَّا إِنَّ

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٤١١ - ٤١٢.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٧٨ ح ٣٧٧.



كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيٍّ ﴿المطففين ١٨﴾ .

جاء في التفسير [والأبرار جمع برّ، وهو الذي برّ الله بطاعته إياه حتى أرضاه؛ وأصل البرّ الإتساع؛ فالبرّ الواسع من الأرض خلاف البحر؛ والبرّ صلة الرحم؛ والبرّ العمل الصالح؛ والبرّ الحنطة؛ وأبرّ الرجل على أصحابه أي زاد عليهم.]^(١).

وكذلك [والأبرار جمع برّ بفتح الباء؛ صفة مشبهة من البرّ وهو الإحسان؛ ويتحصّل معناه في أن يُحسن الإنسان في عمله من غير أن يريد به نفعاً يرجع إليه من جزاءٍ أو سُكُور؛ فهو يريدُ الخيرَ لأنه خير؛ لا لأنّ فيه نفعاً يرجعُ الى نفسه؛ وإن كرهت نفسه ذلك فيصبر على مُرِّ مخالفةِ نفسه فيما يُريده؛ ويعملُ العملَ لأنه خيرٌ في نفسه كالوفاء بالنذر؛ أو لأنّ فيه خيرٌ لغيره كإطعام الطعام للمستحقين من عبادِ الله، وإذ لاخير في عمل ولا صلاح إلا بالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؛ كما قال تعالى ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الأحزاب ١٩. الى غير ذلك من الآيات، فالأبرار مؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر؛ وإذا كان إيمانهم إيماناً رُشدٍ وبصيرة فهم يرون أنفسهم عبيداً مملوكين لربهم؛ له خلقهم وأمرهم؛ لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً؛ عليهم أن لا يُريدوا إلا ما أَرَادَهُ رَبُّهُمْ؛ ولا يفعلوا إلا ما يَرْضِيهِ؛ فقدّموا إرادته على إرادة أنفسهم؛ وعملوا له؛ فصبروا على مخالفة أنفسهم فيما تهواه وتُحبه وكلفة الطاعة؛ وعملوا ما عملوه لوجه الله؛ فأخلصوا العبودية في مرحلة العمل لله سبحانه.]^(٢).

وجاء في التفسير [وفي الإحتجاج عن عليٍّ عليه السلام في حديثٍ يقول فيه للقوم بعد موتِ عمر بن الخطاب: نشدّكم بالله؛ هل فيكم أحدٌ نزل فيه وفي ولده عليه السلام إنَّ الأبرار

(١) تفسير مجمع البيان (الطبرسي): ج ٢ ص ٤٢١.

(٢) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٩ - ٢٠ ص ٤١٥ عند تفسير سورة الإنسان ٥.

يَسْرُبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿١﴾ الى آخِرِ السُّورَةِ؟ قَالُوا: لا.. [١].

كما ورد [السِّيرَازِيُّ فِي كِتَابِهِ بِالْإِسْنَادِ عَنِ الْهَدَيْلِ عَنِ مِقَاتِلِ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كُلُّ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ فَوَاللَّهِ مَا أَرَادَ بِهِ إِلَّا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَاطِمَةَ وَأَنَا وَالْحُسَيْنَ؛ لِأَنَّ نَحْنُ أَبْرَارٌ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا؛ وَقُلُوبُنَا عَلَتْ بِالطَّاعَاتِ وَالْبِرِّ؛ وَتَبَرَّاتٌ مِنَ الدُّنْيَا وَحُبِّهَا؛ وَأَطَعْنَا اللَّهَ فِي جَمِيعِ فَرَائِضِهِ وَأَمَنَّا بِوَحْدَانِيَّتِهِ؛ وَصَدَقْنَا بِرَسُولِهِ. [٢]. وقيل جاريتهم فِضَّةٌ تُلْحَقُ بِهِمْ.

٦. أَنَّهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَعْتُوا بِحَبْلِ اللَّهِ ﴿١﴾ وَأَنَّهُمْ السَّلْمُ ﴿٢﴾:

فقد ورد [... عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ فِي هَيْئَةِ أَعْرَابِيٍّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ بِأبي أنتَ وأُمِّي؛ مَا مَعْنَى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أُلْ عَمْرَان ١٠٣؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَا نَبِيُّ اللَّهِ؛ وَعَلِيٌّ حَبْلُهُ. فَخَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ وَهُوَ يَقُولُ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَ(اعْتَصَمْتُ) بِحَبْلِهِ. [٣].

[وروى جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿السَّلْمُ﴾ (٤) هو آل محمد؛ أمر الله بالدخول فيه؛ وهم حبل الله الذي أمر بالإعتصام به؛ قال الله ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. [٥].

[عن ابن يزيد قال سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال: علي بن أبي طالب حبل الله المتين. [٦].

(١) تفسير الميزان (الطباطبائي): ج ١٩-٢٠ ص ٤٢٣ بحث روائي عند تفسير الآية الإنسان ٢٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليه السلام: ج ٤ ص ٢ بابُ إمامة أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام؛ فصل في المقدمات.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ص ٩٠ ح ٧٠.

(٤) البقرة ٢٠٨. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٠٢ ح ٢٩٨.

(٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٤ ح ١٢٢.

وكذلك فإن أمير المؤمنين عليه السلام هو المعنيُّ بـ ﴿النَّاسِ﴾، فقد ورد [... عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَشَاءُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ أَلْ عَمْرَانَ ١١٢؟ قَالَ: مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهَا؟ قَالَ: قُلْتُ يَقُولُونَ حَبْلٌ مِنَ اللَّهِ كِتَابُهُ؛ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ عَهْدُهُ الَّذِي عَاهَدَ إِيَّيْهِمْ. قَالَ: كَذَبُوا. قَالَ قُلْتُ: مَا تَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ فَقَالَ لِي: حَبْلٌ مِنَ اللَّهِ كِتَابُهُ؛ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.]^(١).

وأما الرواية التالية [رَوَى الشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَبُو الْفَتْحِ الْكِرَاجُكِيُّ رحمته الله فِي كِتَابِهِ كَنْزِ الْفَوَائِدِ مَرْفُوعًا إِلَى الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عليه السلام؛ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَلَا تَرَى النَّاسَ قَدْ وَقَعُوا إِلَى الْأَحَادِيثِ؟ قَالَ: وَقَدْ فَعَلَوْهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: سَيَكُونُ بَعْدِي فِتْنَةٌ، قُلْتُ: فَمَا الْمَخْرُجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ؛ فِيهِ نَبَأٌ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ؛ هُوَ الْفَضْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ؛ مَا تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ إِلَّا قَصَمَهُ اللَّهُ؛ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى؛ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْأَمْتِينَ؛ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؛ وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ؛ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ؛ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ؛ وَلَا يَخْلُقُ^(٢) عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ؛ وَلَا تَقْضِي عَجَابُهُ. هُوَ الَّذِي لَمْ يَثْنِهِ الْجِنُّ حِينَ سَمِعْتَهُ أَنْ قَالُوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ العن ١-٢. مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ؛ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ؛ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ؛ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ.]^(٣).



(١) تفسير فورات الكوفي: ص ٩٢ ح ٧٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج ٢ ص ٢١٤: أَخْلَقَ الشَّيْءُ وَخَلِقَ: إِذَا بَلَى. وَأَخْلَقْتُهُ أَنَا: أَبْلَيْتُهُ ... وَيُقَالُ ثَوَّبَ خَلَقَ وَمِلْحَفَةٌ خَلَقٌ، يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكُورُ وَالْمَوْثُ، خَلَقَ الثَّوْبُ: بَلَى وَتَقَادَمَ عَهْدُهُ، مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ: بَابُ (خَلَقَ): ه ج ص ١٥٨.

(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٩٩-١٠٠ طرائف من الأخبار في بيان عظمة القرآن الكريم.

فأقول لاتعارض بين هذه الرواية والروايات السابقة لها مطلقاً؛ لأن أهل البيت عليهم السلام هم القرآن الناطق، والثقل الصادق، لأن القرآن لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان. كما ورد في الرواية التالية:

[حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى انْتَجَبَنَا لِنَفْسِهِ؛ فَجَعَلَنَا صَفْوَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ وَأَمْنَاهُ عَلَيَّ وَحِيَهُ وَخَزَانَهُ فِي أَرْضِهِ وَمَوْضِعَ سِرِّهِ وَعَيْبَةَ عِلْمِهِ، ثُمَّ أَعْطَانَا الشَّفَاعَةَ؛ فَنَحْنُ أُذُنُهُ السَّامِعَةُ وَعَيْنُهُ النَّاطِرَةُ وَلِسَانُهُ النَّاطِقُ بِأُذُنِهِ وَأَمْنَاؤُهُ عَلَيَّ مَا نَزَلَ مِنْ عُدْرٍ وَنُذْرٍ وَحُجَّةٍ. (١)]

وكما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله: [أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله بِالْهُدَى؛ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ؛ وَأَنْتُمْ أُمِّيُونَ عَنِ الْكِتَابِ وَمَنْ أَنْزَلَهُ؛ وَعَنِ الرَّسُولِ وَمَنْ أَرْسَلَهُ؛ ... وَذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ؛ فَلَنْ يَنْطِقَ لَكُمْ، أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ أَنْ فِيهِ عِلْمٌ مَا مَضَى وَعِلْمٌ مَا يَأْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيَانَ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ؛ فَلَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ لَأَخْبَرْتُكُمْ عَنْهُ لِأَنِّي أَعْلَمُكُمْ... (٢)].

وفي الحديث النبوي الشريف أنهم الثقل الأصغر؛ كما جاء في الرواية التالية عن أمير المؤمنين عليه السلام: [وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ: إِنِّي فَرَطُكُمْ (٣)؛ وَإِنَّكُمْ وَارِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ؛ حَوْضٌ عَرْضُهُ مَا بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَصَنْعَاءَ؛ فِيهِ قُدْحَانٌ مِنْ فِضَّةٍ عَدَدَ النُّجُومِ. أَلَا وَإِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنِ الثَّقَلَيْنِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَمَا الثَّقَلَانِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ؛ طَرْفُ بَيْدِ اللَّهِ وَطَرْفُ بَأْيَدِيكُمْ؛ فَتَمَسَّكُوا بِهِ لَنْ تَضَلُّوا وَلَنْ تَرْتُلُوا. وَالثَّقَلُ الْأَصْغَرُ عِزَّتِي وَأَهْلُ بَيْتِي؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَنَى اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

(١) بصائر الدرجات: ج ١ ص ٦٢ ح ٧.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٢ - ٣.

(٣) الْفَرَطُ الْمُتَقَدِّمُ وَالْمَعْنَى إِنِّي أَتَقَدَّمُكُمْ إِلَى الْحَوْضِ.

أَتَمَّهَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ كِإِصْبَعِي هَاتَيْنِ؛ وَجَمَعَ بَيْنَ سَبَابَتَيْهِ؛ وَلَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ؛ وَجَمَعَ بَيْنَ سَبَابَتَيْهِ وَالْوُسْطَى؛ فَتَفْضَلُ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ^(١). أَي أَنَّهُمْ عَدَلُ الْقُرْآنِ.

٧. أَنَّهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ:

فَقَدْ وَرَدَ: [... عَنْ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿أُمَّ يَحْسُودُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النِّسَاءُ ٥٤؛ فَنَحْنُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ عَلَى مَا آتَانَا اللَّهُ الْإِمَامَةَ دُونَ خَلْقِ اللَّهِ.]^(٢).

٨. أَنَّهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾:

[فَرَاتٌ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الزُّهْرِيُّ مُعْنَعًا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النِّسَاءُ ٥٩؛ قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قُلْتُ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يُسَمِّيَ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ فِي كِتَابِهِ؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَتَقُولُونَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ الصَّلَاةَ وَلَمْ يُسَمِّ ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا؛ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ؛ وَأَنْزَلَ الْحَجَّ فَلَمْ يُنْزِلْ طُوفُوا أُسْبُوعًا؛ فَفَسَّرَ لَهُمْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقَالَ فِيهِ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ؛ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِي؛ إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ لَا يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ؛ فَأَعْطَانِي ذَلِكَ؛ فَلَا تَعْلَمُوهُمْ؛ فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ؛ إِنَّهُمْ لَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ بَابِ هُدَى؛ وَلَنْ يَدْخُلُواكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ. وَلَوْ سَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يُبَيِّنْ أَهْلَهَا لَادَّعَاهَا أُلُ عَبَّاسٍ وَأُلُ

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٣.

(٢) بصائر الدرجات: ج ١ ص ٣٥ ب ١٧ باب في أئمة آل محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجِبَ طَاعَتَهُمْ وَمُودَتَهُمْ وَهُمْ الْمَحْسُودُونَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ح ٥.

عَقِيلٍ وَأَلْ فَلَانٍ وَأَلْ فَلَانٍ؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الأحزاب ٣٣، فَكَانَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَفَاطِمَةُ عليها السلام تَأْوِيلَ هَذِهِ الْآيَةِ؛ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِيَدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَأَدْخَلَهُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ ثَقَلًا وَأَهْلًا؛ فَهَؤُلَاءِ ثَقَلِي وَأَهْلِي. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ إِلَى (عَلَى) خَيْرٍ؛ وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ ثَقَلِي وَأَهْلِي. فَلَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ عَلِيٌّ أَوْلَى النَّاسِ بِهَا لِكَبْرِهِ؛ وَلَمَّا بَلَغَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَقَامَهُ وَأَخَذَهُ بِيَدِهِ. (١).

كذلك ورد [فُرَاتٌ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَزَارِيُّ مُعْنَعًا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قَالَ: فَأُولِي الْأَمْرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله. (٢).

كما ورد [فُرَاتٌ قَالَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ كَثِيرٍ مُعْنَعًا عَنْ عَمِّي الْحُسَيْنِ أَنَّهُ سَأَلَ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام (أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾؟ قَالَ: أُولِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ. قُلْنَا: أَخَاصُّ أَمْ عَامٌّ؟ قَالَ بَلْ خَاصُّ لَنَا (٣).

كذلك [عن جابر الجعفي قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾؟ قال: الأوصياء. (٤).

كما ورد [عنه عن أبيه عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام في رسالة: وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنَ الْقُرْآنِ فَذَلِكَ أَيْضًا مِنْ خَطَرَاتِكَ الْمُتَفَاوِتَةِ الْمُخْتَلِفَةِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ عَلَى

(١) تفسير فورات الكوفي: ص ١١٠-١١١ ح ١١٢.

(٢) تفسير فورات الكوفي: ص ١٠٨ ح ١٠٦.

(٣) تفسير فورات الكوفي: ص ١٠٨ ح ١٠٥.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٩ ح ١٦٨.

مَا ذَكَرْتُمْ؛ وَكُلُّ مَا سَمِعْتُمْ فَمَعْنَاهُ غَيْرُ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ؛ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ أَمْثَالٌ ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ دُونَ غَيْرِهِمْ؛ وَلِقَوْمٍ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ؛ وَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْرِفُونَهُ؛ فَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَمَا أَشَدَّ إِشْكَالَهُ عَلَيْهِمْ؛ وَأَبْعَدَهُ مِنْ مَذَاهِبِ قُلُوبِهِمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ .

وَفِي ذَلِكَ تَحْيِرَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعُونَ؛ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ اللَّهُ بِتَعْمِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَنْتَهُوا إِلَى بَابِهِ وَصِرَاطِهِ؛ وَأَنْ يَعْبُدُوهُ وَيَنْتَهُوا فِي قَوْلِهِ إِلَى طَاعَةِ الْقَوَامِ بِكِتَابِهِ وَالنَّاطِقِينَ عَنْ أَمْرِهِ؛ وَأَنْ يَسْتَنْطِقُوا مَا احتاجوا إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ عَنْهُمْ لَاعَنَ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ قَالَ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْطِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النساء ٨٣؛ فَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَلَيْسَ يُعْلَمُ ذَلِكَ أَبَدًا وَلَا يُوجَدُ؛ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ وُلاةَ الْأَمْرِ؛ إِذْ لَا يَجِدُونَ مَنْ يَأْتِمِرُونَ عَلَيْهِ؛ وَلَا مَنْ يَبْلُغُونَهُ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ؛ فَجَعَلَ اللَّهُ الْوُلاةَ خَوَاصَّ لِيَقْتَدِيَ بِهِمْ مَنْ لَمْ يَخْصُصْهُمْ بِذَلِكَ؛ فَافْهَمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاكَ وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ بِرَأْيِكَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ غَيْرُ مُشْتَرِكِينَ فِي عِلْمِهِ كَأَشْتَرَاكِهْمُ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْأُمُورِ؛ وَلَا قَادِرِينَ عَلَيْهِ وَلَا عَلَى تَأْوِيلِهِ؛ إِلَّا مِنْ حَدِّهِ وَبَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ؛ فَافْهَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ وَاطْلُبِ الْأَمْرَ مِنْ مَكَانِهِ تَجِدْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (١)

[فُرَاتٌ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَزَارِيُّ مُعْتَمِنًا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: يَا جَابِرُ؛ إِنْ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ؛ ذَكَوَانُ أَجْرُدٌ دَعْرٌ؛ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ بِهِ إِلَّا مَلِكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ اِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَإِنَّمَا الشَّقِيُّ الدَّامُ الْهَالِكُ مِنْكُمْ مَنْ تَرَكَ الْحَدِيثَ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَعَرَفْتُمُوهُ وَلَا نَتَ لَهُ قُلُوبِكُمْ؛ فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ؛ وَمَا ثَقُلَ عَلَيْكُمْ فَلَمْ تُطِيقُوهُ وَكَبُرَ عَلَيْكُمْ



فَلَمْ تَحْمِلُوهُ فَذُوقُوا إِنَيْنَا؛ فَإِنَّ الرَّادَّ عَلَيْنَا مُحْبَثٌ؛ أَلَمْ تَسْمَعْ اللَّهَ يَقُولُ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [١].

كما ورد [عن عبد الله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ قال: هم الأئمة. [٢].

كما ورد [وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾؛ قَالَ: هُمْ الْأئِمَّةُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؛ جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَهْلَ الْعِلْمِ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ؛ ثُمَّ أَوْجَبَ طَاعَتَهُمْ؛ فَقَالَ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [٣].

٩. أنهم عليهم السلام ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾:

[... عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الْأَعْرَافُ ١٨٠؟ قَالَ: نَحْنُ وَاللَّهِ ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا. [٤].

كما وردت الآيات: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الإسراء ١١٠، ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الحشر ٢٤. فهي مخصوصة بذات الله المقدسة.

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ١١٤-١١٥ ح ١١٦.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦٠ ح ٢٠٥.

(٣) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٢٤.

(٤) الكافي: ج ١ ص ١٤٣-١٤٤ باب النوادر ٤.

١٠. أنهم عليه السلام هم **الصّادِقِين** عليهم السلام:

فقد ورد [ح ١ - ... عَنْ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْعِجَلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ **﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ﴾** التوبة ١١٩؟ قَالَ: إِيَّانَا عَنَى.

٢- مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ﴾**؟ قَالَ: الصّادِقُونَ هُمُ الْأَيُّمَةُ وَالصّٰدِقُونَ بِطَاعَتِهِمْ. ^(١).

وَأَنَّ أَهْلَ الْمَبَاهِلَةِ عليهم السلام هُمُ الصّادِقُونَ؛ بِدَلِيلِ آيَةِ الْمَبَاهِلَةِ الْمُبَارَكَةِ **﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾** آل عمران ٦١. وبقاعدة (تَعَرَّفَ الْأَشْيَاءُ بِأَضْدَادِهَا) فَإِنَّ أَهْلَ الْمَبَاهِلَةِ عليهم السلام هُمُ الصّادِقُونَ مِنْطَقِيًّا.

١١. أنهم عليه السلام هم المعنيون بـ **﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾**:

فقد ورد [وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾** يوسف ١٠٨. يَعْنِي نَفْسَهُ؛ وَمَنْ تَبِعَهُ يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَآلَ مُحَمَّدٍ عليهم السلام.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام: يَا سَيِّدِي؛ إِنَّ النَّاسَ يُنْكِرُونَ عَلَيْكَ حَدَاثَةَ سِنِّكَ! قَالَ: وَمَا يُنْكِرُونَ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ؟ فَوَاللَّهِ؛ لَقَدْ قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ عليه السلام **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾**؛ فَمَا اتَّبَعَهُ غَيْرُ عَلِيٍّ؛ وَكَانَ ابْنُ تِسْعٍ سِنِينَ؛ وَأَنَا ابْنُ تِسْعٍ سِنِينَ. ^(٢).

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٠٨ باب مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ عليه السلام مِنَ الْكُونِ مَعَ الْأَيُّمَةِ عليهم السلام ح ٢١٠٨.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٥٨.

كما ورد [عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ ابْنِ مَجْبُوبٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ عَمَّارِ السَّابَاطِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ آل عمران ١٦٢-١٦٣. فَقَالَ: الَّذِينَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ هُمُ الْأَيْمَةُ؛ وَهُمْ وَاللَّهِ يَا عَمَّارُ دَرَجَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ وَبِوَالَيْتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ إِيَّانَا يُضَاعَفُ اللَّهُ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ؛ وَيَرْفَعُ اللَّهُ لَهُمُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى. [١].

إستدراك وتأمل:

تأمل الآيتين الكريمتين التاليتين والتين تمثلان محاجبتين من رسول الله صلى الله عليه وآله:

الأولى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران ٦١. والثانية: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ آل عمران ٢٠. لوجدت أن المتبعين لرسول الله صلى الله عليه وآله في المحاجة الثانية هم أنفسهم المدعوون في المحاجة الأولى (الخمسة أهل الكساء عليهم السلام). ذلك لأن هؤلاء الذين إتبعوا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أسلموا وجوههم لله تعالى كما أسلم رسول الله صلى الله عليه وآله وجهه لله تعالى. وحيث أن أهل البيت عليهم السلام هم الصادقون في الآية الأولى فهم الصادقون في الإلتباع وأسلمة وجوههم لله في الآية الثانية. واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يُحَاجُّ بِفَتْنَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ الْبَتَّةَ، بل بأهل بيته الطاهرين عليهم السلام حصراً.

ولسان حالهم عليهم السلام ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ إبراهيم عليه السلام ١١.

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٣٠ باب فيه نُكْتُ وَتُفُّ مِنَ التَّنْزِيلِ فِي الْوَلَايَةِ ح ٨٤.

١٢. أنهم ﷺ هم الهداة ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾:

فقد ورد [ح١ - ... عَنِ الْفَضِيلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ الرَّعْدُ ٧؟ فَقَالَ: كُلُّ إِمَامٍ هَادٍ لِلْقَرْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِمْ. ح٢. عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَمِيرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ بُرَيْدِ الْعَجَلِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُنذِرُ؛ وَلِكُلِّ زَمَانٍ مَنَا هَادٍ يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ؛ ثُمَّ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيُّ ثُمَّ الْأَوْصِيَاءُ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ.

ح٣ - ... عَنْ سَعْدَانَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُنذِرُ وَعَلِيُّ الْهَادِي. يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؛ هَلْ مِنْ هَادٍ الْيَوْمَ؟ قُلْتُ: بَلَى؛ جَعَلْتُ فِدَاكَ؛ مَا زَالَ مِنْكُمْ هَادٍ بَعْدَ هَادٍ حَتَّى دُفِعَتْ إِلَيْكَ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؛ لَوْ كَانَتْ إِذَا نَزَلَتْ آيَةٌ عَلَى رَجُلٍ ثُمَّ مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مَاتَتِ الْآيَةُ مَاتَ الْكِتَابُ!؛ وَلَكِنَّهُ حَيٌّ يَجْرِي فِيْمَنْ بَقِيَ؛ كَمَا جَرَى فِيْمَنْ مَضَى.

ح٤ - ... عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾؛ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُنذِرُ وَعَلِيُّ الْهَادِي، أَمَا وَاللَّهِ؛ مَا ذَهَبَتْ مِنَّا وَمَا زَالَتْ فِينَا إِلَى السَّاعَةِ. [١].

كما ورد [... عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطَا قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾؛ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُنذِرُ؛ وَعَلِيُّ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ. [٢].

(١) الكافي: ج١ ص ١٩١-١٩٢ بَابُ أَنَّ الْأئِمَّةَ ﷺ هُمُ الْهُدَاةُ. ح١-٤.

(٢) بصائر الدرجات: ج١ ص ٣٠ ح٢.

كما ورد [... عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِطَهْوَرٍ؛ فَلَمَّا فَرَغَ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَأَلْزَمَهَا يَدَهُ؛ ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ ثُمَّ ضَمَّ يَدَهُ إِلَى صَدْرِهِ؛ قَالَ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ أَنْتَ أَصْلُ الدِّينِ وَمَنَارُ الْإِيمَانِ وَغَايَةُ الْهُدَى وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّجِينَ ، أَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ.]^(١).

١٣. أَنَّهُمْ عليهم السلام هُمُ ﴿أَهْلُ الذِّكْرِ﴾:

فقد ورد [ح ١. الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَاءِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجَلَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٢)؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: الذِّكْرُ أَنَا وَالْأَيُّمَةُ أَهْلُ الذِّكْرِ .

وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾ الزخرف ٤٤ ؟

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: نَحْنُ قَوْمُهُ؛ وَنَحْنُ الْمَسْئُولُونَ.

ح ٢. الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَوْرَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؟ قَالَ: الذِّكْرُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله؛ وَنَحْنُ أَهْلُهُ الْمَسْئُولُونَ.

قَالَ: قُلْتُ قَوْلُهُ ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾؟ قَالَ: إِيَّانَا عَنِي؛ وَنَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ؛ وَنَحْنُ الْمَسْئُولُونَ.

ح ٣. الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَاءِ قَالَ: سَأَلْتُ الرَّضَاءَ عليه السلام؛ فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾؟ فَقَالَ: نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ؛ وَنَحْنُ الْمَسْئُولُونَ. قُلْتُ: فَانْتُمْ الْمَسْئُولُونَ وَنَحْنُ السَّائِلُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: حَقًّا عَلَيْنَا أَنْ

(١) بصائر الدرجات: ج ١ ص ٣١٣٠ ح ٨.

(٢) النحل ٤٣ - ٤٤ ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ بِالْيَبْيَاتِ وَالزُّبُرِ، الْأَنْبِيَاءُ ٧.

نَسَأَلُكُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: حَقًّا عَلَيْكُمْ أَنْ تُجِيبُونَا؟ قَالَ: لَا^(١)؛ ذَاكَ إِيَّاِنَا إِنْ شِئْنَا فَعَلْنَا؛ وَإِنْ شِئْنَا لَمْ نَفْعَلْ؛ أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

ح ٥. أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ رَبِيعٍ عَنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾؟ قَالَ: الذِّكْرُ الْقُرْآنُ؛ وَنَحْنُ قَوْمُهُ؛ وَنَحْنُ الْمَسْئُولُونَ.

ح ٧. مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنِ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ مَنْ عِنْدَنَا يَزْعُمُونَ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَمَّهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى! قَالَ: إِذَا يَدْعُونَكُمْ إِلَى دِينِهِمْ؛ قَالَ: قَالَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ؛ نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ وَنَحْنُ الْمَسْئُولُونَ.

ح ٨. عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَاءِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: عَلَى الْأَئِمَّةِ مِنَ الْفَرَضِ مَا لَيْسَ عَلَى شِيعَتِهِمْ؛ وَعَلَى شِيعَتِنَا مَا لَيْسَ عَلَيْنَا؛ أَمْرُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْأَلُونَا؛ قَالَ ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ فَأَمْرُهُمْ أَنْ يَسْأَلُونَا؛ وَلَيْسَ عَلَيْنَا الْجَوَابُ؛ إِنْ شِئْنَا أَجَبْنَا وَإِنْ شِئْنَا أَمْسَكْنَا. [٣].

(١) ذلك لأنَّ كلَّ سؤالٍ ليس بمُستحقٍّ للجواب؛ ولا كلَّ سائلٍ بالحرى أن يجاب؛ وربَّ جوهرٍ علمٍ ينبغي أن يكون مكنوناً؛ وربَّ حُكْمٍ ينبغي أن يكون مكتوماً.

(٢) سورة ص ٣٩. والآية موردُها وإن كان سليمان عليه السلام إلا أنَّه يجري في سائرِ الولاية والأئمة عليهم السلام؛ ﴿فَامْنُنْ﴾ من المِنَّة وهي العطاء؛ أي فأعطِ منه ما شئتَ أو أمسك؛ مفوضاً إليك التصرفُ فيه.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٢١٠-٢١٢ أنَّ أهلَ الذِّكْرِ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ بِسُؤَالِهِمْ هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام ح ١-٨.

١٤. أنهم ﷺ هم من ورث ﴿الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾:

فقد ورد [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ عَنْ حَمَّادِ اللَّحَّامِ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: نَحْنُ وَاللَّهِ نَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ وَمَا فِي النَّارِ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ. قَالَ: فَبُهِتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ؛ قَالَ فَقَالَ: يَا حَمَّادُ؛ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ - ثَلَاثُ مَرَاتٍ، قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل ٨٩، إِنَّهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؛ فِيهِ تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ. (١)].

١٥. أنهم ﷺ الأئمة ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾:

فقد ورد [أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيْسَى عَنْ رَبِيعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ الإسراء ٧١؟ قَالَ: يَجِيءُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي فِرْقَةٍ؛ وَعَلِيٌّ فِي فِرْقَةٍ؛ وَالْحَسَنُ فِي فِرْقَةٍ؛ وَالْحُسَيْنُ فِي فِرْقَةٍ؛ وَكُلُّ مَنْ مَاتَ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٍ جَاءُوا مَعَهُ. (٢)].

كما ورد [عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُويْدٍ عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾؟ فَقَالَ: نَدْعُوا كُلَّ قَرْنٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ﴿بِإِمَامِهِمْ﴾. قُلْتُ: فَيَجِيءُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَرْنِهِ؛ وَعَلِيٌّ ﷺ فِي قَرْنِهِ؛ وَالْحَسَنُ ﷺ فِي قَرْنِهِ؛ وَالْحُسَيْنُ ﷺ فِي قَرْنِهِ؛ وَكُلُّ إِمَامٍ فِي قَرْنِهِ الَّذِي هَلَكَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ؟. قَالَ: نَعَمْ. (٣)].

(١) بصائر الدرجات: ج ١ ص ١٢٨ ح ٤. مع نقل النص من البحار: ج ٨٩ ص ١٠٢ ح ٧٧.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٣.

(٣) المحاسن: ج ١ ص ١٤٤ ح ٤٤.

كذلك ورد [حدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَالِبٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾؛ قَالَ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ أَلَسْتَ إِمَامَ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَجْمَعِينَ؟ فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ وَلَكِنْ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ عَلَى النَّاسِ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي؛ يَقُومُونَ فِي النَّاسِ فَيَكْذِبُونَ؛ وَيَظْلِمُهُمْ أُمَّةٌ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَأَشْيَاعُهُمْ؛ أَلَا وَمَنْ وَالْأَهْمُ وَاتَّبَعَهُمْ وَصَدَّقَهُمْ فَهُوَ مِنِّي وَمَعِي وَسَيَلْقَانِي؛ أَلَا وَمَنْ ظَلَمَهُمْ وَأَعَانَ عَلَى ظَلْمِهِمْ وَكَذَّبَهُمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَا مَعِي؛ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ. (١).

١٦. أَنَّهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأُمَّةُ الْوَارِثُونَ ﴿وَنَجْعَلُهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾:

فقد ورد [قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَمَرَ الزُّهْرِيُّ مُعْتَمِدًا عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَامِ الْجُعْفِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ؛ إِنَّ خَيْثَمَةَ الْجُعْفِيَّ حَدَّثَنِي عَنْكَ أَنَّهُ سَأَلَكَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﴿وَنَجْعَلُهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ الْقِصَصِ ٥؛ وَأَنَّكَ حَدَّثْتَهُ أَنَّكُمْ الْأُمَّةُ؛ وَأَنَّكُمْ الْوَارِثِينَ؟ قَالَ: صَدَقَ وَاللَّهِ خَيْثَمَةُ؛ لَهَكَذَا حَدَّثْتُهُ. (٢)].

كذلك ورد: [١ - ... عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَظَرَ إِلَى عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ (عليهم السلام) فَبَكَى؛ وَقَالَ: أَنْتُمْ الْمُسْتَضْعَفُونَ بَعْدِي. قَالَ الْمُفَضَّلُ فَقُلْتُ لَهُ: مَا مَعْنَى ذَلِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَعْنَاهُ أَنَّكُمْ الْأُمَّةُ بَعْدِي؛ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾. فَهَذِهِ الْآيَةُ جَارِيَةٌ فِينَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (٣)].

(١) بصائر الدرجات: ج ١ ص ٣٣ ب ١٦ فيه معرفة أئمة الهدى من أئمة الضلال ح ١.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٣١٤ - ٣١٥ ح ٤٢٢.

(٣) معاني الأخبار: ص ٧٩ باب معنى قول النبي ص لعلي والحسن والحسين أنهم المستضعفون بعدي.

١٧. انهم ﷺ الشهداء ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾:

فقد ورد [قَالَ حَدَّثَنَا فِرَاتُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكُوفِيُّ مُعْتَمِنًا عَنْ بَرِيدٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ (ع)؛ فَسَأَلْتُهُ وَقُلْتُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ الحج ٧٧-٧٨؟ قَالَ: إِيَّانَا عَنِي؛ وَنَحْنُ الْمُجْتَبُونَ؛ وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا فِي الدِّينِ مِنْ ضَيْقٍ؛ وَالْحَرَجُ أَشَدُّ مِنَ الضَّيْقِ؛ ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ إِيَّانَا عَنِي خَاصَّةً؛ ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ سَمَّاْنَا الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ فِي الْكُتُبِ الَّتِي مَضَتْ؛ ﴿وَفِي هَذَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾؛ فَالرَّسُولُ الشَّهِيدُ عَلَيْنَا (بِمَا بَلَّغْنَا عَنِ اللَّهِ)؛ وَنَحْنُ الشُّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ؛ فَمَنْ صَدَّقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقْنَاهُ؛ وَمَنْ كَذَّبَ كَذَّبْنَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (١).

كذلك قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة ١٤٣. فقد ورد:

[ح١... عَنِ الْحَلَبِيِّ عَنِ هَارُونَ بْنِ خَارِجَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؛ قَالَ: نَحْنُ الشُّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَمَا صَيَّعُوا مِنْهُ.

ح٢. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ فِي كِتَابِ بُنْدَارِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؟ قَالَ: هُمْ الْأُمَّةُ.

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٧٥-٢٧٦.

ح ٣. حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَدِينَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؟ قَالَ: نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَسْطَى؛ وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَّتُهُ فِي أَرْضِهِ.

ح ٤. ... عَنْ مَيْمُونِ الْبَانِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؛ قَالَ: عَدْلًا لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ؛ قَالَ: الْأُمَّةُ، ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ قَالَ: عَلَى الْأُمَّةِ.

ح ٥. وَعَنْهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ قَالَ: نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَسْطَى؛ وَنَحْنُ شُهَدَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ؛ وَحُجَّتُهُ فِي أَرْضِهِ.

ح ٦. حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ حَمَادِ بْنِ عَيْسَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْيَمَانِيِّ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ طَهَّرَنَا وَعَصَمَنَا؛ وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ؛ وَحُجَّتُهُ فِي أَرْضِهِ؛ وَجَعَلَنَا مَعَ الْقُرْآنِ؛ وَجَعَلَ الْقُرْآنَ مَعَنَا؛ لَا نَفَارِقُهُ وَلَا يُفَارِقُنَا. ^(١)

١٨. أَنَّهُمْ عليهم السلام هُمْ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾:

فقد ورد [ح ٩. ... عَنْ حُمْرَانَ بْنِ عَلِيٍّ جَمِيعًا عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾

(١) بصائر الدرجات: ج ١ ص ٨٢ - ٨٣ باب ١٣ في الأئمة عليهم السلام أنهم شهداء لله في خلقه بما عندهم من الحلال والحرام ح ١ - ٦.

العنكبوت ٤٩؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ؛ مَا قَالَ فِي الْمُصْحَفِ. قُلْتُ: فَأَنْتُمْ هُمْ؟ قَالَ: فَمَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ؟.

١٠٠. حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْخَشَّابِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، قَالَ: إِيَّانَا عَنِّي. (١).

١٩. أَنَّهُمْ عليهم السلام هُمْ ﴿أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهَّرُهُمْ تَطْهِيرًا﴾ .

فقد ورد [وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الاحزاب ٣٣. قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام؛ وَذَلِكَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؛ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهم السلام؛ ثُمَّ أَلْبَسَهُمْ كِسَاءً خَيْرِيًّا؛ وَدَخَلَ مَعَهُمْ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي الَّذِينَ وَعَدْتَنِي فِيهِمْ مَا وَعَدْتَنِي؛ اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا؛ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؛ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: أَبْشِرِي يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ.

وَقَالَ أَبُو الْجَارُودِ قَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: إِنَّ جُهَاًلًا مِنَ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أَنَّمَا أَرَادَ بِهِذِهِ الْآيَةِ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؛ وَقَدْ كَذَّبُوا وَأَثَمُوا؛ لَوْ عَنَى بِهَا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله لَقَالَ: لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيرًا!، وَلَكَانَ الْكَلَامُ مُؤْتَنًا كَمَا قَالَ ﴿وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾؛ ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾؛ ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ السَّاءِ﴾. (٢).

(١) بصائر الدرجات: ج ١ ص ٢٠٦ ح ٩، ح ١٠٠.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٩٣.

٢٠. أنهم عليهم السلام هم أهل الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ الشورى ٢٣.

فقد ورد [ح ٤٦]. عَنْهُ عَنِ ابْنِ مَجْبُوبٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْأَحْوَلِ عَنْ سَلَامِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ فَقَالَ: هِيَ وَاللَّهِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فِي أَهْلِ بَيْتِهِ.

٤٨. ورد عَنْهُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَزَّازِ عَنْ مُثَنَّى الْحَنَاطِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجَلَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ فَقَالَ: هُمُ الْأَيُّمَةُ الَّذِينَ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ وَلَا تَحِلُّ لَهُمْ ^(١).
كما ورد [... حَدَّثَنِي عَمِّي عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عليه السلام قَالَ: خَطَبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام حِينَ قُتِلَ عَلِيُّ عليه السلام ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ افْتَرَضَ اللَّهُ مَوَدَّتَهُمْ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، حَيْثُ يَقُولُ ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾، فَاقْتَرَأَ الْحَسَنَةُ مَوَدَّتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ^(٢).

٢١. أَنَّ الرُّوحَ عليه السلام مَلِكٌ خَاصٌّ بِهِمْ.

فقد ورد في نهج البلاغة وصفاً له:

[أَنَا وَصَعْتُ فِي الصُّعْرِ بِكَلاَئِلِ الْعَرَبِ؛ وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَيْبَعَةٍ وَمُضَرَ؛ وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ؛ وَصَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ (وَلِيدٌ)؛ يَضْمُنِي إِلَى صَدْرِهِ؛ وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ؛ وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ؛

(١) المحاسن: ج ١ ص ١٤٤-١٤٥ باب ١٣ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ح ٤٦، ح ٤٨.

(٢) مسائل علي بن جعفر: ص ٣٢٨ ح ٨١٧.

وَيُشْمِنِي عَرَفَهُ؛ وَكَانَ يَمْضَعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يَلْقَمُنِيهِ؛ وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ؛ وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ؛ يَسْأَلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ؛ وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثْرَ أُمِّهِ؛ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا؛ وَيَأْمُرُنِي بِالْإِفْتِدَاءِ بِهِ. وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بَحْرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي؛ وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنِي وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةَ؛ وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوَّةِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَتَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ مَا هَذِهِ الرَّتَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ؛ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى؛ إِلَّا أَنْكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ؛ وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ؛ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ. (١)

كما ورد [... عَنْ النَّضْرِ بْنِ سُؤَيْدٍ عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ الشورى ٥٢. قَالَ: خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمَ مِنْ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ؛ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ وَيَسُدُّدُهُ؛ وَهُوَ مَعَ الْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ. (٢)

كذلك ورد [حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْبَرْقِيِّ عَنْ أَبِي الْجَهْمِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ قَالَ: سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ وَأَنَا حَاضِرٌ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾؟ فَقَالَ: مُنْذُ أَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ الرُّوحَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ يَصْعُدْ إِلَى السَّمَاءِ؛ وَإِنَّهُ لَفِينَا. (٣)

(١) نهج البلاغة (صبحي الصالح): ص ٣٠١ باب فضل الوحي .

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢٧٣ بَابُ الرُّوحِ الَّتِي يُسَدِّدُ اللَّهُ بِهَا الْأَئِمَّةَ ﷺ ح ١.

(٣) بصائر الدرجات: ج ١ ص ٤٥٧ باب ١٦ الروح التي قال الله تعالى في كتابه ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ أنها في رسول الله ﷺ وفي الأئمة يُخْبِرُهُمْ وَيَسُدُّدُهُمْ وَيُوقِّفُهُمْ ح ١١.

٢٢. أنهم ﷺ هم من آياتِ اللهِ الباهرات:

فقد ورد [وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي لا يؤمنون به ﴿وَرَضُوا بِحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ يونس ٧ قال (أبو عبد الله ﷺ):
الآياتُ أميرُ المؤمنين والأئمةُ ﷺ؛ والدليلُ على ذلك قولُ أميرِ المؤمنين ﷺ:
مَا لِلَّهِ آيَةٌ أَكْبَرُ مِنِّي. [١].

وورد [﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ الأعراف ٩، قَالَ: بِالْأئِمَّةِ يَجْحَدُونَ. [٢].

ولاننسى أن من محض بالكفر محضاً ممكن أن يكون آية؛ مثال ذلك فرعونُ
آيةٌ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بَدَنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا
لَغَافِلُونَ﴾ يونس ٩٢.

كما ورد [وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ البلد ١٠ قَالَ: بَيْنَا لَهُ
طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ؛ قَوْلُهُ ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ البلد ١١-١٢؛
قَالَ: الْعَقَبَةُ الْأئِمَّةُ؛ مَنْ صَعَدَهَا فَكَ رَفِئَتْهُ مِنَ النَّارِ؛ ﴿أَوْ مَسَكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ البلد ١٦؛
قَالَ: لَا يَقِيهِ مِنَ التُّرَابِ شَيْءٌ، قَوْلُهُ: ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ البلد ١٨؛ قَالَ: أَصْحَابُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ قَالَ: الَّذِينَ خَالَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ؛ ﴿هُمْ
أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ البلد ١٩؛ وَقَالَ: الْمَشْأَمَةُ أَعْدَاءُ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ
مُّؤَصَّدَةٌ﴾ البلد ٢٠ أَيْ مُطَبَّقَةٌ. [٣].

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٠٩.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٢٤.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٤٢٣.



وبشأن الآية ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

الحج ٥١ .

فقد ورد: [قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ رضي الله عنه حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْعَلَوِيِّ عَنْ عَيْسَى بْنِ دَاوُدَ عَنِ الْإِمَامِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الْحَج ٥٠؟ قَالَ: أُولَئِكَ آلُ مُحَمَّدٍ عليه السلام، ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ فِي قَطْعِ مَوَدَّةِ آلِ مُحَمَّدٍ ﴿مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ قَالَ: هِيَ الْأَرْبَعَةُ نَفَرٍ. يَعْنِي التَّيْمِيَّ وَالْعَدَوِيَّ وَالْأُمَوِيِّينَ. (١).

كما ورد [﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾. قَالَ: وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِوَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَثَمَةِ عليه السلام ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ الْحَج ٥٧]. (٢).

وورد [قوله ﴿سِيرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ النمل ٩٣؛ قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَثَمَةُ عليه السلام؛ إِذَا رَجَعُوا يَعْرِفُهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ إِذَا رَأَوْهُمْ. (٣).

٢٣. أَنَّهُمْ عليه السلام نَعْتَهُمُ اللَّهُ بِ﴿النُّورِ﴾ فِي بَعْضِ آيَاتِهِ:

فقد ورد [عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الْأَعْرَافُ ١٥٧، قَالَ: النُّورُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلِيُّ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَثَمَةُ عليه السلام. (٤).

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٨٦.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٣٢.

(٤) الكافي: ج ١ ص ١٩٤ بَابُ أَنَّ الْأَثَمَةَ عليه السلام نُورُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ح ٢.

لماذا الإمام المعصوم ضرورة حتمية للناس؟ .

ولماذا الشرط في الإمام أن تكون صفاته في ذرى الكمال؟؟

أنا عاجزٌ - بكل تأكيد - عن بيان هذه الضرورة الحتمية.

لكن الإمام المعصوم عليه السلام يُجيبُ... ويبيِّنُها بكاملِ الدقة والتفصيل.

أولاً: وردَ في الرواية التالية:

[أبو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ الْعَلَاءِ رضي الله عنه رَفَعَهُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ الرَّضَا عليه السلام بِمَرَوْ؛ فَاجْتَمَعْنَا فِي الْجَامِعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي بَدْءِ مَقْدَمِنَا؛ فَأَذَارُوا أَمْرَ الْإِمَامَةِ؛ وَذَكَرُوا كَثْرَةَ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي عليه السلام؛ فَأَعْلَمْتُهُ خَوْصَ النَّاسِ فِيهِ؛ فَتَبَسَّمَ عليه السلام ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ؛ جَهَلِ الْقَوْمُ وَخُدِعُوا عَنْ آرَائِهِمْ؛ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ الدِّينَ؛ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فِيهِ تَبَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ؛ بَيَّنَّ فِيهِ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَالْحُدُودَ وَالْأَحْكَامَ وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ كَمَلًّا، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الْأَنْعَامُ ٣٨؛ وَأَنْزَلَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهِيَ آخِرُ عُمْرِهِ صلى الله عليه وآله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ الْمَائِدَةُ ٣؛ وَأَمَرُ الْإِمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ؛ وَلَمْ يَمْضِ صلى الله عليه وآله حَتَّى بَيَّنَّ لِأُمَّتِهِ مَعَالِمَ دِينِهِمْ؛ وَأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ؛ وَتَرَكَهُمْ عَلَى قَصْدِ سَبِيلِ الْحَقِّ؛ وَأَقَامَ لَهُمْ عَلِيًّا عليه السلام عُلَمَاءَ وَإِمَامًا؛ وَمَا تَرَكَ لَهُمْ شَيْئًا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَّا بَيَّنَّهُ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُكْمِلْ دِينَهُ فَقَدْ رَدَّ كِتَابَ اللَّهِ!؛ وَمَنْ رَدَّ كِتَابَ اللَّهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِهِ، هَلْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الْإِمَامَةِ وَمَحَلَّهَا مِنَ الْأُمَّةِ؟ فَيَجُوزُ فِيهَا اخْتِيَارُهُمْ!! .

إِنَّ الْإِمَامَةَ أَجَلٌ قَدْرًا وَأَعْظَمُ شَأْنًا وَأَعْلَى مَكَانًا وَأَمْنَعُ جَانِبًا وَأَبْعَدُ غَوْرًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ؛ أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ؛ أَوْ يُقِيمُوا إِمَامًا بِاخْتِيَارِهِمْ.



إِنَّ الْإِمَامَةَ حَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ النَّبِيِّ وَالْخَلَّةِ مُرْتَبَةً ثَالِثَةً؛ وَفَضِيلَةً شَرَفَهُ بِهَا؛ وَأَشَادَ^(١) بِهَا ذِكْرَهُ؛ فَقَالَ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾؛ فَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُورًا بِهَا ﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتِي﴾؟؛ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة ١٢٤؛ فَأَبْطَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ إِمَامَةَ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ وَصَارَتْ فِي الصَّفْوَةِ؛ ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَهَا فِي ذُرِّيَّتِهِ أَهْلَ الصَّفْوَةِ وَالطَّهَارَةِ؛ فَقَالَ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ. وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ الأَنْبِيَاءُ ٧٢-٧٣؛ فَلَمْ تَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِ يَرِثُهَا بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ قَرْنًا فَقَرْنًا؛ حَتَّى وَرَّثَهَا اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ جَلَّ وَتَعَالَى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَليُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آلِ عِمْرَانَ ٦٨؛ فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةً فَقَلَّدَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رَسْمِ مَا فَرَضَ اللَّهُ؛ فَصَارَتْ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ الرُّومُ ٥٦؛ فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَاصَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ؟

إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِزْتُ الْأَوْصِيَاءِ.

إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللَّهِ وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِيرَاثُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ وَنِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وَصَلَاحُ الدُّنْيَا وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ.

إِنَّ الْإِمَامَةَ أَسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي وَفَرْعُهُ السَّامِي.

(١) الاشادة رفع الصوت بالشيء.

بِالإِمَامِ تَمَامِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَتَوْفِيرِ الْفَيْءِ وَالصَّدَقَاتِ
وَإِمْضَاءِ الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ وَمَنْعِ الثُّغُورِ وَالْأَطْرَافِ.

الإِمَامُ يُحِلُّ حَلَالَ اللَّهِ وَيُحَرِّمُ حَرَامَ اللَّهِ؛ وَيُقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ؛ وَيَذُبُّ عَنِ دِينِ اللَّهِ.
وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ.

الإِمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمُجَلَّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ؛ وَهِيَ فِي الْأَفُقِ بِحَيْثُ لَا تَنَالُهَا
الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارُ.

الإِمَامُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَالسَّرَاجُ الزَّاهِرُ وَالنُّورُ السَّاطِعُ وَالنَّجْمُ الْهَادِي فِي غِيَابِ
الدُّجَى وَأَجْوَاذِ^(١) الْبُلْدَانِ وَالْقِفَارِ وَلُجَجِ.

الإِمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَا؛ وَالذَّالُّ عَلَى الْهُدَى؛ وَالْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى.

الإِمَامُ النَّارُ عَلَى الْيَفَاعِ^(٢)؛ الْحَارُّ لِمَنْ اضْطَلَّ بِهِ؛ وَالذَّلِيلُ فِي الْمَهَالِكِ؛ مَنْ فَارَقَهُ
فَهَالِكٌ؛ الإِمَامُ السَّحَابُ الْمَاطِرُ وَالْعَيْثُ الْهَاطِلُ^(٣) وَالشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ وَالسَّمَاءُ
الظَّلِيلَةُ وَالْأَرْضُ الْبَسِيطَةُ وَالْعَيْنُ الْغَزِيرَةُ وَالْعَدِيرُ وَالرَّوْضَةُ.

الإِمَامُ الْأَنْبَسُ الرَّفِيقُ وَالْوَالِدُ الشَّفِيقُ وَالْأَخُ الشَّقِيقُ وَالْأُمُّ الْبَرَّةُ بِالْوَالِدِ الصَّغِيرِ وَ
مَفْرَعُ الْعِبَادِ فِي الدَّاهِيَةِ النَّادِ^(٤).

الإِمَامُ أَمِينُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ؛ وَحُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ؛ وَخَلِيفَتُهُ فِي بِلَادِهِ؛ وَالذَّاعِي إِلَى

(١) الغيب: الظلمة وشدة السواد، وأجواز جمع الجوز؛ وهو من كل شيء وسطه.

(٢) اليفاع ما ارتفع من الأرض.

(٣) الهاطل: المطر المتتابع المتفرق العظيم القطر.

(٤) الداهية الامر العظيم؛ الناد- بفتح النون والهمزة والالف والdal- مصدر نادته الداهية- كمنعته-
إذا فدحته وبلغت منه كل مبلغ، فوصف الداهية به للمبالغة.

اللَّهِ؛ وَالذَّابُّ عَن حُرْمِ اللَّهِ.

الإمام المٌطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمُبْرَأُ عَنِ الْعُيُوبِ الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ نِظَامُ الدِّينِ وَعِزُّ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْظُ الْمُنَافِقِينَ وَبَوَارُ الْكَافِرِينَ.

الإمام واحدٌ دهره؛ لا يدانيه أحدٌ؛ ولا يعادله عالمٌ؛ ولا يوجد منه بدلٌ؛ ولا له مثلٌ ولا نظيرٌ؛ مخصوصٌ بالفضلِ كُلِّهِ؛ من غير طلبٍ منه له ولا اكتسابٍ؛ بل اختصاصٌ من المفضل الوهاب؛ فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟ هيئات هيئات؛ ضلَّت العقولُ؛ وتاهت الحُلُومُ؛ وحارت الألبابُ؛ وخسأت العيونُ^(١)؛ وتصاعرت العُظَمَاءُ؛ وتحرَّرت الحكماءُ؛ وتقاصرت الحُلَمَاءُ؛ وحصرت الخُطَبَاءُ؛ وجهلت الألياءُ؛ وكَلَّت الشعراءُ؛ وعجزت الأدبَاءُ؛ وعييت البلغاءُ عن وصفِ شأنٍ من شأنه أو فضيلةٍ من فضائله؛ وأقرت بالعجزِ والتقصيرِ؛ وكيف يوصفُ بكُلِّهِ؟ أو يُنعتُ بكُنْههِ؟ أو يفهمُ شيءٌ من أمره؟ أو يوجد من يقوم مقامه ويغني عنه؟ لا؛ كيف؟ وأنى؟ وهو بحيث النجم من يد المُنْتَوِلِينَ ووصف الواصفين؛ فأين الاختيارُ من هذا؟ وأين العقولُ عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟ أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد ﷺ؟ كذبتهم واللَّه أنفُسُهُم؛ ومَتَّهَمُ الأَبَاطِيلِ^(٢)؛ فازتقوا مرتقى صعباً دحْضاً؛ تزلُّ عنه إلى الحضيضِ أقدامُهُم، راموا إقامة الإمام بعقولٍ حائرةٍ بائرةٍ ناقصةٍ وآراءٍ مُضِلَّةٍ، فلم يزدادوا منه إلا بعداً، قاتلهم الله أنى يؤفكون؛ ولقد راموا صعباً؛ وقالوا إفاكاً؛ وصلُّوا ضللاً بعيداً؛ ووقعوا في الحيرة؛ إذ تركوا الإمام عن بصيرة؛ وزين لهم الشيطان أعمالهم؛ فصدهم عن السبيل؛ وكانوا مُستبصرين. رغبوا عن اختيارِ الله واختيارِ رسولِ الله ﷺ وأهل بيته إلى اختيارِهم

(١) الحُلُوم كالالباب: العقول، وضلَّت وتاهت وحارت متقاربة المعاني؛ وخسأت أي كلت (آت).

(٢) أوقعت في أنفسهم الأمانى الباطلة أو أضعفهم. (آت).

! وَالْقُرْآنُ يُنَادِيهِمْ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ القصص ٦٨؛ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ الأحزاب ٣٦؛ وَقَالَ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ. أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ. إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ. أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا بِالْغَيْبِ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ. سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ. أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا
بَشْرَ كَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ القلم ٣٦-٤١، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ
عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ سورة محمد ﷺ ٢٤؛ أَمْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ^(١)؛
أَمْ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا
يَعْقِلُونَ. وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾
الأنفال ٢١-٢٣؛ أَمْ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ البقرة ٩٣؛ بَلْ هُوَ ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يَوتِيهِ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الحديد ٢١؛ فَكَيْفَ لَهُمْ بِاخْتِيَارِ الْإِمَامِ؟

وَالْإِمَامُ عَالِمٌ لَا يَجْهَلُ وَرَاعٍ لَا يَنْكُلُ^(٢)؛ مَعْدِنُ الْقُدْسِ وَالطَّهَارَةِ وَالنُّسْكِ وَالزَّهَادَةِ
وَالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ؛ مَخْصُوصٌ بِدَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَنَسْلِ الْمُطَهَّرَةِ الْبُتُولِ؛ لَا مَغْمَزَ فِيهِ
فِي نَسَبٍ؛ وَلَا يُدَانِيهِ ذُو حَسَبٍ؛ فِي الْبَيْتِ مِنْ قُرَيْشٍ وَالذَّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَالْعِترَةِ مِنْ
الرَّسُولِ ﷺ وَالرِّضَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ شَرَفُ الْأَشْرَافِ وَالْفَرْعُ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ؛ نَامِي
الْعِلْمِ كَامِلُ الْحِلْمِ؛ مُضْطَلَعٌ بِالْإِمَامَةِ عَالِمٌ بِالسِّيَاسَةِ مَفْرُوضُ الطَّاعَةِ قَائِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ نَاصِحٌ لِعِبَادِ اللَّهِ^(٣) حَافِظٌ لِدِينِ اللَّهِ.

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يُوقَفُهُمُ اللَّهُ وَيُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَحِكْمِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِ

(١) مستلهمٌ من الآية (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) التوبة ٨٧.

(٢) رَاعٍ أَي حَافِظٌ لِلْأَمَّةِ، لَا يَنْكُلُ أَي لَا يَضْعَفُ وَلَا يَجِينُ.

(٣) وَلِسَانِ حَالِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَلْسَانِ حَالِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ الأعراف ٦٨.

غَيْرُهُمْ؛ فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ عِلْمِ أَهْلِ الزَّمَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ يونس ٣٥؛ وَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة ٢٦٩؛ وَقَوْلِهِ فِي طَالُوتَ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة ٢٤٧؛ وَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: أَنْزَلَ ﴿عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَدَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء ١١٣؛ وَقَالَ فِي الْأَيَّامِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ وَعِترته وَذُرِّيَّتِهِ ﷺ: أُمٌّ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ النساء ٥٤-٥٥؛ وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأُمُورِ عِبَادِهِ شَرَحَ صَدْرَهُ لِذَلِكَ؛ وَأَوْدَعَ قَلْبَهُ يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ؛ وَالْأَهْمَهُ الْعِلْمَ إِلَهَامًا؛ فَلَمْ يَعْجِ بَعْدَهُ بِجَوَابٍ؛ وَلَا يُحَيِّرُ فِيهِ عَنِ الصَّوَابِ؛ فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ؛ قَدْ آمَنَ مِنَ الْخَطَايَا وَالزَّلَلِ وَالْعِثَارِ؛ يُخْصُهُ اللَّهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ حُجَّتَهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ وَشَاهِدَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ؛ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ؛ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، فَهَلْ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا فَيَخْتَارُونَهُ؟ أَوْ يَكُونُ مُخْتَارَهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَيَقْدِمُونَهُ؟ تَعَدَّوْا وَبَيَّتِ اللَّهُ الْحَقَّ؛ وَنَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ؛ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ! وَفِي كِتَابِ اللَّهِ الْهُدَىٰ وَالشِّفَاءَ؛ فَنَبَذُوهُ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ؛ فَذَمَّهُمُ اللَّهُ وَمَقْتَهُمْ وَاتَّعَسَهُمْ، فَقَالَ جَلَّ وَتَعَالَى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ القصص ٥٠؛ وَقَالَ ﴿فَتَعَسَّأَ لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَاهُمْ﴾^(١)؛ وَقَالَ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ غافر ٣٥، وَصَلَّى

اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. [١].

ثانياً: ... عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ غَالِبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي خُطْبَةٍ لَهُ يَذْكُرُ فِيهَا حَالَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام وَصِفَاتِهِمْ:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْصَحَ بِأَيِّمَةِ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا عَنْ دِينِهِ؛ وَأَبْلَجَ بِهِمْ عَنْ سَبِيلِ مِنْهَاجِهِ؛ وَفَتَحَ بِهِمْ عَنْ بَاطِنِ يَنَابِيعِ عِلْمِهِ، فَمَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وَاجِبَ حَقِّ إِمَامِهِ وَجَدَّ طَعْمَ حَلَاوَةِ إِيْمَانِهِ؛ وَعَلِمَ فَضْلَ طُلَاوَةِ إِسْلَامِهِ (٢)؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَصَبَ الْإِمَامَ عَلِمًا لِحَلْقِهِ؛ وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ مَوَادِهِ وَعَالَمِهِ (٣)؛ وَالْبَسَهُ اللَّهُ تَاجَ الْوَقَارِ؛ وَغَشَّاهُ مِنْ نُورِ الْجَبَّارِ، يُمَدُّ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ؛ لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ مَوَادُّهُ؛ وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِجَهَةِ أَسْبَابِهِ؛ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ؛ فَهُوَ عَالِمٌ بِمَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ مُلْتَبَسَاتِ الدُّجَى وَمُعَمَّيَاتِ الشُّنَنِ وَمُشَبَّهَاتِ الْفِتَنِ، فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَخْتَارُهُمْ لِحَلْقِهِ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنْ عَقَبِ كُلِّ إِمَامٍ؛ يَصْطَفِيهِمْ لِذَلِكَ وَيَجْتَبِيهِمْ؛ وَيَرْضَى بِهِمْ لِحَلْقِهِ وَيَرْضِيهِمْ؛ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ إِمَامٌ نَصَبَ لِحَلْقِهِ مِنْ عَقِبِهِ إِمَامًا عَلِمًا بَيْنًا وَهَادِيًا نِيرًا وَإِمَامًا قِيَمًا وَحُجَّةً عَالِمًا أَيْمَةً مِنَ اللَّهِ ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ الاعراف ١٥٩ حُجَّجَ اللَّهُ وَدُعَاتُهُ وَرِعَاتُهُ عَلَى خَلْقِهِ؛ يَدِينُ بِهِدِيهِمْ. [٤].

(١) الكافي: ج ١ ص ١٩٨ - ٢٠٣ بَابُ نَادِرٍ جَامِعٌ فِي فَضْلِ الْإِمَامِ وَصِفَاتِهِ ح ١.

(٢) الطلاوة الحسن والبهجة والقبول.

(٣) المواد جمع المادّة، وهي الزيادة المتّصلة. والمراد جميع الزيادات المتّصلة به من جميع المخلوقات، اتّصال صدور و وجود منه، واستكمال لهم به، واستفاضة منه.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ بَابُ نَادِرٍ جَامِعٌ فِي فَضْلِ الْإِمَامِ وَصِفَاتِهِ ح ٢.

ثالثاً: الإمام المعصوم هو وليُّ الأمرِ طاعته واجبة:

[... عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:

إِنَّمَا الطَّاعَةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ وَلِوَلَاةِ الْأَمْرِ، وَإِنَّمَا أَمْرٌ بِطَاعَةِ أَوْلِي الْأَمْرِ لِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مُطَهَّرُونَ؛ وَلَا يَأْمُرُونَ بِمَعْصِيَتِهِ. ^(١)

و ورد [... عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِأَيِّ شَيْءٍ يُجْتَنَجُ إِلَى النَّبِيِّ وَالْإِمَامِ؟ فَقَالَ: لِبَقَاءِ الْعَالَمِ عَلَى صَلَاحِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْفَعُ الْعَذَابَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِذَا كَانَ فِيهَا نَبِيٌّ أَوْ إِمَامٌ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ الأنفال ٣٣.

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (النُّجُومُ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ؛ وَأَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى أَهْلَ السَّمَاءِ مَا يَكْرَهُونَ، وَإِذَا ذَهَبَ أَهْلُ بَيْتِي أَتَى أَهْلَ الْأَرْضِ مَا يَكْرَهُونَ)، يَعْنِي بِأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَئِمَّةَ الَّذِينَ قَرَنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَاعَتَهُمْ بِطَاعَتِهِ فَقَالَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء ٥٩؛ وَهُمْ الْمَعْصُومُونَ الْمُطَهَّرُونَ الَّذِينَ لَا يُذْنِبُونَ وَلَا يَعْصُونَ؛ وَهُمْ الْمُؤَيَّدُونَ الْمُوَفَّقُونَ الْمُسَدَّدُونَ؛ بِهِمْ يَرْزُقُ اللَّهُ عِبَادَهُ؛ وَبِهِمْ تُعْمَرُ بِلَادُهُ؛ وَبِهِمْ يُنَزَّلُ الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ؛ وَبِهِمْ يُخْرِجُ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ؛ وَبِهِمْ يُمَهَّلُ أَهْلُ الْمَعَاصِي وَلَا يُعَجَّلُ عَلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ؛ لَا يُفَارِقُهُمْ رُوحُ الْقُدُسِ وَلَا يُفَارِقُونَهُ؛ وَلَا يُفَارِقُونَ الْقُرْآنَ وَلَا يُفَارِقُهُمْ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. ^(٢)

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ١٢٣-١٢٤ ب ١٠٢ العلة التي من أجلها أمر الله تعالى بطاعة الرسل والأئمة صلوات الله عليهم ح ١.

(٢) علل الشرائع: ج ١ ص ١٢٣-١٢٤ ب ١٠٣ العلة التي من أجلها يحتاج إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ح ١.

مسك الختام (جولة في كتب المخالفين):

تعرضنا في مبحثنا هذا الى ٤٨ آية مباركة من القرآن الكريم؛ تضمنت (الصفات الكاملة المنشودة) التي تمثل أرقى درجات الكمال والسمو؛ وكلها وردت في فضل آل محمد ﷺ؛ وفي الإشادة بعظيم مكانتهم؛ وما ذاك إلا غيظ من فيض؛ كيف لا! وهم عدل القرآن؛ ومقامهم في الذروة عند الله تبارك وتعالى وعند رسوله ﷺ.

حديث [أنت مني وأنا منك]:

روى البخاري (على عظيم شأنه لآل البيت ﷺ) في كتابه مرغماً الحديث النبوي الشريف الآتي بحق أمير المؤمنين ﷺ [أنت مني وأنا منك] والحديث بتمامه:

[حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدْخُلُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ، حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَتَبُوا الْكِتَابَ كَتَبُوا (هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ). قَالُوا: لَا نَفِرُّ بِهَذَا، لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا مَنَعْنَاكَ شَيْئًا، وَلَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: امْحُ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ عَلِيٌّ: لَا وَاللَّهِ؛ لَا أَحْمُوكَ أَبَدًا.

فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِتَابَ؛ وَلَيْسَ يُحْسِنُ يَكْتُبُ؛ فَكَتَبَ:

(هَذَا مَا قَاضَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ؛ لَا يَدْخُلُ مَكَّةَ السَّلَاحَ؛ إِلَّا السَّيْفَ فِي الْفِرَاقِ، وَأَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَهُ، وَأَنْ لَا يَمْنَعُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا.)، فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَى الْأَجَلَ أَتَوْا عَلِيًّا؛ فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ اخْرُجْ عَنَّا؛ فَقَدْ مَضَى الْأَجَلَ. فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَبِعَتْهُ ابْنَةُ هَمَزَةَ تُنَادِي: يَا عَمَّ يَا عَمَّ. فَتَنَّاوَلَهَا عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِيَدِهَا. وَقَالَ لِفَاطِمَةَ ﷺ: دُونَكَ ابْنَةُ عَمِّكَ؛ حَمَلَتْهَا؛ فَاخْتَصَمَ

فِيهَا عَلِيُّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ. قَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَخَذْتُهَا؛ وَهِيَ بِنْتُ عَمِّي، وَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي. وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي، فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَالَتِهَا. وَقَالَ: الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ. وَقَالَ لِعَلِيٍّ: أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ. وَقَالَ لِيَجَعْفَرٍ: أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي. وَقَالَ لِيَزِيدٍ: أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا. (١)

حديث المنزلة :

[حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ عَنِ الْحَكَمِ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ؛ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا؛ فَقَالَ: أَخْلَفْنِي فِي الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي.] (٢)

وبلفظٍ آخر [حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ قَالَ سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ:

(أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى).] (٣)

وبلفظٍ آخر [حدثني الحسن بن محمد بن إسحاق الإسفراييني، ثنا عمير بن مرداس، ثنا عبد الله بن بكير الغنوي، ثنا حكيم بن جبير، عن الحسن بن سعد مولى علي، عن علي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أراد أن يغزو غزاة له، قال: فدعا جعفرًا فأمره أن يتخلف على المدينة. فقال: لا أخلف بعدك يا رسول الله أبدا. قال: فدعاني رسول الله ﷺ، فعزم علي لما تخلفت قبل أن أتكلم. قال: فبكيت، فقال

(١) صحيح البخاري: ج ١٠ ص ٢٠ ب ٦ كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان ح ٢٦٩٩.

صحيح البخاري: ج ١٤ ص ١٥١ باب ٤٣ عمرة القضاء ح ٤٢٥١.

(٢) صحيح البخاري: ج ١٤ ص ٣٥٢ ب ٧٨ غزوة تبوك وهي غزوة العسرة ح ٤٤١٦.

(٣) صحيح البخاري: ج ١٢ ص ٤٧٣ ب ٩ مناقب علي بن أبي طالب ع ٣٧٠٦.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا علي؟

قلت: يا رسول الله؛ يبكيني خصالٌ (١) غيرٌ واحدة؛ تقول قريشٌ غداً: ما أسرع ما تخلفَ عن ابن عمه وخذله!، ويبكيني خصلةٌ أخرى كنتُ أريدُ أن أتعرضَ للجهادِ في سبيلِ الله، لأن الله يقول ﴿وَلَا يَطُؤُنَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ التوبة ١٢٠، فكنتُ أريدُ أن أتعرضَ لفضلِ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: أما قولك تقول قريشٌ ما أسرع ما تخلفَ عن ابن عمه وخذله!، فإنَّ لك بي أسوءة، قد قالوا ساحرٌ وكاهنٌ وكذاب!

(أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟).....

(فإنَّ المدينة لا تصلحُ إلا بي أو بك). حديثٌ صحيحُ الإسنادِ ولم يُخرجاه. [٢].

وورد الحديثُ بلفظين آخرين (بعد رفع السند) هما:

[أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي.] [٣].

وكذلك [أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.] [٤].

كما ورد: [..... قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاوية لسعد بن أبي

وقاص (...): ما يمنعك أن تسبَّ ابن أبي طالب؟ قال: فقال: لا أسبُّ ما ذكرت ثلاثاً

قالهنَّ له رسولُ الله ﷺ، لأن تكون لي واحدةً منهنَّ أحبُّ إليَّ من حمرِ النعم (٥)، قال

(١) الخصال: جمع خصلة؛ وهي خلقٌ في الإنسان يكون فضيلةً أو رذيلةً.

(٢) المستدرک على الصحيحين (للحاكم): ج ٧ ص ٤٣١ باب تفسير سورة التوبة ح ٣٢٥٢.

(٣) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن فتوح الحميدي، دار ابن حزم لبنان/ بيروت،

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ط ٢ تحقيق د. علي حسين البواب: ج ١ ص ١٠٠ باب أفراد مسلم ح ١٨٩.

(٤) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم: ج ١ ص ١٠٠ باب أفراد مسلم ح ١٩٠.

(٥) حمر النعم: إبل حمراء من أجود ثروات العرب.

له معاوية: ما هنَّ يا أبا إسحاق؟ قال: لا أُسبُّه ما ذكرت حين نزل عليه الوحي فأخذ علياً وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه؛ ثم قال: (ربُّ؛ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي.)
ولا أُسبه ما ذكرت حين خلفه في غزوة تبوك غزاها رسولُ اللَّهِ ﷺ؛ فقال له علي: خلفتني مع الصبيان والنساء؟ قال:

(أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي).

ولا أُسبُّه ما ذكرت يوم خير، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ:

(لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ.)

فتناولنا لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: أين عليٌّ؟ قالوا: هو أرمدٌ،

فقال: أدعوه؛ فدعوه...، ثم أعطاهُ الرايةَ، ففتحَ اللَّهُ عليه.

هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه بهذه السياقة، وقد انفقا جميعاً على إخراج حديث المؤاخاة وحديث الراية...^(١).

حديثٌ (من أحبَّ علياً):

فقد ورد [حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا جندل بن والق ثنا محمد بن عمر المازني عن عباد الكلبي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن حسين عن فاطمة الصغرى عن حسين بن علي عن أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: خرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عشيةَ عرفة؛ فقال: إِنَّ اللَّهَ بَاهَى بِكُمْ وَغَفَرَ لَكُمْ عَامَةً وَلِعَلِّيَّ خَاصَةً؛ وَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ غَيْرَ مُحَابٍ لِقَرَابَتِي، هَذَا

(١) المستدرک علی الصحیحین (للحاکم): ج ١٠ ص ٣٧٦ باب ومن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ح ٤٥٥٢.

جبريلٌ يُخبرني إن السعيدَ حقَّ السعيد من أحبَّ علياً في حياته وبعد موته، وأن الشقيَّ كلَّ الشقيِّ من أبغضَ علياً في حياته وبعد موته. (١).

وورد [حدثنا يحيى بن عبد الباقي الأذني ثنا محمد بن عوف الحمصي ثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك ثنا الحكم بن محمد شيخ مكي عن فطر بن خليفة عن أبي الطفيل قال سمعتُ أمَّ سلمة تقول: أشهدُ أني سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم يقول: (من أحبَّ علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحبَّ الله، ومن أبغضَ علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغضَ الله.) (٢).

حديثُ فاطمةَ عليها السلام في البخاري:

[حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنِ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَعْضَبَهَا أَعْضَبَنِي). (٣).

كذلك [فَاتِمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُرِيئُنِي مَا أَرَاهَا؛ وَيُؤْذِنُنِي مَا آذَاهَا]. (٤).

كما ورد: [حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ عَنْ فِرَاسٍ عَنْ عَامِرٍ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَقْبَلْتُ فَاطِمَةَ تَمْشِي؛ كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَرَّحَبًا بِابْنَتِي؛ ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسْرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا، فَبَكَتْ؛ فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسْرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ؛ فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ

(١) المعجم الكبير للطبراني: ج ٢٢ ص ٤١٥ باب (ذِكْرٌ مِنْ فَاطِمَةَ ع وَوَفَاتِهَا ح ١٠٢٦).

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ج ٢٣ ص ٣٨٠ باب (أم سلمة ر ح ٩٠١).

(٣) صحيح البخاري: ج ١٢ ص ٤٨٤ ب ١٢ باب مناقب قرابة رسول الله ص ح ٣٧١٤. صحيح البخاري: ج ١٣ ص ٥٧ ب ٢٩ باب مناقب فاطمة عليها السلام ح ٣٧٦٧. صحيح البخاري: ج ٣ ص ١٣٦١ ب ١٢ باب مناقب قرابة رسول الله ص ح ٣٧١٤.

(٤) صحيح البخاري: ج ١٧ ص ٣٦١ ب ١٠٩ باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة ح ٥٢٣٠.

مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ. [(١)]. فَقَالَتْ مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَسَأَلْتُهَا: فَقَالَتْ: أَسْرَ إِلَىٰ إِنْ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً؛ وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ؛ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي. فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ. فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ. [(٢)].

[وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.)] (٣).

[حَدَّثَنَا مُوسَى عَنْ أَبِي عَوَانَةَ حَدَّثَنَا فِرَاسٌ عَنْ عَامِرٍ عَنْ مَسْرُوقٍ حَدَّثَنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ جَمِيعًا، لَمْ تُغَادِرْ مِنَّا وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا تَمْشِي، لِأَنَّهَا مَا تَخْفَى مَشِيئَتَهَا مِنْ مَشِيئَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَبَ؛ قَالَ: مَرَحَبًا بِابْنَتِي. ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَهَا الثَّانِيَةَ إِذَا هِيَ تَضْحَكُ. فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ: خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسَّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا: عَمَّا سَارَكَ؟ [(٤)]. قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ. فَلَمَّا تَوَفَّى قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتَنِي. قَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ.

فَأَخْبَرْتَنِي قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ قَدْ عَارِضُنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ، فَاتَّقَى اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نَعَمَ السَّلْفُ أَنَا لَكَ. قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي

(١) صحيح البخاري: ج ١٢ ص ٣٧٣ باب ٢٥ علامات النبوة في الإسلام ح ٣٦٢٣.

(٢) صحيح البخاري: ج ١٢ ص ٣٧٣ باب ٢٥ علامات النبوة في الإسلام ح ٣٦٢٤.

(٣) صحيح البخاري: ج ١٢ ص ٤٨٠ باب ١٢ مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبه فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ ح ١٢. صحيح البخاري: ج ١٣ ص ٥٦ باب ٢٩ مناقب فاطمة عليها السلام ح ٥٩.

(٤) صحيح البخاري: ج ٢١ ص ٥٠ باب ٤٣ من ناجى بين يدي الناس ح ٦٢٨٥.

رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَنِي الثَّانِيَةَ؛ قَالَ:

يَافَاطِمَةُ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ. [(١)]
حديثٌ (سيدي شبابِ أهل الجنة):

وما جاء في حقِّ سيدي شبابِ أهل الجنة عليهم السلام في كُتُبِ القومِ نكتفي بما يلي:

[... عن يعلى العامري، أنه خرج مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إلى طعام دُعوا له، قال: فاستقبل رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إمامَ القومِ؛ وحسينٌ مع الغلمان يلعب، فأراد رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أن يأخذه؛ فطفق الصبي يفرها هنا مرة، وها هنا مرة، فجعل رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يُضاحكه حتى أخذه، قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه، والأخرى تحت ذقنه؛ فوضع فاهُ على فيه يُقبله، فقال:

(حسينٌ مني، وأنا من حسين، أحبُّ الله من أحبِّ حسيناً؛ حسينٌ سبطٌ من الأسياط). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه. [(٢)]

وفي المستدرِكِ على الصحيحين بتعليق الذهبي [هذا حديثٌ صحيحٌ الإسنادِ ولم يُخرجاه. وتعليقُ الذهبي في التلخيص: صحيحٌ]. [(٣)]

[حدَّثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح حدَّثني معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن يعلى بن مَرَّة قال: خررنا مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله؛ فدُعينا إلى طعام؛ فإذا الحسينُ يلعبُ في الطريق؛ فأسرع النبي صلى الله عليه وآله أمامَ القومِ؛ ثم بسطَ يديه؛ فجعلَ حسينٌ يمرُّ مرَّةً

(١) صحيح البخاري: ج ٢١ ص ٥٠ باب ٤٣ من ناجى بين يدي الناس ح ٦٢٨٦.

(٢) المستدرِك على الصحيحين للحاكم: ج ١١ ص ١٣٧ باب أول فضائل أبي عبد الله الحسين بن علي ح ٤٨٠٧. المعجم الكبير للطبراني: ج ٢٢ ص ٢٧٤ باب (يعلى بن مَرَّة العامري) ح ٧٠٢.

(٣) المستدرِك على الصحيحين بتعليق الذهبي: ج ٣ ص ١٩٤ باب (أول فضائل أبي عبد الله الحسين عليه السلام) ح ٤٨٢٠، مسند أحمد: ج ٣٥ ص ٤٤٠ باب (١) صلى الله عليه وآله ح ١٦٩٠٣.

هَهُنَا وَمَرَّةً هَهُنَا؛ يُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ؛ فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ فِي ذِقْنِهِ؛ وَالْأُخْرَى بَيْنَ رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ؛ ثُمَّ اعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ؛ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ؛ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّهُ؛ الْحُسَيْنُ وَالْحُسَيْنُ سِبْطَانِ مِنَ الْأَسْبَاطِ) [١]

كما أورد البخاري [ح ٨٥ - حدثنا موسى قال حدثنا مهدي بن ميمون قال حدثنا بن أبي يعقوب عن بن أبي نعم قال: كنتُ شاهداً بن عمر؛ إذ سأله رجلٌ عن دمِ البعوضة؟ فقال: بمن أنت؟ فقال: من أهل العراق. فقال: أنظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوضة وقد قتلوا بن النبي ﷺ! سمعتُ النبي ﷺ يقول:

(هُمَا رِيحَانِي مِنَ الدُّنْيَا). قَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ: صَحِيحٌ. [٢] ...

وهل هناك قولٌ أصدق من آي الذكر الحكيم؟ فقد إنفقَ جمهورُ علماء المسلمين بشأن نزول آية التطهير أمَّا مخصوصةٌ بأهل البيت ﷺ بشهادة أم المؤمنين أم سلمة: [... عن عطاء بن يسارٍ عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب ٣٣؛ قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى عليٍّ وفاطمة والحسين؛

فقال: [هؤلاء أهل بيتي]. هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاري؛ ولم يُجْزِجْه. وتعليقُ الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري. [٣].

[حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي سُلَيْمَانَ عَنْ عَطَاءٍ

(١) المعجم الكبير (للطبراني): ج ٢٢ ص ٢٧٣ باب (يعلى بن مرة العامري) ح ٧٠١.

(٢) كتاب (الأدب المفرد) للبخاري: ج ١ ص ٤٣ باب (الولد مبخلة مجنبة) ح ٨٥.

(٣) المستدرک على الصحيحين: ج ١١ ص ١٢ باب مناقب أهل رسول الله ﷺ ح ٤٦٨٨.

المستدرک على الصحيحين بتعليق الذهبي: ج ٣ ص ١٥٨ باب مناقب أهل رسول الله ﷺ ح ٤٧٠٥.

بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ أُمَّ سَلَمَةَ تَذْكُرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي بَيْتِهَا فَأَتَتْهُ فَاطِمَةُ بِبُرْمَةٍ فِيهَا خَزِيرَةٌ فَدَخَلَتْ بِهَا عَلَيْهِ؛ فَقَالَ لَهَا: ادْعِي زَوْجَكَ وَابْنَيْكَ؛ قَالَتْ: فَجَاءَ عَلِيُّ وَالْحُسَيْنُ وَالْحَسَنُ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ؛ فَجَلَسُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تِلْكَ الْخَزِيرَةِ؛ وَهُوَ عَلَى مَنَامَةٍ لَهُ عَلَى دُكَّانٍ؛ مَحْتَهُ كِسَاءٌ لَهُ خَيْرِيٌّ. قَالَتْ وَأَنَا أَصَلِّي فِي الْحُجْرَةِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. قَالَتْ: فَأَخَذَ فَضَلَ الْكِسَاءِ فَعَشَّاهُمْ بِهِ؛ ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ فَأَلْوَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ؛ ثُمَّ قَالَ:

[اللَّهُمَّ هُوَ لَاءِ أَهْلِ بَيْتِي وَخَاصَّتِي؛ فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا؛
اللَّهُمَّ هُوَ لَاءِ أَهْلِ بَيْتِي وَخَاصَّتِي؛ فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا.]
قَالَتْ فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي الْبَيْتَ؛ فَقُلْتُ: وَأَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ. (١)

كذلك خصوصية آية القربى في قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ الشورى ٢٣. فقد قال ابن حجر الهيتمي:

[أخرج أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس: أن هذه الآية لما نزلت قالوا: يا رسول الله؛ من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال ﷺ: عليٌّ وفاطمةُ وابناهما.] وفي سنده شيعيٌّ غالٍ؛ لكنه صدوق. (٢).

(١) مسند أحمد: ج ٥٣ ص ٤٦٢ ح ٢٥٣٠٠.

(٢) الصواعق المحرقة (ابن حجر الهيتمي): ج ٢ ص ٤٨٧.

هذه الأحاديث الشريفة وكثير من أمثالها تشير إلى العُلقةِ والصِّلةِ الطبيعيةِ لأهل البيت عليهم السلام برسول الله صلى الله عليه وآله؛ التي تجعلهم إمتداداً له صلى الله عليه وآله؛ وعلى هذا الأساس كان المسلمون ينظرون إلى أهل البيت عليهم السلام بمحبةٍ خاصّةٍ وتقديرٍ مميّز؛ والبعض الآخر حباً كذباً ونفاقاً.

وفي الختام نقول: إنَّ أهل البيت عليهم السلام أهلٌ لكلِّ فضيلةٍ ومكرمةٍ؛ وكلُّ مديحٍ لهم منا لا يبلغُ قدرَ استحقاقهم البتة؛ لأنهم (قومٌ في ذرى الكمال) في الفضيلةِ والمكرّمات. فما عسى أن يُقالَ فيهم بعدَ ثناءِ الله تبارك وتعالى عليهم في كتابه المجيد؛ وعلى لسانِ نبيِّه الصادقِ الأمين عليه السلام سيدِ الخلقِ أجمعين:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ النمل ٥٩.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ الأنعام ١٢٤.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

عبدُ الله حُسين الفهد

١ شعبان ١٤٣٦ الموافق: ٢٠ / ٥ / ٢٠١٥



مصادر البحث

- ١ . القرآنُ الكريم.
- ٢ . الصحيفةُ السجادية: علي بن الحسين عليه السلام الإمام الرابع ت ٩٤ أو ٩٥ هـ، الأدعية والزيارات، نشر الهادي، ط ١ قم ١٤١٨ هـ..
- ٣ . عيون أخبار الرضا عليه السلام: ابن بابويه ت ٣٨١ هـ. موضوعات متنوعة، نشر جهان ط ١ طهران ١٤٢٠ هـ.
- ٤ . معاني الأخبار: ابن بابويه ت ٣٨١ هـ. موضوعات متنوعة، مؤسسة النشر الاسلامي ط ١ قم ١٤٠٣ هـ.
- ٥ . علل الشرائع: ابن بابويه، محمد بن علي، ت ٣٨١ هـ، موضوعات متنوعة، مكتبة داوري ط ١ قم ١٤٢٧ هـ.
- ٦ . الخصال: ابن بابويه، محمد بن علي، ت ٣٨١ هـ، الأخلاق، نشر جماعة المدرسين ، ط ١ قم ١٤٠٣ هـ.
- ٧ . التوحيد (للصدوق): ابن بابويه، محمد بن علي، ت ٣٨١ هـ، موضوعه الكلام، نشر جماعة المدرسين ط ١ قم ١٣٩٨ هـ.
- ٨ . مجمع البيان في تفسير القرآن: أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، من أعلام القرن السادس الهجري.

٩. مصباح الشريعة: منسوب إلى جعفر بن محمد عليه السلام، الإمام السادس، وفاته عليه السلام ١٤٨ هـ، موضوعه الأخلاق، ط ١ الأعلمي بيروت ١٤٠٠ هـ.
١٠. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: النورى، حسين بن محمد تقي، ت ١٣٢٠ هـ، الجوامع الروائية، مؤسسة آل البيت ط ١ قم ١٤٠٨ هـ.
١١. كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط قديمة): الإربلي، علي بن عيسى، ت ٦٩٢ هـ، الكلام، الناشر بني هاشم ط ١ تبريز ١٤٢٣ هـ.
١٢. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، ت القرن ٤ هـ، الأخلاق، جماعة المدرسين ط ٢ قم ١٤٠٤ هـ.
١٣. الغيبة (للنعماني): ابن أبي زينب، محمد بن إبراهيم، ت ٣٦٠ هـ، موضوعه الكلام، نشر الصدوق ط ١ طهران ١٣٩٧ هـ.
١٤. أعلام الدين في صفات المؤمنين: الديلمي، حسن بن محمد، ت ٨٤١ هـ، موضوعه الاخلاق، مؤسسة آل البيت ط ١ قم ١٤٠٨ هـ.
١٥. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام (لابن شهر آشوب): ابن شهر آشوب المازندراني، محمد بن علي، ت ٥٨٨ هـ، الناشر علامة ط ١ قم، ١٤٢١ هـ.
١٦. الأمالي (للمفيد): محمد بن محمد المفيد، ت ٤١٣ هـ، موضوعات متنوعة، نشر مؤتمر الشيخ المفيد قم، ط ١ ١٤١٣ هـ.
١٧. الاختصاص: محمد بن محمد المفيد، ت ٤١٣ هـ، موضوعات متنوعة، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم ط ١ ١٤١٣ هـ.
١٨. دعائم الإسلام و ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام: ابن حيون،

- نعمان المغربي، ت ٣٦٣ هـ، فقه، مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم ١٤٢٧ هـ ط ٢.
١٩. من لا يحضره الفقيه: ابن بابويه، محمد بن علي، ت ٣٨١ هـ، الكتب الأربعة، مؤسسة النشر الاسلامي ط ٢ قم ١٤١٣ هـ.
٢٠. التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت ٣٨٥ - ٤٦٠ هـ، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي.
٢١. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: الامام الثامن عليه السلام، استشهد ٢٠٣ هـ، فقه، الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام، ط ١ مشهد ١٤٠٦ هـ.
٢٢. الأمالي (للطوسي): محمد بن الحسن الطوسي، ت ٤٦٠ هـ، موضوعات متنوعة، دار الثقافة ط ١ قم ١٤١٤ هـ.
٢٣. تهذيب الأحكام (تحقيق الخرسان): الطوسي، محمد بن الحسن، ت ٤٦٠ هـ، الكتب الأربعة، دار الكتب الاسلامية ط ٤ طهران ١٤٠٧ هـ.
٢٤. المعجم المُفهرس لألفاظ القرآن الكريم: (محمد فؤاد عبد الباقي). دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٩٤٥.
٢٥. برنامج النور (قرص مُدمج). جامع الأحاديث ٣٥٥. مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية قم.
٢٦. لسان العرب: لابن منظور. ت ٧١١ هـ قاموس عربي. دار الفكر العربي ط ٣ بيروت ١٤١٤ هـ.
٢٧. مفرداتُ ألفاظِ القرآن: الراغب الإصفهاني. ت ٤٠١ هـ قاموس عربي. دار القلم بيروت - دمشق ط ١٤١٢ هـ.



٢٨. كتابُ العين: خليلُ بن أحمد الفراهيدي. ت. ١٧٥ هـ قاموس عربي. نشر
الهجرة قم ط ٢ ١٤٠٩ هـ .
٢٩. المصباحُ المنير في غريب الشرح للرافعي: أحمد الفيومي. ت. ٧٧٠ هـ مؤسسة
دار الهجرة قم ط ٢ ١٤١٥ . قاموس عربي.
٣٠. التحقيقُ في كلمات القرآن الكريم: حسن المصطفوي. ت. ١٤٢٦ قاموس
عربي. وزارة الثقافة طهران ، ط ١ ١٤١٠ .
٣١. معجمُ مقاييس اللغة أحمد بن فارس. ت. ٣٩٥ هـ قاموس عربي. مكتب
الاعلام الاسلامي ط ١ قم ١٤٠٤ .
٣٢. مجمعُ البحرين: فخر الدين الطريحي ت ١٠٨٥ هـ . قاموس عربي. نشر
المرتضوي ط ٣ طهران ١٤١٧ .
٣٣. الفائق في غريب الحديث: الزنجشيري، محمود بن عمر، ت ٥٨٣ هـ، ط ١
بيروت ١٤١٧ هـ قاموس عربي. دار الكتب العلمية .
٣٤. تفسيرُ فرائد الكوفي: فرائد الكوفي ت ٣٠٧ هـ. وزارة الارشاد الاسلامي
ط ١ طهران ١٤١٠ .
٣٥. تفسيرُ العيَاشي: محمدُ بن مسعودِ العياشي ت ٣٢٠ هـ. المطبعة العلمية ط ١
طهران ١٤٢٢ .
٣٦. تفسيرُ القمي: عليُّ بن إبراهيمِ القمي ت ٣ هـ. دار الكتب ط ٣ ١٤٠٤ هـ .
٣٧. تفسيرُ الميزان: (للسيد الطباطبائي). معاصر ت ١٩٨١ م. مؤسسة الاعلمي
ط ١ ١٤٢٧ هـ . لبنان - بيروت

٣٨. التفسيرُ المنسوبُ للإمام الحسن العسكري عليه السلام. ت ٢٦٠ هـ نشر مدرسة الامام المهدي (عج) ط ١ قم ١٤٠٩ .
٣٩. تفسيرُ الأمثل: الشيخ مكارم الشيرازي ، معاصر. (المكتبة الشاملة)
٤٠. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: القمي المشهدي ت ١١٢٥ هـ. الناشر وزارة الثقافة والارشاد ط ١٤١٠ .
٤١. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: علي الإستريادي ت ٩٤٠ هـ. تفسير ، مؤسسة النشر الاسلامي ط / ١ ١٤٠٩ قم .
٤٢. بحارُ الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار عليهم السلام: محمد باقر المجلسي. الجوامع الروائية ت ١١١٠ هـ. ط ٢ بيروت ١٤٠٣ دار احياء التراث العربي .
٤٣. المحاسن: أحمد بن محمد البرقي. موضوعاتٌ متنوعة. ت ٢٧٤ هـ أو ٢٨٠ هـ. ط ٢ قم ١٣٧١ .
٤٤. بصائرُ الدرجات في فضائل آل محمد صلوات اللّهُ عليهم: محمد بن حسن الصفار ت ٢٩٠ هـ مناقب. نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي ط ٢ قم ١٤٠٤ .
٤٥. الكافي (ط الاسلامية طهران): محمد بن يعقوب الكليني، الكتب الاربعة، ت ٣٢٩ هـ. ط ٤ طهران ١٤٠٧ هـ دار الكتب الاسلامية .
٤٦. شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد المعتزلي ت ٦٥٦ هـ، موضوعات متنوعة، الناشر مكتبة آية اللّهُ المرعشي النجفي. ط ١ قم ١٤٠٤ هـ .
٤٧. نهج البلاغة (للصبحي صالح): محمد بن حسين الشريف الرضي ت ٤٠٦ هـ، طبعة الأولى قم ١٤١٤ هـ.

- ٤٨ . منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة وتكملة منهاج البراعة (للخوئي):
الهاشمي الخوئي ت ١٣٢٤ هـ ط ١٤٠٠ المكتبة الاسلامية طهران .
- ٤٩ . كتاب سليم بن قيس الهلالي: ت ٧٦ هـ، تأريخ، الناشر الهادي، إيران قم،
ط ١٤٠٥ هـ.
- ٥٠ . صحيح البخاري. القرص الليزري المكتبة الشاملة .
- ٥١ . الجمع بين الصحيحين. القرص الليزري المكتبة الشاملة .
- ٥٢ . المستدرك على الصحيحين. بتعليق الذهبي. قرص الليزري المكتبة الشاملة
- ٥٣ . كتاب الأدب المفرد للبخاري. القرص الليزري المكتبة الشاملة .
- ٥٤ . المعجم الكبير... للطبراني. القرص الليزري المكتبة الشاملة .
- ٥٥ . مسند أحمد بن حنبل. القرص الليزري المكتبة الشاملة .
- ٥٦ . الصواعق المحرقة. لابن حجر الهيتمي. القرص الليزري المكتبة الشاملة .



المحتويات

ج	التقديم بقلم ساحة السيد العلامة السيد محمد علي الحلو:
خ	كلمة تقييمية للبحث بقلم الأستاذ الفاضل الدكتور سالم جاري:
د	الإهداء:
١	مقدمة البحث:
٤	التمهيد للبحث:
٦	مدخل البحث:
٩	تنبيه حول العنوان:
١١	قوم بصفات الكمال المنشودة:

الفصل الأول

١٥	﴿لِقَوْمٍ يَؤْمِنُونَ﴾
١٧	إشارات لغوية - و تعريف الإيمان:
٢١	القرآن الكريم يصف المؤمنين:
٢٣	القرآن الكريم يصف المنافقين ومن هم في شك:
٢٨	المزيد من التفسير:
٣٠	إشارة وتعليق:
٣٤	أوجه الإيمان الأربعة في كتاب الله:

- ٣٦ وقفةٌ مع النصِّ الكريمِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾:
- ٣٧ ما معنى العصمة؟
- ٣٨ مزيدٌ من الآياتِ الكريمةِ المتضمنةِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وتفسيرها:
- ٤٨ من هم الذين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾:
- ٤٨ النفاقُ والمنافقون:
- ٥١ من هم المتحسِّرون يومَ القيامة؟:
- ٥١ الإيمانُ والتقيةُ:
- ٥٢ وفقاتٌ قريبةٌ من النصِّ ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:
- ٧٢ عودٌ على بدءٍ:

الفصلُ الثاني

- ٧٧ ﴿لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:
- ٧٨ إشاراتٌ لغوية:
- ٧٩ إشاراتٌ قرآنية:
- ٨٤ إشارةٌ روائيةٌ لبيانِ مَنْ القومِ ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾؟:
- ٨٦ نعوذُ أخرى لأهلِ البيتِ عليهم السلام بعنوانِ العِلْمِ:
- ٩٥ عودٌ على بدءٍ:

الفصلُ الثالثُ

- ٩٩ ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:
- ١٠٠ إشاراتٌ لغوية:
- ١٠٢ إشاراتٌ إحصائية:
- ١٠٣ إشاراتٌ حديثةٌ وتفسيريةٌ بشأنِ العَقْلِ:

١١٧..... عودٌ على بدء:

الفصل الرابع

١٢١..... ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

١٢٢..... إشاراتٌ لغوية:

١٢٥..... إشاراتٌ إحصائية:

١٢٦..... إشاراتٌ تفسيرية:

١٢٨..... إشاراتٌ حديثةٌ حول التفكُّر:

١٢٩..... بيان أن التفكيرَ في أمرِ الله هو جوهرُ العبادة:

١٣٠..... بيان أن المعصومَ عليه السلام لا يتفكَّرُ في صلاته في شيءٍ من أمرِ الدنيا.

١٣١..... المعصومُ عليه السلام يأمرُ المؤمنينَ بالتفكُّر:

١٣٢..... عودٌ على بدء:

الفصل الخامس

١٣٧..... ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾

١٣٧..... بيانٌ معنى - يفقه:

١٣٩..... شأنُ المنافقين أنهم لا يفقهون:

١٤١..... التفقهُ لغيرِ الله عند حلولِ الفتن:

١٤٢..... قولُ أمير المؤمنين عليه السلام في وصفِ أهلِ البيت عليهم السلام:

الفصل السادس

١٤٧..... ﴿لِقَوْمٍ يوقِنُونَ﴾



- ١٤٧..... إشاراتٌ لغوية: إشاراتٌ لغوية: ١٤٧.....
 ١٥٠..... حديث (لِكُلِّ يَقِينٍ حَقِيقَةٌ): ١٥٠.....
 ١٥٣..... دابةُ الأرضِ ووَسْمٍ من لا يوقنُ بآياتِ اللَّهِ: ١٥٣.....
 ١٥٤..... درجةُ يقينِ أميرِ المؤمنين عليه السلام: ١٥٤.....
 ١٥٤..... إستدراك: ١٥٤.....

الفصل السابع

- ١٥٩..... ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾: ١٥٩.....
 ١٥٩..... إشاراتٌ لغوية: ١٥٩.....
 ١٦١..... إشاراتٌ إحصائية: ١٦١.....
 ١٦٢..... من هم المتَّقون؟: ١٦٢.....
 ١٦٢..... ماذا نكسبُ من التَّقى في الدنيا؟: ١٦٢.....
 ١٦٣..... المتَّقون ونصيبهم الأوفى يومَ القيامة: ١٦٣.....
 ١٦٥..... خواصٌ مميزةٌ للمتَّقينَ وارتباطهم باللَّهِ جَلَّ عَلاه: ١٦٥.....
 ١٦٧..... عليه السلام وشيعته هم المتَّقون: - ١٦٧.....
 ١٦٨..... إشاراتٌ تفسيرية: ١٦٨.....
 ١٦٨..... إشاراتٌ حديثة: ١٦٨.....
 ١٧٢..... حديثٌ أنَّ أميرَ المؤمنين عليه السلام هو إمامُ المتقين: ١٧٢.....
 ١٧٤..... خاتمةُ هذا الفصل: ١٧٤.....

الفصل الثامن

- ١٧٧..... ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾: ١٧٧.....
 ١٧٧..... إشاراتٌ لغوية: ١٧٧.....

- بعض وجوه الشكرٍ ومناحيه في القرآن الكريم: ١٧٩
- للشكرِ أركانٌ ثلاثة: ١٨٢
- إشاراتٌ تفسيرية: ١٨٣
- من همُّ الشاكرون: ١٨٥
- مِيزةُ الشكرِ عند آلِ محمدٍ عليه السلام: ١٨٧
- إستدراكٌ بإشارةٍ وتعليق: ١٩١

الفصلُ التاسعُ

- ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ١٩٥
- إشارةٌ إحصائية: ١٩٥
- ما المرادُ من يسمع؟ ١٩٥
- إشاراتٌ لغوية: ١٩٧
- إشاراتٌ تفسيرية: ٢٠١
- الآياتُ الناظرةُ الى الصَّمَمِ (نقيضِ السَّمْعِ): ٢٠٦
- قالوا في الـ ﴿وَقُرْ﴾: ٢٠٨
- عودٌ على بدء: ٢١١
- أميرُ المؤمنين عليه السلام يصف البصير: ٢١٢

الفصلُ العاشرُ

- ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ ٢١٧
- إشاراتٌ لغوية: ٢١٧
- إشارةٌ إحصائية: ٢٢١
- إشاراتٌ تفسيرية: ٢٢٣



- ٢٢٧..... ذكرُ محمدٍ ﷺ وآله ﷺ رديفُ ذِكْرِ اللَّهِ تعالى:
- ٢٢٨..... وقفةٌ للتأمل:
- ٢٢٩..... إرتباطُ التذكُّرِ بأولي الألباب:
- ٢٣٣..... آياتُ الذِّكْرِ في كتابِ اللَّهِ:
- ٢٣٦..... نعوذُ كريمةً أُخرى لأهلِ البيتِ ﷺ في كتابِ اللَّهِ:
- ٢٥٥..... إستدراكٌ وتأمُّلٌ:
- ٢٦٨..... لماذا الإمامُ المعصومُ ضرورةٌ حتميةٌ للناسِ؟
- ٢٧٦..... مسكُ الخِتامِ (جولةٌ في كتبِ المخالفين):
- ٢٧٧..... حديثُ المنزلةِ:
- ٢٧٩..... حديثُ (من أحبَّ علياً):
- ٢٨٠..... حديثُ فاطمةَ ﷺ في البخاري:
- ٢٨٢..... حديثُ (سيدي شبابِ أهلِ الجنة):
- ٢٨٧..... مصادرُ البحثِ
- ٢٩٣..... المحتويات



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

